تأملات ما بين الرجل، والظاهرة

في ذكراه السنوية
الرجل على لسان جمع من محبيه

احمد الجلبي

١٩٤٤ - ٢٠١٥

مع عائلته في طوكيو ٢٠١٤

مـن الاسـتحالة علينـا حاليـاً كتابـة أي شيء في ذكـرى الـزوج والوالـد الحبيـب. لم تهـن علينـا صدمـة افتقـاده. والفـراغ الـذي أحدثـه مـع الرحيـل لا يـزال مترامـي الابعـاد وموحشـاً. آلامنـا مهولـة. كان كبـيرا في كل شيء، حتـى في فراقـه كذلـك. نشـتاق اليـه كثـيراً، ودومـاً.

هـذا الكتـاب، الـذي أوجعتنـا مراحـل جمعـه وإعـداده، يـؤرخ لمـرور عـام عـلى رحيـل أحمـد الجلبـي. كتـاب يضـم في ثنايـاه سلسـلة مـن الروايـات تتنـاول سـيرة الراحـل مرويـة عـن لسـان ووجـدان أصدقائـه وأقربائـه ورفاقـه، مـن كافـة المنابـت ومضامـير الحيـاة. وأخـرى قيلـت ونـشرت بحقـه طلبناهـا ممـن اسـتطعنا الوصـول إليـه، إضافـة إلى كلـمات لـه، بالطبـع، هـذا الكتـاب ليـس موسـوعياً ولا شـاملاً. وهـو ليـس بالكتـاب التقليـدي أيضـا، والـذي عـادة مـا ينـشر في تأبـين سـنوي. يسـعى هـذا المـتن الى إضـاءة بعـض الجوانـب الشـخصية لـدى الجلبـي والتـي ربمـا بقيـت مخفيـة او مبهمـة لـدى مـن شـهد ظاهرتـه. الطبيعـة غـير التقليديـة لهـذا الكتـاب تعكـس شـخصيته التـي لم تكـن تقليديـةً أو اعتياديـةً أبـدا.

ليلى عسيران، تمارا ،مريم ،هاشم وهادي

بغداد ١٩٥٤

بغداد ١٩٥٤

لبنان ١٩٥٥

كلية بغداد ١٩٥٨

مدرسة سي فورد البريطانية ١٩٦٠

مع والده ووالدته ١٩٦٧

نيل شهادة الدكتوراة من جامعة شيكاغو ١٩٦٩

أثناء عقد قرانه مع السيد موسى الصدر
وعادل بيك عسيران ١٩٧١

عقد القران عام ١٩٧١

على السيدة ليلى عسيران

مع ابنته تمارا كوردستان - العراق ١٩٩٤

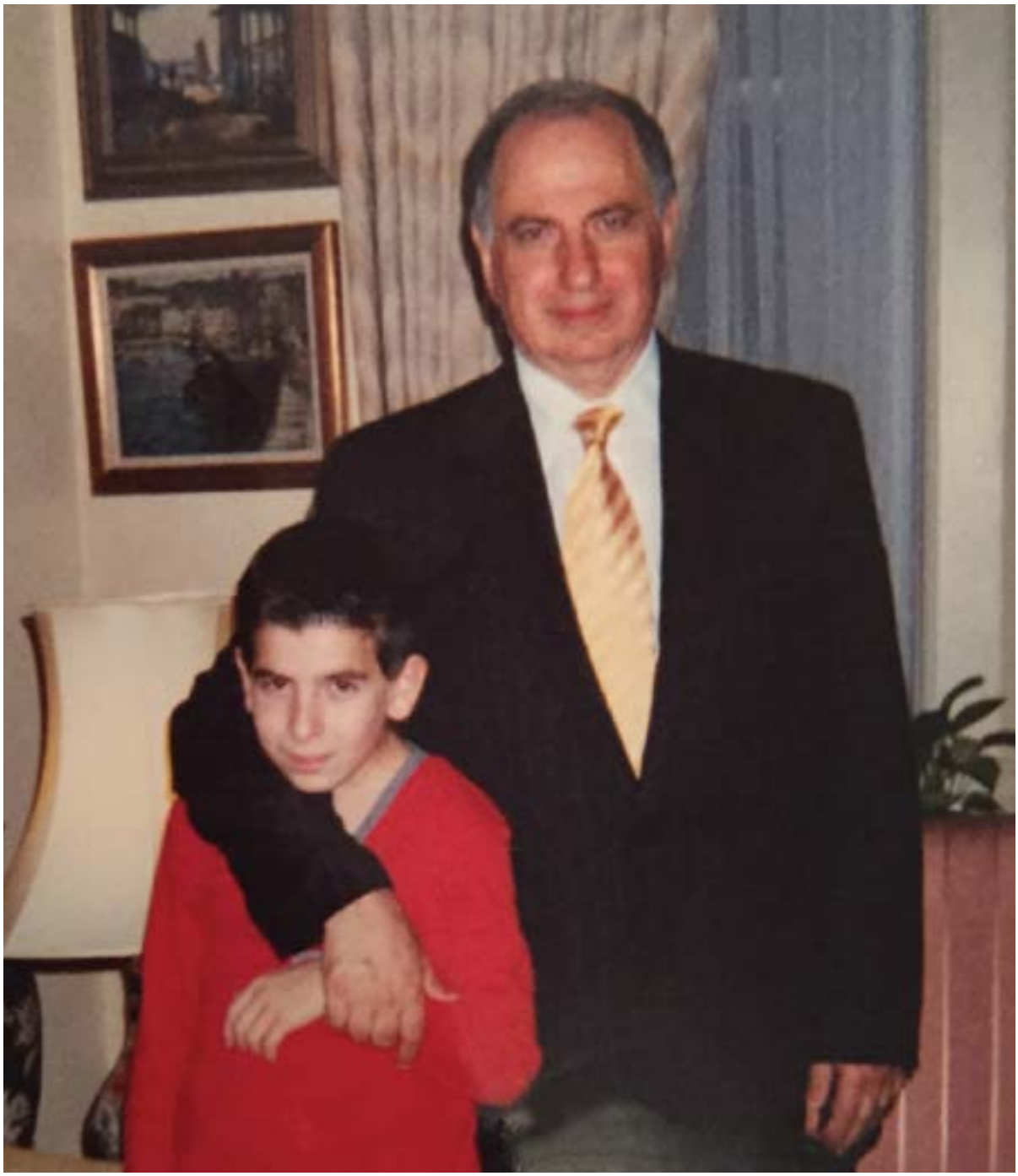

مع ابنه هادي ,لندن ١٩٩٥

تخرج ابنته تمارا من جامعة كامبرج ١٩٩٧

مع عقيلته السيدة ليلى عسيران
قلعة وندزور- بريطانيا ٢٠٠٦

مع ابنه هادي وعقيلته السيدة ليلى عسيران ٢٠٠٩

مع ابنه هاشم ,لندن ٢٠١٣

مع ابنه هادي ,البندقية ٢٠١٥

مع الدكتور حسن الجلبي

بغداد مع ابنتيه تمارا ومريم وأبو محمد يوم انتخابات ٢٠١٠

بغداد ٢٠١٠

مع كريمته مريم ٢٠١١

مع كريمته تمارا انتخابات ٢٠١٤

مع حفیده امیر ,طوکیو ۲۰۱۵

مع حفیده کریم ,بیروت ۲۰۱۵

بسم الله الرحمن الرحيم

كان الدكتـور أحمـد عبـد الهـادي الجلبـي سـليل الأسرة المحترمة عالمـاً فـذاً في عالمنـا العـربي ، وكان مخلصـاً للعـراق وقـد صنـع مجـداً لأمتـه ومجـداً لـه ولأسرتـه بإخلاصـه لـكل العراقيـين بـلا تمييـز . وقـد سـاهم مسـاهمةً فعالـةً في تخليـص العـراق مـن ظلـم الطغـاة ولم يطالـب لنفسـه بمنصـب . وقـد ضرب مثـلاً لرجـل الدولـة الـذي يريـد لأمتـه الرفعـة. وكان المأمـول مـن أبنـاء العـراق الغيـارى معرفـة فضـل هـذا الرجـل عليهـم ، تغمـده اللـه بعطفـه وبرحمتـه.

مكتب آية الله العظمى
الشيخ بشير النجفي

في ذكرى عمّي

هـذه مداخلـة شـخصية عـن ابـن اخ وعلاقتـه مـع عمّـه، الـذي كان يرشـده مـا بـين الحـين والآخـر. كُـثر هـم الذيـن يسـتطيعون ان يكتبـوا عـن سـيرة عمـي السياسـية، وعليـه لـن أتنـاول هـذا الجانـب، بـل، في نظـري، كان الجانـب السـياسي جـزءاً صغـيراً مـن اهتمامـات عمـي. تمحـورت علاقتـي معـه حـول الكتـب اكـثر مـن أي شيء، وهـو أمـر أعتـز بـه فـوق كل شيء.

بالفعـل، كانـت آخـر محادثـة لي مـع عمـي، في اليـوم الـذي سـبق رحيلـه يـوم ٣ نوفمـبر ٢٠١٥، كانـت حـول كتـاب كنـت أروم اقتنـاءه لـه. حينـما كنـت في جامعـة ييـل، ومـن ثـم جامعـة كولومبيـا لغـرض اعـداد الماجسـتير، كان عمـي احمـد يحثنـي دومـاً عـلى قضـاء الوقـت في القـراءة عـن فـون مترنيـخ (وزيـر خارجيـة الإمبراطوريـة النمسـاوية في القـرن التاسـع عـشر) لأن تأثـير فـون مترنيـخ، حسـب قولـه، كان لـه اثـر هـام في تطـور العـراق الحديـث. طلـب منـي عمـي ان اقـرأ كتابـين عـلى الأقـل حـول فـون مترنيـخ وتلـك الحقبـة مـن التاريـخ، قبيـل قـراءتي لكتـاب هـنري كيسـنجر (العـالم مسـتعادا-مترنيخ، كاسـتلراغ ومعاضـل السـلام ١٨١٢-١٨٢٢). كان يقـول لي عـليّ أن أضـع هـذه الحقبـة وشـخص فـون مترنيـخ في سـياقها الصحيـح، قبـل أن أقـرأ كتـاب كيسـنجر، لأن هـذا سـيعطيني فهـماً موسـعاً حـول وضـع العـراق في منتصـف السـبعينات ونظـرة كيسـنجر اليـه. في بـادئ الامـر، لم افهـم الربـط، ولكنـه كان يقـول لي بـأن هنالـك رابطـا مـا بـين الامريـن لأن انبهـار كيسـنجر بفـون مترنيـخ سـيوضح لي سياسـة أمريـكا تجـاه الثـورة الكرديـة في سـنوات ١٩٧٤-١٩٧٥. ولذلـك، تبنيـت نصيحتـه، وبعـد مـرور بضعـة اشـهر، سـألني ان كنـت قـد فهمـت الرابـط مـا بـين مترنيـخ وكيسـنجر واتفاقيـة الجزائـر سـنة ١٩٧٥ (والتـي ابرمهـا صـدام حسـين مـع شـاه ايـران) والتـي لعـب كيسـنجر دوراً محوريـاً فيهـا. مـا نتـج عـن الاتفاقيـة هـو محـو الثـورة الكرديـة بالكامـل، وتعزيـز سـلطة البعـث عـلى العـراق لمـدة ثلاثـين عامـا. في نهايـة المطـاف، فهمـت مـا كان يرمـي إليـه، ولكـن الامـر تطلـب فـترة طويلـة.

أحمـد، وهـو كان العـم الوحيـد الـذي أخاطبـه بإسـمه الأول، كان دومـا فـذاً بالنسـبة لي، أكـثر مـن أي شـخص آخـر، وكان دومـا يدفعنـي إلى الأمـام، أحيانـاً بطـرق مزعجـة. أتذكـر أننـي كنـت حـاضراً في عـرس ابـن خالتـي عـلي عـلاوي سـنة ١٩٧٨، وكنـت مجـازاً مـن المدرسـة في العطلـة الربيعيـة وعمـري ١٥ سـنة حينهـا، وسـحبني عمـي جانبـا وسـألني عـن مـدى تقدمـي في علـم المثلثـات الرياضيـة. كنـت أحـاول أن أتفـاداه كي أتمتـع بالحفـل، ولكـن مـن دون فائـدة ترجـى. اخـذني إلى غرفـة جانبيـة، حامـلا مـع أوراقـاً وقلـماً. مـن بعـد فـوات سـاعة مـن الوقـت، خرجنـا، وكنـت مذهـولاً، بـل شـعرت بأننـي خيبـت ظنـه لأن علـم المثلثـات لم يكـن امـرا افهمـه بصـورة عميقـة.

وذات مـرة، وفي سـنوات لاحقـة عندمـا كنـت مجـازاً في الولايـات المتحـدة، وبعـد ان آيّـس مـن إقدامـي الى حرفـة الرياضيـات، ارتكبـت غلطـةً شـنيعةً عندمـا سـألت أحمـد عـن إسـم شركـة قـد قـام بإنشـائها (نافيـر سـتوكز). هـذا السـؤال أطلـق تفسـيراً مطـولاً مـن جانبـه حـول سلسـلة المعـادلات الرياضيـة التـي نالـت الهامهـا مـن أعـمال

كلـود لويـس نافيـر وجـورج جابريـال سـتوكز، والمتعلقـة بحركـة السـوائل اللزجـة. بعـد بضعـة أيـام، تـم تسـليمي ظرفـاً يتضمـن دراسـة مـن إعـداد سـتوكز، عـالم الرياضيـات الايرلنـدي في القـرن التاسـع عـشر والتـي سـميت هـذه المعـادلات بإسـمه، وكان عنوانهـا (حـول الاحتسـاب الرقمـي لطبقـة التكامـلات المحـددة والتسلسـلات غـير المنتهيـة). بعثهـا لي لإعتقـاده بأنهـا ستسـاهم بتفسـير مـا حـاول إفهامـي بـه. عنـد قراءتهـا، إسـتطعت أن أفهـم الكلـمات الاثنتـي عـشرة الأولى بصـورة سلسـة. ولكـن الجملـة التاليـة تطلبـت سـاعة كاملـة كي أسـتوعبها، ومـن ثـم بقيـة النـص أصبـح ملتبسـاً وعويصـاً بالنسـبة لي. إحتفظـت بتلـك الدراسـة لفـترة طويلـة، وكانـت نيتـي دومـاً أن أعـود إليهـا في أحـد الأيـام في محاولـة لفهمهـا مجـدداً.

في واقعـة أخـرى، اتضـح لي بأنـه بالرغـم مـن محاولتـه شرح جـمال عـالم الرياضيـات لي، لم يكـن بإمكانـه أن يهبـط الى مرتبـة أدنى كي يتنـاول الأمـر بطريقـة أقـرب إلى ذهنيتـي. في نهايـة التسـعينات، عندمـا كنـت أمـارس المحامـاة في لنـدن، طلـب منـي عمـي أن أرافقـه إلى لقـاء سـياسي. بالصدفـة، كان بحـوزتي كتـاب (نظريـة فرمـات الأخـيرة) لسـيمون سـينغ. هـذا الكتـاب الـسردي، والموجـه الى عامـة النـاس، أي ليـس لعلـماء الرياضيـات، شرح كيفيـة التوصـل الى حـل لإحـدى اعقـد المعـادلات الرياضيـة مـن قبـل عـالم في جامعـة كامبريـج في عقـد التسـعينات. أحمـد أخـذ الكتـاب منـي مـن دون أن يقـول شـيئاً. إعتقـدت في وقتهـا بأنـه أراد ان يقـرأه كونـه كتـاب يتعلـق بالرياضيـات. بعـد عـدة أيـام، وبعـد ان اقتنيـت نسـخة أخـرى مـن الكتـاب كي أكمـل قراءتـه، كان الكتـاب بمعيتـي عندمـا اسـتقلينا تكـسي سـوية. أخـذه منـي، وبنـبرة سـاخطة بعـض الـشيء قـال «لمـاذا تقـرأه؟ صـادرت النسـخة السـابقة لأن هـذا الكتـاب لـن يبلغـك شـيئا». الجـزء المفيـد فيـه، حسـب قولـه، هـو الملحـق الـذي يتضمـن الحـل للمعادلـة. كانـت نافـذة التكـسي مفتوحـة، وبصـورة تحـاكي أيـام لعبـه لكـرة السـلة في شـبابه، ألقـى بالكتـاب مـن النافـذة بصـورة بارعـة إلى أحـد المزابـل عـلى جـسر وستمنسـتر، مـما أثـار فـزع المارين. اقتنيـت نسـخة ثالثـة مـن الكتـاب، ولكـن كنـت أتقصـد ألا يـرى هـذه النسـخة عندمـا كنـت أرافقـه. بالطبـع، لم أسـتطع أن افهـم أي شيء مـن ملحـق الكتـاب.

لم تقتـصر محـاولات عمـي في تثقيفـي عـلى شـؤون الرياضيـات او الفكـر الغـربي. حـاول أيضـا أن يطلعنـي عـلى فكـر الـشرق الأوسـط، وبالخصـوص الفكـر الإسـلامي. في بعـض الأحيـان، كان يحملنـي اكـثر مـن قابليتـي، مثـلا، في إحـدى الإجـازات الصيفيـة، عندمـا أوصـاني بقـراءة الفتوحـات المكيـة لمحيـي الديـن ابـن العـربي. وجـد بـأن عليـه أن يدخلنـي إلى هـذا العـالم بصـورة متدرجـة لـذا أخـذني إلى مكتبـة متخصصـة في لنـدن (مكتبـة ارثـر بروبسـثاين) واشـترى لي كتابـين: (صـدر الديـن الشـيرازي وسـموّه الاشراقـي) لحسـين نـصر، وكتـاب آخـر لنـصر (لـكل مـن: ابـن سـينا، السـهروردي وابـن العـربي). بالرغـم مـن صعوبـة المـادة، كان هـذان الكتابـان مدخلـين جيديـن لـكل مـن الشـيرازي وابـن العـربي. هـذا الاهتـمام حـدا بي ان أخـذ دروسـاً في جامعـة ييـل حـول الملـا صـدرا والعرفـان الإسـلامي. عمـي أحمـد أيضـا أطلعنـي عـلى كتابـات محمـد باقـر الصـدر، ولكنـه أصر عـلي بـأن أُركـز عـلى كتـاب (الأسـس المنطقيـة للإسـتقراء) وليـس عـلى كتبـه الفقهيـة او (فلسـفتنا) او (اقتصادنـا). قـال لي بأنـه زار النجـف سـنة ١٩٦٦ والتقـى، مـن خـلال السـيد محمـد باقـر الحكيـم، بالصـدر وثـم بعـث لـه كتبـا عـن المنطـق والرياضيـات وهـي التـي اقتبـس الصدر

منهـا مـواد وأمثلـة في كتـاب (الأسـس).

في السـنوات مـا قبـل ٢٠٠٣، كان إيميـل أحمـد هـو galois@... وهـو عنـوان بريـدي أثـار اسـتغراب الكثيريـن، ومنهـم مسـؤولون امريـكان. كان ذلـك في الأيـام التـي سـبقت محـرك البحـث غوغـل. سـألته عـن أصـل الإسـم في العنـوان بعـد أن سـألني عـن ذلـك بضعـة مـن الامريـكان. مـرة أخـرى، وصلنـي رد منـه يوضـح الأمـر. ايفاريسـت كالـواه، حسـب روايـة أحمـد، كان عـالم رياضيـات فرنسـياً في بدايـة القـرن التاسـع عـشر. اوصـاني بعـدد مـن الكتـب عنـه، أحداهـا كان عمـلاً أدبيـاً حـول حيـاة هـذا الفرنـسي، والـذي قـرب لي شـخصية كالـواه، ومـن خلالـه قـرب إلى شـخصية أحمـد ولمـا اختـار هـذا الإسـم لعنوانـه البريـدي. لم يكـن كالـواه عالمـا فحسـب، بـل كان أيضـا أحـد زعـماء الحركـة الطلابيـة، الذيـن تحـدوا سـلطة الطبقـة السياسـية إبـان حكـم الملـك لويس-فيليـب الأول في فرنسـا. عندمـا فهمـت الربـط، تكلمـت معـه عـن اختيـاره الغريـب لعنوانـه الالكـتروني، فقـام بـسرد قصصـه عندمـا كان طالـب دكتـوراه في جامعـة شـيكاغو، اثنـاء اعـمال الشـغب المصاحبـة لمؤتمـر الحـزب الديموقراطـي سـنة ١٩٦٨، حيـث كان يقـود سـيارة الكاديـلاك الخاصـة بـه عـبر الحواجـز (ولم تكـن الشرطـة تتصـور بـأن مـن يقـود كاديـلاك فاخـرة سـيكون متواطئـاً مـع المتظاهريـن) ليوصـل الطعـام والبطانيـات الى المتظاهريـن. اذن هـذا كان هـو الرابـط الحقيقـي.

في سـنوات ٢٠٠٣ و٢٠٠٤، في العـراق، عملـت عـلى معاونتـه في مجلـس الحكـم. في أحـد الأيـام، وأثنـاء جلوسـه في أحـد الإجتماعـات المطولـة هنـاك، رأيتـه وهـو ينكـب عـلى ورقـة ويخـط أمـوراً ورمـوزاً عـلى ورقـة بصـورة محمومـة. عنـد حلـول العـصر، وأثنـاء احـدى الاسـتراحات، أشـار الي بـأن أتقـدم اليـه، واعطـاني رقـم تلفـون في شـيكاغو كي اتصـل بـه. قـال لي بـأن هـذا رقـم أسـتاذ في جامعـة شـيكاغو. قلـت لـه بـأن السـاعة لا تـزال مبكـرة للإتصـال بشـيكاغو مـع فـارق التوقيـت، لكنـه اصر وقـال بـأن هـذا الامـر مهـم وبـأن الشـخص الـذي سـيتلقى المكالمـة سـيكون مـسروراً بهـا. طلـب منـي أن أذكـر اسـمي وبـأن أقـول لـه بـأن أحمـد قـد طـور بعـض الأفـكار لحـل إحـدى المعاضـل الرياضيـة التـي تناقشـوا فيهـا وبـأن أحمـد سـيتصل بـه لاحقـا. قـال لي أحمـد، إذا أصر الأسـتاذ عـلى مزيـد مـن التفاصيـل، اقـرأ لـه هـذه الحلـول والمعـادلات مـن عـلى هـذه الورقـة. قمـت بالاتصـال، وعليـه طلـب الأسـتاذ (الـذي نسـيت اسـمه) منـي ان اقـرأ لـه مـا في الورقـة مـن «شـخبطات». ففعلـت ذلـك، وكنـت أشـعر بـأن الأسـتاذ يـزداد حماسـاً مـع كل مجموعـة مـن الشـخبطات التـي أقرأهـا. وجـه بعـض الأسـئلة إلى أحمـد وطلـب منـي أن أنقلهـا فـوراً. مـن بعـد الاجتـماع، قدمـت الأسـئلة الى أحمـد، فابتسـم وقـال «أرى بأنـه فهـم مـا كنـت ارمـي اليـه. سـالم انـت قمـت بـشيء عظيـم. هـذه لحظـة عظيمـة بالتاريـخ.» حزنـت وقتهـا لأننـي لـن أسـتطع فهـم مـا دار مـا بـين هذيـن الرجلـين أبـدا بالرغـم مـن كل مـا لـدي مـن إدراك، ولا فهمـت تبعـات تلـك اللحظـة العظيمـة.

إزدادت ثقتـي بفهمـي لهـذا الرجـل مـع مـرور العمـر ونضوجـي، لـذا بـدأت أنصحـه ببعـض الكتـب. ومـن أوائـل هـذه النصائـح كان كتـاب (العـم بـتروس وحـدس جولدبـاغ) لأبوسـتولوس دوكياديـس، الـذي قـرأه في غضـون سـاعتين في إحـدى رحلاتـه المكوكيـة عـبر المحيـط الأطلـسي عـلى مـتن الخطـوط الجويـة الهنديـة أيـام المعارضـة، وكـم كان مدى اغتباطـي عندمـا اتصـل بي عنـد وصولـه وقـال لي بأنـه احـب الكتـاب كثـيرا.

وهكذا، عندما كلمته يوم ٢ نوفمبر ٢٠١٥، كنت مسافرا الى لندن لحضور اجتماع لاحد وكلائي، ومكتبتي التي اقتني منها الكتب، جون ساندو، قد احتفظت بنسخة من كتاب نيال فرجيسون (كيسنجر: المثالي) لأجلي. عندما ذهبت كي استلم النسخة، وجدت فيها استعراضا لفون مترنيخ، لذا اتصلت بأحمد وسألته إن كان يريد نسخة أخرى منه. استمرت المكالمة لأقل من دقيقة، قال لي خلالها بأنه لربما سيطلب كتباً أخرى من لندن وقد يتصل بي لاحقا مع العناوين. كانت تلك آخر مرة سمعت بها صوته.

إتصلت بي ابنته تمارا صباحاً لتخبرني بالخبر الحزين حول وفاته. سارعت بالسفر عائداً إلى بغداد. عند وصولي هناك، وصلني طلب وجيز من نبراس الكاظمي، وهو صديق حميم لعمي. «ماذا كان آخر كتاب يقرأه؟» كان طلبا غريبا في لحظتها، ولكن فيه دلالة. هذا شخص كان يعرفه بصورة عميقة، ويعرف بأنه بالرغم من مثالب عمي، فإن حبه للكتب والمعرفة كان أهم شيء، ولكي يُفهم هذا الرجل، علينا فهم ما كان يقرأه. وكان جوابي هو كتاب ربيكا جولدشتاين بعنوان (عدم الاكتمال: حجّة كرت كودل وتناقضاته)، الذي وجدته مفتوحا على الطاولة المجاورة لفراشه. وكنت سعيدا أيضاً، وربما السعادة هي ليست الوصف الصحيح هنا لما كنت أشعر به، لأنني وجدت أحد الكتب التي أوصيته بها أيضا على مكتبه، وهو كتاب عن سيرة هايلي سيلاسي ملك الحبشة بعنوان (ملك الملوك) لآسفا اسيراتي.

إحدى آخر ذكرياتي عن اهتمامات أحمد الثقافية حصلت في عام ٢٠١٤ في العراق، في أمسية جمعتنا مع مؤرخ عراقي بارز، سالم الآلوسي. حينها، كان أحمد قد قضى عشر سنوات في العراق، في خضم السياسة. لذلك، تفاجأت عندما اتى الى منزله وذهب مباشرة الى مكتبه واختار منها ثلاثة او اربعة كتب عن الرياضيات البابلية، وبالتحديد كتاب لنيوجيباور (عالم رياضيات نمساوي)، وهو كتاب كان متعلقا به، وكتاب آخر لعالم دنماركي متخصص بالرياضيات البابلية من بداية القرن العشرين. طلب مني اصطحابه الى العشاء، لأن الآلوسي سيكون هناك، وقال لي بأنني سأستمتع بهذه الأمسية. حاولت أن أشاركهم الحديث، من خلال إشارتي بأنني في أولى سنوات دراستي في جامعة ييل، سجلت نفسي في محاضرات هذا العالم الدنماركي، آسكر آبوي، صاحب الاهتمام بالرياضيات البابلية، ولكنني للأسف لم أستفد كثيراً من علمه لأن الدرس كان في طليعة الصباح مما حال دون ارتيادي له. لم يأخذ عمي مداخلتي هزلاً، كما كانت الغاية منها، بل كان ممتعضاً، وبادر إلى شرح بعض أفكار آبوي، الذي كان، حسب وصفه، عالما في مجال الفلك البابلي اكثر من الرياضيات، وبأنه كان أحد تلامذة نيوجيباور، وبأنني أضعت فرصة للتعرف على احدى علوم البابليين من شخصية بارزة مثله. ما لحق هذا التوبيخ كان من اجمل الامسيات في حياتي، وانا اشاهد احمد والآلوسي يتبادلان النظريات حول الرياضيات والتاريخ. هنا، وفي حالة نادرة، وجدت أحمد بمثابة الطالب. كان يسأل الآلوسي، الذي عمل سابقا كمدير عام للآثار بالإضافة إلى عمله كمؤرخ، عن أقدم محلات بغداد (...العطيفية، حسب إجابة الآلوسي)، ومن ثم شرع الآلوسي بشرح أوائل الطابوق وعملية رصه في بغداد القديمة، وهو موضوع تفاجئت بأن احمد لم يكن

يعـرف الكثـير عنـه. في تلـك الأمسـية، شـاهدت أحمـد وهـو مفـرط بالبشاشـة والفـرح، واقتنعـت بـأن في نهايـة الأمـر، كان عـالم الكتـب والمعرفـة هـو أكـثر مـا كان يحبـه. شـعرت بـشيء مـن الحـزن لأننـي اقتنعـت أيضـاً بأنـه لربمـا زاول السياسـة مضطـراً، بعيـداً عـن حبـه ذلـك.

سالم الجلبي
٢٦ آب ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

رجل الأحلام الصعبة

كان بإستطاعة أحمد الجلبي أن يكون رجلاً ناجحاً خارج بلاده. تفوقه العلمي ظهر باكراً. لكنه فضل عدم الاستقالة من قدره خصوصاً أنه سليل عائلة انخرطت في العمل السياسي والوطني. هاله أن يكون العراق «دولة غنية شعبها فقير». إستنتج أن لاأامل بتغيير المشهد من دون إسقاط النظام الديكتاتوري الذي يبدد ثروات البلاد في المغامرات العسكرية ويعتقل في الداخل طاقات المواطنين وحرياتهم. وهكذا ألقى بنفسه وعلى مدار عقود في صراع محموم كان يبدو بلا أمل.

أكتب استناداً الى ما سمعته منه. لاحظ أن القوى الداخلية فشلت في إسقاط نظام البعث على رغم ما قدمته من تضحيات. واعتبر ان هذا النظام الذي ضرب جذوره في عمق المجتمع لن يسقط إلا تحت ضربات قوة خارجية كاسحة هي اميركا. درس دهاليز صنع القرار في واشنطن ثم راح يعمل كمن يحفر الجبل بإبرة. وساعدت ارتكابات صدام في الكويت وبعدها أحداث ١١ ايلول(سبتمبر) ووجود إدارة جورج بوش الابن في جعل اقتلاع النظام ممكناً بعدما كان يبدو مستحيلًا.

روى لي قصة تلك الرحلة الشاقة. وروى لي خيباته حين اختار الاميركيون اقتلاع النظام وفق حساباتهم وما ارتكبوه لاحقا خصوصا لجهة تبديد الجيش العراقي.

قبل غيابه بشهور التقينا في لندن. سألته ان كان نادماً فرد بالنفي. قال إنه لولا مجيء الاميركيين لكان العراقيون يعيشون اليوم في ظل صدام حسين أو نجله. لكنه بدا قلقاً من أن يفشل العراقيون بعدما فشل الاميركيون. ويقصد ان يفشل العراقيون في بناء دولة ديموقراطية وعصرية ترمم القرار العراقي ولا تبقي البلاد مسرحاً للمغامرات ولعبة تحريك الأوراق والتقاتل بواسطة العراقيين.

مرحلة ما بعد صدام ادخلت قدراً من الحزن على قراءته للمشهد العراقي. كان مصابا بهاجس التحاق العراق بالعصر. ويعتبر أن البلاد تملك من القدرات ما يؤهلها لهذا الانتقال. لكنه كان يتبرم من التمزقات العميقة. والقوى المصرة على الاقامة في الماضي. وافتقار لاعبين اساسيين الى الرؤية الشاملة وعدم إدراكهم أهمية تحسين معيشة المواطن العادي وبناء مؤسسات عصرية جامعة.

كنت أجمع الروايات عن عهد صدام حسين حين ذهبت اليه. وكانت ثمرة اللقاءات حلقات من الذكريات نشرتها «الحياة» في آذار (مارس) ٢٠٠٩. وأثلج صدري أن سياسيين عراقيين بارزين عاشوا تلك المرحلة أشادوا بدقة روايته.

بعدها انعقدت بيننا صداقة صحافية استمرت حتى غيابه. إلتقينا في بغداد وبيروت ولندن. كان يكفي الاتصال به هاتفياً للاستماع الى قراءته للتطورات العراقية والاقليمية وإدراكه النوايا الحقيقية للاعبين على المسرح المضطرب للشرق الاوسط.

أثـارت تجربتـه جـدلاً عميقـاً وانقسـامات. كان يثـير الاعجـاب لـدى البعـض والمخـاوف لـدى البعـض الآخـر. ظـل متمسـكاً بحلمـه العراقـي عـلى رغـم اسـتمرار التدهـور في أداء القـوى العراقيـة. أصـاب وأخطـأ لكـن لا يمكـن كتابـة قصـة العـراق الحـالي مـن دون التوقـف طويـلاً عنـد قصتـه. كان مـن قماشـة الشـجعان المغامريـن الحالمـين. وفي العـراق، كـما في الـشرق الاوسـط، مـا أصعـب الأحـلام.

غسان شربل
٧ أيلول ٢٠١٦

أود أن أوجه هذه الرسالة إلى أحمد

العزيز «أحمد»،

قد طُلِب مني أن أكتب شيئا في ذكرى صداقتنا.

من أين أبدأ؟ ولدنا في نفس الشارع، تفصلنا بعض الدور، ونشأت صداقة بيننا دامت العديد من السنوات. كان مقدّر لنا بأن نصبح أصدقاء نظراً إلى العلاقة الوثيقة بين أُسرتينا، ولكن الأمر كان اكثر من ذلك: كنت أنت أعز الأصدقاء في عمري الطويل.

مع مرور السنوات، خضنا العديد من المغامرات، والكثير من الأوقات السعيدة، وكذلك التحديات المريرة.

فقدنا الاتصال عندما ذهبت انت الى بريطانيا سنة ١٩٥٨ بعد الانقلاب في العراق، وثم الى الدراسة الجامعية في أمريكا. ومن ثم عدت الى لبنان حيث تم تعيينك أستاذاً للرياضيات في الجامعة الامريكية ببيروت. وأخيرا، عندما وجدتك في الأردن سنة ١٩٧٥، كان قد عاد إليّ أعز صديق.

أثناء مكوثك في الأردن، إستطعنا أنا وأنت أن نساعد الكثير من اللاجئين العراقيين. أنت لعبت دوراً كبيراً في مساعدة الكثير من العوائل العراقية وإن كان الفضل يحتسب في العلن إليّ، ولكن لما كان باستطاعتي ان انجز هذا من دونك. كنت دائماً موجوداً من جانب الدعم المالي والمعنوي.

للأسف، كان لزاماً عليك أن تغادر الأردن فجأة سنة ١٩٨٩. كانت هذه المغادرة صدمة بالنسبة للكثير من الأصدقاء والاهل وكذلك المواطنين العراقيين الذين كانوا يعتمدون عليك، حتى في هذه الظروف الحالكة. وعندما لم يكن لديك ما يكفي كي تمضي في طريقك، أتذكر واحدة من هذه العوائل، وهي واقفة على عتبة دارك وبحاجة ماسة للمعونة المالية، وبالرغم من شحة مواردك في تلك اللحظة، قمت وأعطيتهم تقريباً كل ما لديك، مفسراً الأمر لي بأن حاجتهم أكبر من حاجتك. كرمك وايثارك لم يكن لهما مثيل.

بعد مغادرتك الأردن، عملت على توحيد المعارضة العراقية وفي سنة ١٩٩٢ أسست «المؤتمر الوطني العراقي» ليكون مظلة لكافة فئات وتنظيمات المعارضة. كانت هذه المرة الأولى التي تجتمع فيها كل هذه الفصائل من أجل هدف واحد، ألا وهو إزاحة صدام حسين وحزب البعث.

أثناء الفترة الممتدة من عام ١٩٩٢ إلى عام ٢٠٠٣، بقيت دوماً متفائلاً حتى في اصعب المراحل وأكثرها إحباطاً، حينما كان اليأس قد أصاب الكثيرين، بل اطلقت عليك كنية «EO» في وقتها اختصاراً لمصطلح «Eternal Optimist» (المتفائل الابدي).

في عام ١٩٩٨، عندما كانت الأمور في اشد ظلامها، انت وحدك كنت مؤمنا بأننا في احد الأيام سنعود الى العراق، ومن ثم استطعت أن تخطف الأمل والنصر من مخالب الشيطان عندما استصدرت «قانون تحرير

العـراق» وبـه بـدأت عمليـة العـد التنـازلي لعودتنـا الى بلدنـا.

عدنـا كلانـا إلى وطننـا العـراق في نيسـان ٢٠٠٣، حيـث قضيـت بقيـة حياتـك لحـين مماتـك يـوم ٣ نوفمـبر ٢٠١٥، وأنـت تحـاول جاهـداً إيجـاد الحلـول لمشـاكل العـراق. ولكـن للأسـف هـؤلاء الذيـن تسـلطوا منـذ عـام ٢٠٠٣ كان همهـم الأكـبر هـو ملـئ جيوبهـم بصـورة غـير مشروعـة وليـس خدمـة العـراق وشـعبه بنيـة صافيـة. عملـوا كل مـا بوسـعهم لإبعـاد مـن أراد ان يخـدم البلـد بإخـلاص، وكنـت أنـت أحـد ضحاياهـم.

أتذكـر اننـي كنـت جالسـة معـك في أحـد الأيـام، وكنـت أسـألك مـاذا تعتقـد بأنـك قـد أنجزتـه في حـين انهـم كانـوا يحاربونـك عـلى كل شـبر مـن المسـيرة، ويمنعـون عنـك المناصـب التـي كنـت تسـتطيع مـن خلالهـا أن تلعـب دوراً مهـماً في ترميـم العـراق ونهضتـه. أجبتنـي، «مـاذا تقصديـن؟ أنظـري إلي، كان حلمـي دومـا أن أعـود الى الوطـن، وهـا أنـا في بلـدي وفي منـزل والـدي».

أرقـد بسـلام يـا صديقـي العزيـز. قـد عـدت إلى الوطـن حيثـما أردت أن تكـون، وقـد وري ثـراك في الحـضرة الكاظميـة المقدسـة، عـلى مقربـة مـن ذاك المنـزل الـذي بقـي عالقـاً في قلبـك.

تمارا الداغستاني
٢٠ آب ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

أحمد الجلبي كما عرفته

في الذكرى الأولى لرحيل السياسي الكبير الدكتور أحمد عبدالهادي الجلبي وجدت من الضروري أن أكتب هذه الخواطر وأسلط الضوء على بعض الذكريات التي قضيتها في شطر كبير من حياتي مع هذا العراقي اللامع الذي كان له دور كبير ومميز في الإطاحة بالنظام الدكتاتوري السابق وتدشين مرحلة سياسية جديدة قائمة على الأسس الديمقراطية التي حلم بها الجميع، ولكن تشاء العواصف السياسية والاجتماعية أن تحول -الى يومنا هذا- دون تحقيق ذلك الحلم الأثير عند الجلبي الذي أفنى شطرا كبيرا من حياته لتحقيقه في العراق. كان الرجل أحد أهم الرموز السياسية العراقية المعارضة الذي ناضل بعناد وإصرار ضد الدكتاتورية البغيضة بالعراق الى أن نجح مع القوى السياسية الكردية والعراقية في الإطاحة بذلك النظام ووضع اللبنات الأساسية لنظام ديمقراطي فيدرالي في العراق.

لقد تعرفت على الراحل الكبير برفقة الرئيس مام جلال في أواخر عام ١٩٨٨ في لندن حينما جمعنا موعد على العشاء في منزل الأستاذ المرحوم سليم الفخري الضابط العراقي المعروف والمعارض الديمقراطي ضد نظام صدام حسين حينذاك، وكان معنا الدكتور حسن الجلبي الشقيق الأكبر للراحل. وكانت المناسبة التي جمعتنا هي عودتنا من سفر الى الولايات المتحدة حيث التقى فيها الرئيس مام جلال المسؤولين الأميركان، وهي الزيارة الأولى لنا الى هناك؛ إذ إجتمعنا بالعديد من مسؤولي الإدارة الأميركية وتم شرح الوضعين الكردي والعراقي في أعقاب قيام النظام الصدامي بجرائمه البشعة بقصف مدينة حلبجة بالغازات السامة وإنطلاق حملات الأنفال سيئة الصيت. وقد أعجبت منذ البداية بشخصية الدكتور أحمد الجلبي وما يملكه من معلومات غزيرة عن الأمريكان والشخصيات التي إلتقيناهم هناك وفرح جداً بنتائج تلك الزيارة والبدء بإقامة علاقات بين قوى المعارضة العراقية والجانب الأميركي. وبعد هذا اللقاء إتفقنا على التواصل مع بعض والتنسيق بيننا لخدمة نشاطات المعارضة والعمل معا لإدامة العلاقات مع أطراف القرار السياسي العالمي.

بعد ذلك توطدت علاقاتنا وأصبحنا أصدقاء حميمين نلتقي في مكاتب المؤتمر الوطني العراقي لسنوات عديدة وفي مناسبات عديدة أخرى، نتبادل فيها الآراء ونتناقش في مجمل القضايا السياسية التي تهم الشأن الكردي والعراقي، ونخوض في العديد من المسائل في جلساتنا التي كانت تتخللها بعض النكات الى جانب القضايا المهمة، وكانت تلك من مزايا هذا السياسي الكبير الذي تعود أن يبعث بعض الفرح أثناء مناقشاتنا السياسية ويزيل عنا تعب تلك النقاشات الجادة.

لقد عمل جميع القادة السياسيين الكرد والعراقيين على تأسيس مظلة سياسية جامعة وموحدة لقوى المعارضة العراقية الموزعة بأنحاء العالم، وبحثت فكرة تأسيس المؤتمر الوطني العراقي بحيث يكون مظلة جامعة وموحدة لقوى المعارضة العراقية، الى جانب إشتراكنا في قضية أخرى وهي الإهتمام بحقوق الإنسان وأسسنا معا مؤسسة (INDICT) المعنية بالدفاع عن الحريات الشخصية وإدانة جرائم نظام صدام ومحاكمة

رموزه وأعوانه لاستخدامه الغازات السامة في القصف والهجوم على كردستان وكذلك قيامه بتجفيف الأهوار وغيرها من المجازر المرتكبة بحق الشعب العراقي. وكنا نسافر مراراً معاً الى بلدان أوروبا وأميركا لشن الحملات المناهضة لنظام صدام والدفاع عن قضايا الشعبين العراقي والكردي.

وبعد تأسيس المؤتمر الوطني العراقي الموحد وإنتخابنا معا لقيادته في مؤتمر فيينا، أصبحنا على تماس واتصال دائم للتنسيق والتعاون المشترك لتنظيم نشاطات قوى المعارضة العراقية في الخارج الى حين أقيمت منطقة الحظر الجوي في كردستان العراق بقرار من مجلس الأمن، حينها عاد الدكتور الجلبي الى العراق وإستقر في إقليم كردستان الى حين سقوط النظام العراقي في ٢٠٠٣.

كان الدكتور الجلبي إنساناً ذكياً للغاية ويتمتع بذاكرة قوية تختزن الكثير من المعلومات، حيث كان بمثابة موسوعة معلومات، وكانت ذاكرته تسعفه دائماً في تذكر تفاصيل دقيقة لما كان يجري من المناقشات والمواقف في الكثير من الإجتماعات، بالإضافة الى خزينه من معلومات قيمة عن تاريخ الشعوب والدول، وكان يحب أن يقرأ الكتب الضخمة حول التاريخ والسياسة ومجال تخصصه بعلم الرياضيات وجمع اللوحات الفنية العراقية.

كان الدكتور الجلبي عراقياً صميماً، همه الوحيد هو إنقاذ العراق من الحكم الدكتاتوري وبناء أسس نظام ديمقراطي أكثر إنسانية، وكان ديمقراطيا ليبراليا، لا ينحاز الى فئة أو مذهب أو قومية خاليا من شعور التعصب أو التمييز العنصري، بالإضافة الى جانب آخر لم يعرفه الكثيرون عنه في شخصيته وهو أنه كان خجولاً جداً وخاصة من الناحية الاجتماعية، حتى عده الكثيرون بانه شخص إنعزالي دون أن يعرفوا مدى خجله، كما كان محباً للأكل يستطيب الطعام اللذيذ بشكل كبير. وكان ملما ومهتما بالفنون وخاصة الفن التشكيلي، الى جانب شغفه بأعمال النجارة حتى أنه كان يأتي بأخشاب البلوط من كردستان ويشرف بنفسه على نحتها وصنع التحف الخشبية منها وكان يضفي عليها من لمساته الوديعة.

أما الحديث معه فقد كان ممتعا للغاية يتطرق خلالها الى قضايا متنوعة ومتشعبة بثقافة ودراية عالية من معلوماته، وكان رحمه الله عاطفيا يتأثر حتى بالأخبار والحوادث البسيطة. وكان حريصاً جداً على صحته، حتى أنني إستغربت وتأسفت كثيرا حين تلقيت خبر وفاته المبكر لأن الرجل كان في قمة صحته قبل أيام من وفاته حين رأيته، وكان هو ينصحنا بأداء التمارين الرياضية يومياً حفاظاً على صحتنا.

شكّل رحيله المبكر خسارة كبيرة للشعب العراقي عموماً؛ حيث خسر أحد ألمع الشخصيات السياسية والعلمية، فقد كانت طموحاته تنحصر فقط في خدمة العراقيين وتوفير الحياة الكريمة لهم، ولذلك قام بجهد جهيد مع الأمريكان ودول أوروبا من أجل تلقي الدعم للعراق. ورغم أنه لم يعط حقه من الإهتمام والدور القيادي في الحكومة وهذا كان خطأ الطبقة السياسية التي حكمت العراق في أعقاب سقوط الدكتاتورية. ويكفي الدكتور أحمد الجلبي فخراً أنه أدّى دوراً كبيراً ومؤثرا في إنقاذ العراق من الدكتاتورية، فقد أعطى ولم

يأخـذ شـيئاً وحسـبه رضـا العراقيـين لمـا قـدم وأعطـى.

لا يسـتطيع المـرء حـين يكتـب عـن علاقـة صداقـة وعمـل سـياسي مشـترك إسـتمرت لسـنوات طويلـة مـرت بهـا الكثـير مـن التحديـات والصعوبـات أن يختـزل جميـع الأحـداث والمواقـف في مقـال واحـد أو حتـى عـدة مقـالات، فهـذا يحتـاج حقـاً الى مجلـدات عـدة ليـوفي الأمـر حقـه، ولكـن أرجـو أن تكـون هـذه الكلـمات القليلـة قـد ألقـت بعـض الضـوء عـلى تاريـخ الدكتـور أحمـد الجلبـي الـذي سـنبقى لوقـت طويـل نتذكـر مواقفـه الوطنيـة وتاريخـه السـياسي وشـخصيته الفـذة بفخـر واعتـزاز كبيريـن.

عبد اللطيف جمال رشيد
١ أيلول ٢٠١٦

كيف خَلَّص أحمد الجلبي العراق مرّتين

يشكّل صيف ٢٠١٤ محطّة محوريّة في تاريخ الشرق، عندما مَحَت جحافل «الخلافة الإسلامية» الحدود المرسومة منذ أكثر من قرن بين سوريا والعراق، واحتلَّت مساحات شاسعة في الدولتين عائثة فيها القتل والتهجير والدّمار.

وصادف هذا الحدث التاريخي زيارةُ أحمد الجلبي الى بيروت في الثاني من آب، استفدت منها لأجمعه مجدداً بصديقي الأستاذ وليد جنبلاط، أملاً في أن يلتقي الزعيمان المميَّزان بذكائهما وخبرتهما وحنكتهما وعِلمهما ، على عملٍ مشترك لمواجهة حالةٍ شرق أوسطية جديدة تمثّل تحدّياً خاصاً كما فرصةً مميزةً – على قول جان موني فالتحدّي والفرصة توأمان في التاريخ – لخطٍّ طريقٍ مستحدَث بين قيادة عراقية فذّة وزعامة لبنانية راسخة في أفضل ما تشتركان به، وهو رفض الإستبداد ومجابهةٌ شجاعة لمن يتفرّد في الحكم ويقمع الحريّات.

للأسف لم يحصل مثل هكذا تقارب، لكنَّه، وقناعة منّي بقدرة أحمد الجلبي على أفضل معالجة للأزمة التاريخية في العراق، عزمْتُ على مرافقته الى بغداد وأمضيت زهاءَ أسبوعٍ معه في دار «السيف» الذي أحياه متحفاً من الفنّ العربي والهندسة الأنيقة بروح سومَريَّة، في بستان النخيل الوارف بقلب عاصمة العباسيين، وهدفي من الزيارة مزدوج. فالسعي الأوّل كان في المساهمة بإنهاء تسلّط رئيس الوزراء السيّد نوري المالكي على الحكم، وهو الذي كان بسياسته الطائفية القاسية قد غذّى تراب التطرّف الذي نتج عنه إنشاء «الخلافة» في الموصل وفي الرّقة في تموز ٢٠١٤، وقَتْلها المئات من العراقيين والسوريين بهمجيّة لم يسبقها اليها سوى عهد المغول ومن تتلْمَذَ عليهم من عتاة الشرق المعاصرين، صدّام والأسدين والقذافي... أما وقد كنت قد رافقت العراقيين في مسارهم الشاق إلى الحرية على مدى ثلاثة عقود، آخره حضور يومي في هيئة تعديل الدستور التي أنجزَت عملها عام ٢٠٠٩-٢٠١٠ – وإن لم يقرّ النص حكومياً، فقد أدَّت هذه التجربة الفريدة الى مسوَّدة للإصلاح اعتنقها مجلس النواب آنذاك، ولا تزال قائمة حتى اليوم -، كما العمل أسابيع وأشهر برفقة أفضل قادة العراق في الهيئة، وعلى رأسهم عند زيارتي بغداد ضيفاً على أحمد الجلبي ، رئيس الجمهورية الدكتور فؤاد معصوم ورئيس مجلس النواب الدكتور سليم الجبوري.

وتحصيل القول إن هدفي الأول كان ترجيح التفسير الدستوري الذي يخلّص العراق من وطأة المالكي، مع أسفي أن نوري المالكي نفسه كان بِشارة حكم القانون لمَا تصدى في بداية عهده بشجاعة للميليشيات الشيعية العابثة بمدينة البصرة ، فتحوّل إلى عنوان التشبث في الحكم رغم الأخطاء الفادحة التي أدّت، في ما أدَّت اليه، الى تجميد الإصلاح الدستوري الذي ذكرته، تفضيلاً منه لتعديل يجعله رئيساً للجمهورية على غرار رؤساء الشرق المتسلّطين؛ كما في المضي في سياسة طائفية أنتجت مع صنوها في سوريا أعنف الردّات الطائفية وانتصار داعش على مساحات سنّية واسعة تمتدّ من غرب بغداد الى شرق دمشق. كان أساسياً في صيف ٢٠١٤ أن يُرغم المالكي على ترك الحكم، وحجةٌ فاصلة كانت عندي دستورية.

أما الهدف الثاني، فكان أن رواج إسم أحمد الجلبي الذي تناولته الصحف العالمية كمرشح وفير الحظ لرئاسة الوزراء في العراق قد يستفيد من بعض الحديث المحكم له، ومن حجج أفضليته على غيره من الأفاضل- وكنت رغم محبّتي لأحمد قد أعلنت تفضيلي لجعفر الصدر إبان الإنتخابات السابقة عام ٢٠١٠.

أما وانتصاري لأحمد عام ٢٠١٤، فكان مرتكزَه قدرتُه الجبارة على العمل الفعّال والسريع والهادف في المناسبات الضاغطة كالتي يعيشها العراق في أوج توسّع داعش. لم أنجح بإضافة صوتي المتواضع إلى ما يرجّح كفَّته – لا سيما بسبب محاربة الحكومة الإيرانية له خوفاً من ذكائه واستقلاليته. فتواتر اسمه في الأيام الأخيرة، مصادفاً لقائي بكلٍّ من رئيس الجمهورية ورئيس المجلس النيابي ورئيس المحكمة الدستورية، الدكتور مدحت المحمود، والثلاثة من زملاء النضال الإصلاحي الدستوري على امتداد أشهر وسنوات، لم يكن كافياً لانتخاب أحمد رئيساً للوزراء، ولو نجح في إقصاء المالكي من رئاسة أرهقت العراق والعراقيين بالفساد والأثرة والطائفية.

وَصَلْت الى بغداد معه في الثالث من آب ٢٠١٤ مساءً والتقيت بالدكتور سليم الجبوري ظهراً في اليوم التالي. وفي اللقاء أعربت له عن هدفي المزدوج ، فرأيته مهتماً بالشقّين الدستوري والسياسي على السواء، مؤكداً ارتياحه لأحمد الجلبي بسبب ابتعاده عن المواقف الطائفية – وثقته كرئيس مجلس النواب بقدرة أحمد مراعاة مصالح أهل السُنّة ومشاعرهم المهانة. وبعدما أعلمت الدكتور فؤاد معصوم عن سفري الى العراق – وهو الصديق الذي عرفته على امتداد عشرين عاماً أزهرياً خلوقاً وطنياً حكيماً-، اتصل بي مكتبه عارضاً مقابلة رئيس الجمهورية بمعيّة أحمد في الساعة السادسة من اليوم التالي، فأومأت لأحمد الذي فضّل لقاءه بالإستقلال عني – وعندي أنه أخطأ في هذا لأن إشارة الدكتور فؤاد كانت واضحة، وهو على علمٍ بوجودي ضيفاً عند أحمد، ويقينٍ بتاريخ نضالنا المشترك العميق.

خلاصة القول أنه عند لقائي رئيس الجمهورية ، أثبت ارتياحه للمدى الدستوري المتاح له في تعيين رئيس وزراء غير المالكي ، لكنني لم ألمس عنده الحفاوة التي وجدتها عند الجبوري في تعيين الدكتور أحمد رئيساً للوزراء. من يدري كيف كانت الأمور لِتتطور لو رافقني أحمد الجلبي الى القصر الرئاسي وعُيّن هو بدل السيد حيدر العبادي؟ جلُّ ما أذكره من أحمد أنه أكّد لي عزمه لو نجح أن يخلي سبيل مئة ألف عراقي سنّي من السجون الحكومية ليعيد الثقة الى مواطني العراق. لا جواب للإفتراض في التاريخ، بل رجاء وتأمل وعزاء.

يبقى أن التاريخ أنصف حُسْنَ ظنّي بطاقات أحمد الجلبي الهائلة، وإليكم القصة التي عشتها خلال ثلاثة أيام، من الرابع الى السادس من آب ٢٠١٤، وكانت أياماً من تلك التي يخصّها التاريخ بتألق خاص. يعرف الجميع دور أحمد الجلبي الفريد في إسقاط نظام صدام حسين. ما لا يعرفه العراقيون هو دور أحمد الجلبي ذاك الأسبوع من صيف ٢٠١٤ في خلاص الشمال العراقي من توسّع داعش المنذر باحتلال مقاتلي «الخلافة» لعاصمته. فلو عادوا الى ذاكرتهم ، لانتبهوا الى سرعة الوتيرة العسكرية في احتلال جبال سنجار، وسقوط الموصل

حتى سدِّها، فوصول داعش الى أقلّ من عشرين كيلومتراً من عاصمة العراق الكردي. وإضافةً الى الخطر المحدق في اربيل، جاء تقدم داعش مرافقاً لمئات الآلاف من النازحين الى كردستان، مما زاد الفوضى والخوف ووتيرة الانهيار الشامل، في حين كان واضحاً أن البشمركة والقوات العراقية في تراجع مستمر.

هنا جاء دور أحمد الجلبي الفاصل.

معروفة لدى الجميع العلاقة الوطيدة بين أحمد الجلبي والحكومتين الأميركية والإنكليزية حتى إعلان «احتلال» العراق المشؤوم، بعد ثلاثة أشهر من تحريره من كبوة صدام حسين، وإن كانت هذه العلاقة تمرُّ في أطوار مختلفة من التشنج والتواصل أمْلَتْها وطنيّة أحمد على الغالب، في وقوفه المبدئي ضدَّ تصرفات محتلٍّ جاء بثياب التحرير، أو هو المحرِّر الذي آمن به فجاء بثياب الإحتلال؟... هذا جدل واسع. ممّا لا ريب فيه أن علاقة أحمد بالحكومة الفرنسية كانت بالمقابل دوماً ضعيفة، في ظلّ تاريخ الوئام المديد بين صدام حسين والرئيس جاك شيراك، وسياسة فرنسا النفطية التي فضَّلت بها حكوماتها المتعاقبة رفض أي حديث مع المعارضين العراقيين العرب والإلتصاق بمصالحها مع صدّام حسين حتى آخر يوم ، أي حتى إسقاطه الأميركي-البريطاني في ٩ نيسان عام ٢٠٠٣.

ذاك الأسبوع في أوائل آب ٢٠١٤ ، كانت الإتصالات عالمياً على قدمٍ وساق على خلفيّة الإنهيار الشامل أمام داعش، ورئيس كردستان الأستاذ مسعود البارزاني على تواصل كلّ ساعة مع أحمد الجلبي للإستشارة والتنسيق. وكان أن اشتركنا في الرأي بأن الرئيس الأميركي أوباما متأخر دائماً في أي تحرك رادعٍ في الشرق الأوسط، بعد سحب جميع جنوده من العراق بنهاية العام ٢٠١١، ورفضه البات لأي دعم فعال للمعارضة السورية ضدّ بطش الحاكم الدمشقي حتى بعد استعماله الغازات السامة ضدّ المدنيين في صيف ٢٠١٣.

أما الرئيسان الفرنسيان ساركوزي وهولاند، فكانا في مقدّمة نصرة الثورة ضد القذافي في المقام الأول، والتدخل الفرنسي الحاسم في مالي ضد داعش وأخواتها في المقام الثاني.

وذاك المساء، أظنّه في الرابع من آب ٢٠١٤، في جوّ من التقهقر والضياع أمام امتداد «الخلافة»، اتصل أحمد الجلبي بالسفارة الفرنسية في بغداد، وطلب مساعدة الفرنسيين المباشرة، وهو الذي كان منقطعاً عنهم في جفاء متبادل لسنوات طويلة. وما لبثت الدهشة التي قابلت الاتصال أن تحوّلت الى تحرك فرنسي غير مسبوق، فجاء حديث وزير الخارجية الفرنسي لوران فابيوس غداته بادرة تراجع خَطَر داعش على اربيل. وللأمانة التاريخية، سمعت في بغداد آنذاك أن الولايات المتحدة هي التي جهدت خلال ذاك الأسبوع المحوري على حماية مطار بغداد عسكرياً من تقدّم قوات داعش – على الأرجح لتأمين سفارتها في بغداد من السابقة الأليمة التي عاشتها في بنغازي.

أما في الشمال، فأمام الهول المرافق للنزوح الجماعي في سنجار وبعدها في كردستان، هي عزيمة الحكومة الفرنسية التي أوقفت التقهقر. فبعد حديث أحمد الجلبي مع المسؤول الفرنسي في بغداد – ولا أذكر اسمه

إنما أظن أن السفير كان غائباً فكان المخاطَب المستشار الأول في السفارة – وفي ظلّ التنسيق المتين بين رئيس كردستان مسعود البارزاني وأحمد الجلبي ، أوْقف المدّ الداعشي في العراق بفضل العزيمة الفرنسية الصارمة، جسّدتها بعد أيام، أي في العاشر من آب، زيارة فابيوس الى بغداد فأربيل، وزيارة هولاند الشهر التالي. فباتصال هاتفي واحد من أحمد الجلبي، ارتاح الفرنسيون إلى أن جزءاً كبيراً من العراقيين الشيعة مستعدون للتغاضي عن ماضٍ فرنسي أليم تجاههم متى خلّصتهم الحكومة الفرنسية وأنجت الأكراد من الإنهيار المحتَّم.

رحم الله أحمد الجلبي، وقد شاء القدر أن يُخَلّص ذكاؤه العراق مرّتين من استبداد الوحش البشري. ولا بدّ للعراقيين أن ينصفوه يوماً.

شبلي ملاّط
٢ أيلول ٢٠١٦

شرقاً وغرباً: أحمد الچلبي في مواجهة تحديين

النطاقان الثقافيان للعالم العربي وللولايات المتحدة هما طرفان متباعدان قلّ أن يلتقيا. كل منهما في خطاب الآخر تجسيد للشرّ والضغائن والأنانية والقصور والتقصير. إلا أنه ثمة مواضيع قليلة شهدت توافقاً في الرأي بين النطاقين، أقلّه في الأوساط السياسية الصاخبة والتي تضجّ بالأهوائية الموظّفة. ومن هذه المواضيع، للأسف، الطعن والتجريح بشخص أحمد الچلبي. فهو خائن لهؤلاء، إذ تعاون مع أولئك، وخائن لأولئك إذ تواصل مع هؤلاء. وكم يسهل الطعن، بأعلى نبرة، حين يكون ستاره الذب عن أرواح الألوف، مئات الألوف، الذين هلكوا. أما شرط البينة للعلاقة بين الأذى والمطعون به، فلا حاجة له، بل على المطالب به أن يتحرّج، إذ هو لحظة راوده الشك أو السؤال، أمسى شريكاً بالجريمة، سواءاً كان اختزال هذه الجريمة إسقاط الطاغية، أو جريمة زج القوّة العظمى بإسقاط الطاغية.

أحمد الجلبي كان رجلاً ذا قناعة، لم يحِد عنها ولم يوارب بشأنها. أراد للعراق الحرية والرقي، ولمن منعهما عن العراق العقاب. هو رأى الرقي مقترناً بتكامل يجمع العراق بمحيطه _ ليس كلّه _ ويمنح الفرص التي حرمت منها الأكثرية في العراق. نعم، هي الأكثرية الشيعية. وإذا كان الإفصاح عن هويتها يثير ثائرة البعض، فعلى هذا البعض أن يعود إلى فصول التاريخ لإدراك ما يحرّك رؤية أحمد الچلبي، والكثير غيره. والتاريخ هنا ليس أخبار الإمام الحسين ومقتله، وإن أذهلت هذه الأخبار أجيال سامعيها وتركت جرحاً لا يندمل في الوجدان الإسلامي عامة والشيعي خاصة، ولا هي قصة ابن العلقمي، والذي انتخبه البعض من الحوليات دون غيره بحكم مذهبه الشيعي لينضم إلى ابن سبأ كرمز للفساد والإفساد والخيانة، بل التاريخ هنا ذاكرة لا تحتاج إلى الكتب لاستعادتها. تبدأ بروايات يتداولها المسنون عن غزوات قاتلة حصدت الآلاف على طول بلدات الفرات، بحكم شيعيتهم، وتمرّ عبر إشارات الآباء إلى ازدراء لا ينقطع يميّز بين اللطم والحكم، ومن له ذا ومن له ذاك، وتصل إلى تجربة مُعاشة، الشيعي فيها من نشامى العرب شرط أن ينضوي ويتبع. أما إذا كان له رأي يخالف به الجمع، فإذ بعروبته تسقط عنوة وبشيعيته تستحيل تهمة. هو منطق يريد للشيعي أن يتقمص التقية عساه يتّقي سوط جلاده العتيد وصوته. ولكن تقيته لا تعفيه من الطعن، فهو إما كاذب جبان أو خائن وقح.

ليس هذا منطقاً يقتصر بضربه على الشيعة، ولا هو منطق كل الشيعة منه براء. هو آفة استهلكت النخب الفكرية العربية وأخرجتها من مهمتها المعنوية في ارتقاء الجميع وأقحمتها بأيام عرب جديدة من جهاد دفع وطلب بين الجماعة وغريمتها نشوة النصر فيه هلاك الذات والآخر تحت عناوين التمحيص والتزكية والابتلاء. لكنه المنطق الذي أجرم أحمد الچلبي بحقّه. فهو تجاهله، ولم يعبأ يوماً بأن يرضى عنه أصحابه.

جناية أحمد الچلبي ليست أنه خرج عن المعيارية في الثقافة العربية، بل هي أنه تجاهلها، فلا هو اعتنق العروبة ولا هو جعل الإطاحة بها همّه وانشغاله. بل أقرّ بها واقعاً بالفعل لا بالكلام، وانشغل بإطار هو

أضيق منها وأوسع منها في آن واحد. العراق أولاً، العراق الشيعي ولا حرج أولاً، ثم ما تماهى معه، ولا سيما قضية البحرين. هي رؤية صادقة متجانسة، وإن لم تكن صافية. ليت أحمد الچلبي جعل من قضية سوريا قضية أخرى له. فكما البعث كان غولاً في العراق، هو غول في سوريا، وكما جبروت الطاغية فتك بمئات الآلاف في بلاد الرافدين، فجبروت طاغية آخر، لا شفاعة له بأنه تابع لأبيه، قد استباح دماء أهل الشام. لسان حال أحمد الچلبي كان أنه بالصمت أقدر على الفعل. ولكن الأقدار طبعاً هي الأقدر، إذ مع المنية تصمت الأفعال، وهكذا كان.

وأحمد الچلبي خرج عن معيارية أخرى، هي القائلة بأن من هو من دون الغرب أصلاً ومكاناً، هو دون الغرب مقاماً. له أن يرتدي غرباً ويتكلم غرباً، ولكنه يبقى تابعاً. فإذ بهذا الرجل الذي جاء واشنطن مطالباً إياها بما كانت هي تريده، لا يقبل منها أن تعطيه ما هي شاءت، بل ما هو يطلب، ولا يقابلها بالثناء، بل يكلمها وكأنه هو من أعطى وهي من أخذ. من هذا الرجل الذي يريد أن يوظّف الغرب، ويجعل من الدولة العظمى قوة ميدانية له؟ من الآمر هنا ومن المأمور؟ لا بد لهذا المغرور من درس لا ينساه. وإن فشل الدرس فآخر. وآخر. وآخر. ولكن هذا المغرور لا يعبأ بهذه الدروس. وهي لا تعنيه. قال كلمته ومشى.

فالتقى الجمعان. جمع غاضب من أن الرجل نقض التراتبية، والآخر ساخط من أنه أسقط الإمعية. وكما عند كل كلمة بحق أحمد الچلبي، يكاد أن يسمع الصوت الرافض: «بل هذا رصف كلام منمّق لطمس الجريمة، أوليس هو من اغتال العراق؟». والجواب طبعاً هو لا، ليس هو من فعل. وليشطح من شاء بما شاء من مزاعم الاستهجان. فالرجل قد حرّر. وليأسف من أسف، كما كاتب هذ الكلمات، أن الرجل لم يجاهر بإدانة كل الجرائم ولا سيما منها جريمة اغتيال سوريا على يد نظام تدعمه طهران. ولكنه، إذ هو الرجل الممسك بشعرات عدّة، ما شاء أن يقطع أياً منها إن لم يكن في قطعها جدوى يراها حسيّة، وإذ كان الثمن أن يتلقّى المزيد من الرشق، فهو الغريق وما خوفه من البلل.

وكان الرحيل. لم يكمل أحمد الچلبي ما كان يرى وجوب إكماله، ولم يرَ العراق ينهض، بل شهده واقعاً تتناهشه المطامع. وحتى بعد أن سلّم الروح، بقيت الضوضاء. فليكن. لكم رجلكم تلبسونه ما شئتم من خيالات مرايا أرواحكم، ولنا رجلنا نحزن لفراقه ونذكر جمال حضوره واتساع علمه وحسن تواضعه. نعم تواضعه، أما الغرور فقشور أريدت له أحياناً وأرادها لنفسه حيناً، فليذكرها من شاء، وليبقَ اللباب في ألباب من عرفه. والعاقبة للإحسان.

حسن منيمنة
٣٠ آب ٢٠١٦

«ماكو واحد مثل الدكتور»

«ماكو احد مثلي ويا الدكتور عاش. صح لو مو صح؟ تاريخ حياتي ويا الدكتور كلش طويل. ما اگدر اختصر. اعز شي، فد شي كلش غالي عندي، هو الدكتور. اكثر من ثلث العمر عشت وياه. ٢٥ سنة. آني كنت بغير عالم وصرت بغير عالم ويا الدكتور. أي مكان يروح آني وياه. شخصيات قادة، بكل مكان. يعني ١٦ ساعة باليوم آني ويا الدكتور. بالنسبة الي، اخويه الچبير، عزيز عليّ، صديقي الوحيد.

«مرة أتذكر رحنا للناصرية، گال هذا أبو محمد، مالك عبد الحسين محمد، حسيني يحب الحسين، صديقي وعزيزي. تتذكر چان جواد البولاني گاعد وهواية ناس بالمضيف. تتذكر لو ما تتذكر؟ عرفني على الشيوخ. ما گال هذا يشتغل عندي گال هذا صديقي وعزيزي.

«شحچي؟ اقرب واحد عليّ، اعز واحد عليّ. كلشي علمني. داراني. شلون واحد يربي طفل من صغره ويكبره، هيچي. كلشي سوالي. تتذكر بيوم من الأيام، رحنا اجتماعات، طلعت شعري شوية مخربط. رجع هو عدّل شعري. تتذكر هذا بالاجتماع؟ يعني كل شي سوالي. مو متكبر. دائما يبتسم. ما فد يوم علا صوته عليّ. اذا يزعل مني اذا اخربط ما يحچي ويايه يوم يومين ثلاثة وبعدين يصيح من بعيد «أبو محمد!» وكأن كلشي ما صار.

«ما گال فد يوم من الأيام انت شدتسوي. بعد ما صار ثقة بيني وبينه. غير شي صار بعد. شگد عنده غراض ما گال فد يوم شي ناقص ماكو. بعد ازيّد من هذا بعد شكو؟ ما فد يوم حاسب على شي، وهاي شلون يصير الشخص المخلص يصير شريك الغني.

«المميز بي ما يحب نفسه، يحب الآخرين. كان دائما يفكر بمظلومية الشعب العراقي. دائما يگول بكل مرة: أبو محمد، هذا الشعب شنو خطية، لويش صار العراق هيچي؟ والله والله والله دائما. احنا دولة غنية لازم بعد فقرى ما يبقى بالعراق. كل واحد لازم نسويله حساب خاص اله، كل واحد لازم نسويله شقة نبنيله ياها. كل واحد لازم ندزه للخارج يصير صاحب علم بعد اكثر بره. هذه كانت امنياته للدكتور.

«ما خلوه. حاربوه. كونه شخص مخلص وطني، مو عنصري، لا مذهبي ولا طائفي، عراقي بس. يحب العراق. ٩ اشهر مرة من كردستان العراق. ٩ اشهر ترك عائلته ما راح. الدنيا مگلوبة، واحد يضرب الثاني، وهو بالوسط، بنص الرمي. ما يخاف. چان شجاع. تتذكر مشكلة بالدورة؟ خابروه للدكتور صار مشكلة حريق بمصفى الدورة، ضربوا مصفى الدورة. گبل، الساعة بالوحدة بالليل باتعس حالة ببغداد. يالله حضروا نفسكم. رحنا للدورة ساعة ثنتين الا ربع وصلنا. ظل واگف وياهم. اكو مشكلة تصير فتحة گبل الدكتور يذب نفسه. أي مكان خطورة كان يذب نفسه. مشكلة صارت بين جماعة الامريكان ويا الصدريين بالنجف رأسا الدكتور احمد الجلبي يروح. يوميا عشرات الناس يجون عندهم مشاكل. هو مثل حلال المشاكل، گلتله

دكتـور انـت صرت عـدّال مـال عراقيـين. كل شـوية واحـد تعدلهـم وبعديـن تگـول تفضـل يالله خلـص. هيـچ سـوا الدكتـور، هيـچ سـوا ويـا العراقيـين. كل هذولـة الـلي يرجعـون يمـة كانـوا كارتونـة فـارغ. ماكـو لا علـم ولا فهـم. تعلمـوا مـن دكتـور احمـد الجلبـي. هـذا دكتـور احمـد الجلبـي. اذا يگعـد بمجتمـع، ماكـو، يشـوف أبـو محمـد يخربـط، مـا يبقـى دقيقـة مـا يگعـد يگـول حچـي تعبـان. مـا يتحمـل حچـي فـارغ. هـذا كان الدكتـور.

«الدكتـور شـجاع. هـو وحيـدا فريـدا مـن كل الزعـماء مـا سـكن يـوم واحـد بالخـضراء. كلـه خـارج الخـضراء. چـان يسـامح النـاس هوايـة لمـن يخربطـون. يعـرف يقـرأ الشـخصيات مـن وجهـه. هـذا الشـخص لايـق لـو مـو لايـق...»

مالك الامامي «أبو محمد»
(مقتبسة من حديث معه)
٦ أيلول ٢٠١٦

الذكرى الطيبة

لعل أبرز ما أتذكره من المرحوم الدكتور أحمد الجلبي هو حرصه الشديد على أرواح منتسبي المؤتمر الوطني في اربيل عند إحتدام المعارك بين الديمقراطي والاتحاد الوطني. كانت تأتينا التقارير الميدانية لحظة بلحظة وكان هو شخصياً يخابرنا من واشنطن ليطمئن على الجميع. في صباح يوم ٣١ آب ١٩٩٦ عندما تبعثرنا الى مجموعات صغيرة منعاً لوقوعنا في الأسر كانت الامور قد استتبت بصورة شبه كاملة حيث المدينة تمت السيطرة عليها من قبل الحزب الديمقراطي الكردستاني. واتذكر لحظة ترن دائماً في سمعي وهي عندما بقيت مع اخي وأحد قادة المؤتمر في بيت أحد أصدقائنا في حي شورش وكان القتال في تلك اللحظة من بيت الى بيت وفي الشوارع الرئيسية والفرعية عندها اتصلنا بالدكتور لأطلاعه على ما آلت اليه الأمور وقلنا له اننا سنبقى نتصل به وكان صوته عالياً يصرخ و يؤكد لنا بان سلامتنا اهم من اي شيء عندها قررنا ان نسد الهاتف الستلايت الصغير الذي كان الوسيلة الوحيدة لنا للاتصال بالعالم الخارجي, وبالرغم من كل هذا الحرص فأننا فقدنا كوكبة من الشهداء.

بعد هذه الأحداث وعندما انتهى بنا الامر في جبال منطقة زه لى القريبة من مدينة سردشت الايرانية وبعد تنفسنا الصعداء ، شكلنا مجموعة مقاتلة صغيرة للاستطلاع في قرى شينى و سونى و رانية وقلعة دزة. وعندما قمت بنصب الهاتف الستلايت الكبير الذي كان في حينه في مدينة السليمانية وجلبناه معنا الى الجبال اتصلت به بعدما فقدت الاتصال به طوال هذه الفترة, كانت اول جملة قالها الحمد لله على سلامتكم أولاً واريد منكم ان تفعلوا أول ما تفعلوه هو اصدار جريدة المؤتمر من الجبال واعملوا المستحيل لإصدار جريدة المؤتمر, قلت له دكتور هذا مستحيل نحن في الجبال كيف سنفعل هذا, قال لي بأن أتصل بآراس الذي تمكن من العبور عبر الجبال إلى تركيا بصحبة اعضاء بارزين من المؤتمر ،بعدها قمنا بكل ما نملكه من المصادر المتاحة لنا من مال وقابليات بشرية محدودة جداً بإصدار هذا العدد وكان لصديقنا العزيز كاك شوان زرنگ دور مشهود.

وبعد أيام من استقرارنا في منطقة زه لى لعب الدكتور دوراً كبيراً في اعادة اتصال مام جلال بمراكز القرار في واشنطن، وللشهادة مام جلال كان يذكر ذلك دائماً أمام الدكتور.

ومن الأمور الأخرى أنه في اليوم الذي وصل مقاتلو الحزب الديمقراطي إلى قرب مقر مام جلال في زه لى وفي مساء نفس اليوم كانت هاونات قوات (حدك) تصل الى قريتي شينى وسونى اللتين كانتا تبعدان كيلومترات معدودة من زه لي وبعد محادثتي الهاتفية مع الدكتور قال لي بان اذهب لمقابلة كاك كوسرت لأسمع منه عن اخر المستجدات العسكرية , كانت الساعة تشير إلى ١١ قبل منتصف الليل وكان الجميع يتحدث عن الانسحاب والعبور الى الجانب الايراني مؤقتاً , وفي خيمة مرتبة له قال لي كاك كوسرت بان لا اهتم لما يقال خارج خيمته (مقر اقامته آنذاك) وانه سيستعيد مدينة اربيل في غضون اقل من اسبوعين وطلب مني نقل

ذلك الى الدكتور حرفياً. عند عودتي الى مقر المؤتمر في زه لى ،اتصلت بالدكتور ونقلت له ما قاله كاك كوسرت, قال لي الدكتور بأن هذا غير ممكن ولكن ذكر أنّ كاك كوسرت سيفعل ما يقول, وبعد أسبوعين بالفعل كانت مفارز الاتحاد الوطني بقيادته على مشارف مدينة اربيل ولكن وصول رسالة من احد قادة فرق الجيش العراقي منع من دخول الاتحاد الوطني الى أربيل, وكنا اول من نقل نص رسالة قائد الفرقة الى الدكتور.

وقبل تحرير العراق كان لسان حاله يقول بأن لا ننسى من يسئ العراق ونقوم بتدوين وتوثيق كل الجرائم التي قام بها نظام صدام، في أحد الأيام، في سنوات لاحقة، عاتبني باننني متأخر عن برمجة الهواتف النقالة (الستلايت) قلت له يا دكتور ان الامريكان غير جادين في موضوع تحرير العراق, قال لي ان هذا قانون ملزم وسيقومون بذلك عاجلاً ام آجلاً وقال لي مازحاً اضبط التلفونات اولاً ثم جادلني. وبعد فترة من الزمن خابرته من مكتب المؤتمر في واشنطن وكان في حينه موجوداً في العاصمة واشنطن وقلت له بان كل الهواتف جاهزة ومبرمجة, ولم تمر سوى شهرين حتى امر الرئيس الامريكي جورج بوش الابن ببدء عملية تحرير العراق. الله يرحمه ويغمده برحمته الواسعة.

هوگر دزەيي
٢٥ آب ٢٠١٦

الوجه الآخر للجلبي

عرفته لأول مرة، خارج إطار السياسة، في حوار دار بيني وبينه في مجلس الحكم عن المعمار البرازيلي أوسكار نماير الذي صمم مدينة برازيليا عاصمة البرازيل في منتصف القرن العشرين. ترك طاولة الحوار التي يلتف حولها أعضاء مجلس الحكم، لسبب ما، وجلس جواري في الخط الخلفي. كنت أحدثه عن الجوانب التصميمية والتخطيطية لبرازيليا، بينما كان يحدثني عن العوامل السياسية التي دفعت المعمار نماير الى تخطيط المدينة بشكلها الحالي. اكتشفت يومها أن الجلبي ليس مجرد سياسي مثير للجدل، كما تطلق عليه الصحافة الغربية، وإنما مثقف من الطراز العالي. أعترف انني يومها قاومت هذا الاكتشاف بسبب اختلافي مع سياسته. وبمرور الأيام، أصبحت علاقتي بالجلبي تتحول الى صداقة جميلة وعميقة، ازدادت أواصرها من خلال اهتماماتنا المشتركة بأثاث فرانك لويد رايت والسينما والموسيقى وتأريخ حضارة وادي الرافدين والفنون التشكيلية العراقية والعالمية وغيرها. وفي كل زيارة كان يطلعني على لوحة جديدة قام باقتنائها، أو قطعة أثاث قام بصناعتها من وحي صورة لأعمال رايت. كان سعيداً بإعادة بناء بيت والده (السِيف)، في الكاظمية، وأطلعني على مراحل ترميم المبنى الكبير في الجانب الثاني من الموقع، وكيفية الحفاظ على (العكادة) في السقوف وقد اعتنى بإبرازها بدلاً من تغطيتها، وسمايات الطابق العلوي، ودار بي في سطح المبنى، وشرح التوزيع الوظيفي للفضاءات. وبين البيت والمبنى الكبير كان البستان الذي يعرف نخلاته واحدة واحدة، والمسبح الذي يقضي في داخله أكثر فترات استجمامه. وأصبح (السيف) مأوانا، وأنا وأصدقاء مقربون، كل جمعة تقريباً، نجتمع حول غداء لذيذ وصحبة ممتعة.

وفي (السيف)، يسترجع الجلبي مع د. أياد، إذا كان حاضراً، ذكريات أيام المعارضة، بحلوها ومرها، ونتحاور معه عن الأوضاع الحالية ويحثنا على تقوية علاقاتنا بهذا الطرف السياسي وذاك. كان الجلبي مهموماً بتدهور الأمور وبالفساد الذي لحق بكل مفاصل الدولة، ويكلمنا عن ملفات ينوي فتحها حول غسيل الأموال وتهريبها. كان يمتلك معلومات واسعة عن هدر الأموال، معززة بالوثائق والأرقام وبأدق التفاصيل. كنت ألح عليه في لقاءاتنا الأخيرة للدفاع عن نفسه أمام الهجمة الشرسة التي شنت مؤخراً ضده، ولكنه لم يكن يبالي بما يقال، ويعزو الهجمة الى ملفات الفساد المصرفي وقرب كشف الحقائق أمام الناس.

ذات مرة، كنت أتحاور معه عن اهتمام الدولة الإيرانية بصيانة إرثها الحضاري، سواء الفارسي أو الإسلامي، وأهمية هذا الإرث في الثقافة المجتمعية الإيرانية. سألته: إيران بلد الثقافة والفكر والموسيقى والسينما والسجاد والمؤسسات الثقافية الرصينة، لماذا لا ترسل للعراق سوى نفاياتها من جهل وكراهية؟ أجاب بطريقته المازحة: ان السوق عرض وطلب، يبعثون لنا بالسجاد حينما نريد سجاداً، وبالنفايات حينما يجدون سوقاً لها!

كنت ألومه كثيراً على قضية اجتثاث البعث، فيجيب أنه أرادها لحماية البعثيين من التصفيات والاغتيالات التي كانت ستحدث لولاها. كان يؤكد ان الاجتثاث أصبح وسيلة للتمييز الطائفي خارجاً عن إرادته. أعترف

أنني تصديت له أمام الملأ أكثر من مرة، وبشدة أحياناً، كانت إحداها في اجتماع أقامه في نادي الصيد عام ٢٠١٠ وأمام المئات من الناس، حول محاولته إعادة البيت الشيعي. ومرة أخرى في مجلس النواب عام ٢٠١٤، حول تبديل رأيه بين ليلة وضحاها في تعديل قانون الانتخابات. ومرات أخرى كثيرة، كنت أتوقع بعدها أن يغضب ويزعل مني. ولكنني فوجئت في كل مرة بتسامح وأريحية لم أكن أتوقعها. بل كان سنداً وظهيراً في الكثير من خطواتي في السنوات الخمس الأخيرة. عزائي أنني لم أكن أدري بالدموع التي سأذرفها برحيله المفاجئ والمثير للتساؤلات.

لقائي الأخير معه كان يوم الأحد، قبل وفاته بيومين. ذهبت مع زميلتي سروة عبدالواحد الى اللجنة المالية للسلام وطلب مخصصات للمؤسسات الثقافية والإعلامية في موازنة عام ٢٠١٦. كان حيوياً كعادته، ووعدنا خيراً، بالرغم من الوضع المالي الصعب. وافترقنا على موعد الغداء كالعادة يوم الجمعة القادم!

حدث، أيام مجلس الحكم أيضاً، إنني كنت مع غيري حينما وصل خبر غير مؤكد عن إلقاء القبض على الرئيس المخلوع صدام حسين. كان أعضاء مجلس الحكم والموظفون في حالة فوضى وترقب، بينما كنت أراقب الجلبي في حديقة بعيدة خارج المبنى يتحدث على الجوال ذهاباً وأياباً ليتأكد من صحة الخبر. بعد حوالى نصف ساعة دخل الجلبي المبنى منتشياً، ورأيت بعيني الموظفين والعاملين يستقبلونه بالهلاهل والتصفيق استقبال الأبطال. كان بطل اللحظة، وربما كان هذا هو التتويج الذي يستحقه الجلبي لإصراره على إزالة نظام القسوة والقهر، وهو بشر، يخفق حيناً وينجح حيناً.

وعبر نجاحاته، وبرغم إخفاقاته، إستمر الجلبي في البحث عن الحلول بحماسة يحسد عليها. كان مدنياً بغدادياً، أضاع صورته هذه ثم خانته سجيته وثقافته فعاد ليبحث عنها. سعى بكل ما في وسعه، وبالوسائل التي اعتقدها صحيحة، أن ينهي حقبة الدكتاتورية ويساهم في بناء عراق أفضل للجميع، حتى وان لم يصبح هذا (العراق الافضل) الذي حلم به هو كثيراً، حقيقة على الارض، لأخطاء اقترفها بنفسه حيناً، ولأسباب خارجة عن إرادته حيناً آخر. سنواته الأخيرة في الحياة قضاها في جهد حثيث لكشف ملفات فساد خطيرة لا يستطيع الا من هو بقدراته ان يحيط بها ويكشفها لنا جميعاً. غاب مبكراً في لحظة عراقية صعبة وقاسية نحتاجه فيها أكثر من أي زمن مضى.

ميسون الدملوجي
٥ نوفمبر ٢٠١٥

صديقي أحمد

ثمة تناقض غريب في صميم بنية حداثتنا: نحن نعيش في عالم متكامل، لكن حقوقنا والتزاماتنا تجاهه مقيدة بشذرة واحدة، من بين ١٩٦ شذرة منفصلة، وليست كلها محددة على نحو منطقي، تسمى الدول. نحن محدودون فيها بوصفنا مواطنين، أو لا في حالة أن نُنبذ بعيداً لنصبح منفيين. هذا الأمر صار ينطبق على حيواتنا المتداخلة المتشابكة اليوم أكثر مما كان سنة ١٩٥٨، عندما غادر صديقي أحمد العراق، أو سنة ١٩٦٧ عندما فعلت مثله.

أستخدم كلمة منفى لأقصد بها نوعاً من الفقد المرتبط بحنين إلى المكان الذي حدث فيه شيء طيب، شيء يصعب على المرء الكلام عنه لأن كلامه سيبدو سخيفا، لكنه على كل حال شيء لا يستطيع المرء نسيانه أبداً. في حالة أحمد كان هذا الشيء هو بغداد الخمسينيات وبيت والده، وفي حالتي كان المدينة نفسها في الستينيات حيث لم تكن قد شهدت تغيرا دراماتيكيا كما سيحدث بعد سنة ١٩٦٨، العام الذي وصل فيه حزب البعث إلى السلطة، ومن ثم جعل العودة مستحيلة على أي منا.

في المنفى، من الطبيعي أن نميل إلى الحنين ، بل واختراع، ذكريات الأماكن التي خلفناها وراءنا. نبدأ في تذكر تلك الأشياء التي كانت بالنسبة إلينا أمورا مسلما بها. هذه مشاعر إنسانية. وحقيقة أن تلك الأماكن قد صارت الآن مناطق محظورة إنما تضفي على خيالاتنا حيوية ونضارة. فالتذكر في حد ذاته، في نهاية المطاف، هو فعل تحدي. في مناطق الذاكرة التي اختفت منذ زمن بعيد، أعتقد أننا قضينا، أحمد وأنا، أسعد سنوات حياتنا.

صحيح أن كلانا عاش حياة رائعة وبالغة التحقق في المنفى، حيث اكتسبنا حريات جديدة بعد أن فقدناها في العراق. لكن كان هناك ثمنٌ دائماً. والثمن كان احتمالية الاكتمال، حتى ولو للحظة عابرة. مغزى الوطن، ذكريات الطفولة، الأصدقاء الضائعون، وحتى القدرة على رثاء عزيز دُفن وحيداً في العراق من دون أن نكون بجانبه؛ هذه الأشياء، حوائج الحياة العادية، هي ما حُرمنا من تجربته أحمد وأنا.

أحيانا نختار أن ندفع هذا الثمن ونواصل حياتنا؛ ربما كان هذا هو الطريق الأكثر حكمة. في أغلب الأحوال لا يتوفر الخيار أصلاً، أو تقرره لنا الظروف. في المنفى، وبالرغم من العائلات الجديدة التي كونَّاها وما خبرناه من مشاعر الحب والفقد، ظللنا أحمد وأنا شخصين متوحدين ملاذهما الوحيد هو تلك الأماكن الأسطورية في الذاكرة التي ربما كنا نفهم في أعماق أعماقنا (وإن لا نعترف بذلك أبداً) أنها، على الأرجح، لم توجد قط.

أظن أن هذا ما دفع أحمد إلى تكريس قلبه وروحه لقضية تحرير العراق من الطغيان البشع. كان يريد للعراق أشياءً كان يدرك، ولا بد، عند مستوى ما في أعماقه، أن العراق لم يعد قادرا عليها. لكن ذلك لم يوقفه.

بعد التحرير، وجد نفسه في عراق حيث المجتمع المتضامن في النزع الأخير؛ وحتى ما تبقى من آثار فقد

كان بالعـودة إلى البربريـة. مـع ذلـك، ظـل أحمـد هنـاك، حتـى مـع وجـود أقـرب وأعـز النـاس إلى قلبـه عـلى بعـد آلاف الأميـال. في هـذه الأثنـاء، عـاد بقيـة المنفيـين إلى منفاهـم، وأنـا معهـم، إذ تحولـت ذكرياتنـا إلى أنقـاض، وانهـارت أحلامنـا. لم يعـد بوسـعنا العيـش هنـاك؛ كان الأمـر بهـذه البسـاطة. لكـن أحمـد بقـي، يعيـش حيـاة صعبـة، في المنطقـة الشـاقة الواقعـة بـين الانتـماء واللا-إنتـماء.

كان رجـلاً يقـف وحيـداً، ينظـر إلى العـالم مـن زاويتـه. لقـد عـاد مـن حياتـه كمنفـي، إلى منفـى مـن نـوع آخـر. في بغـداد هـذه المـرة. المدينـة التـي أحبهـا، وفعـل لتحريرهـا أكـثر مـما فعلـه أي عراقـي آخـر، كانـت أصغـر منـه. فمدينتـه هـو كانـت مكانـاً رائعـاً، ولكنـه وحيـد عـلى نحـو رهيـب. وقليلـون غـيره مـن زاروا هـذا المـكان.

الاغـتراب والمنفـى توأمـان متطابقـان؛ ربمـا كانـا مـن سـمات حداثتنـا في هـذا العـصر الأفظـع بالنسـبة للعـرب والمسـلمين. مـع ذلـك كان صديقـي أحمـد يقـف هنـاك دائمـا، سـداً منيعـاً أمـام فظاعتـه؛ وهـذا هـو المعيـار الحقيقـي لعظمتـه.

كنعان مكية
١٦ أيلول ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

أحمد الجلبي .. الرجل الذي دعا أمريكا إلى غزو العراق

يقول البعض إنه ناشط لا يكل، ما كان ليوقفه شيء عن الإطاحة بصدام حسين. يلومه البعض على غزو العراق الكارثي سنة ٢٠٠٣. باتريك كوكبرن يتذكر الرجل عظيم الدوافع والانتقادات.

كان أحمد الجلبي الذي توفي يوم الثلاثاء إثر سكتة قلبية في بغداد عن واحد وسبعين عاماً من أقدر الشخصيات التي لعبت دورا مركزيا في الإطاحة بصدام حسين وفي صياغة العراق الحديث، ومن أكثرها تعرضاً للأذى وسوء الفهم.

كان الجلبي رجلاً شديد الذكاء سريع البديهة، إجتذب الكثير من الأصدقاء والحلفاء، مثلما إجتذب الكثير من الأعداء الذين تنوعوا وتراوحوا من صدام حسين إلى المخابرات المركزية الأمريكية إلى وزارة الخارجية البريطانية، وجميعهم صبوا عليه نقداً لاذعاً.

قال لي ذات مرة أحد الدبلوماسيين في بغداد: «أعتقد أن الجلبي كتلة خالصة من الشر» قبل أن ينطلق في كيل المديح لسياسي عراقي عديم الكفاءة عظيم الفساد معتبراً إياه المخلص المحتمل لبلده.

ولقد كانت للناس دائما آراء حادة في الجلبي لأنه كان صاحب شخصية لا يمكن لأحد أن يتجاهلها ولأنه كان ذا فعالية لا يمكن لأحد التشكيك فيها. قضى أغلب عمره في نشاط محموم للإطاحة بصدام حسين دونما مبالاة بالوسائل التي يتوسل بها إلى تحقيق هذه الغاية. كان ناشطاً طول الوقت.

وكان الاتهام الذي وجِّه إلى الجلبي بعد ٢٠٠٣ هو أنه أغرى الولايات المتحدة وحلفاءها بالغزو الكارثي للعراق بتلفيقه أدلة بأن لدى صدام حسين أسلحة دمار شامل، فصار مع الوقت كبش فداء للساسة والصحفيين الباحثين عمن يلقون عليه اللوم في إخفاقاتهم وأكاذيبهم.

وبدا لي ذلك الاتهام ضربا من العبث لأن مهمة المنفي السياسي هي أن ينقل من المعلومات ما صدق أو كذب طالما أنها مضرة بالحكم الذي يسعى إلى الإطاحة به. وما لأحد إلا لو كان أشد الصحفيين بلادة وسذاجة أن يتخيل أن المعلومات التي يضعها الجلبي في طريقه ـ أو أي منفي عراقي آخر ـ هي معلومات غير منحازة.

ينتمي الجلبي إلى عائلة بغدادية ثرية، هرب من العراق في مراهقته إثر الإطاحة بالملكية. حصل على درجة البكالوريوس من معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا سنة ١٩٦٥، ثم حصل على درجة الدكتوراه في الرياضيات من جامعة شيكاغو.

التقيت به للمرة الأولى في لندن سنة ١٩٩٢ عندما قام بتأسيس المؤتمر الوطني العراقي ليكون مظلة جامعة لمعارضي صدام. كان الرئيس العراقي قد سحق انتفاضتي الشيعة والأكراد سنة ١٩٩١ وبدا واضحا لجميع

خصومه أن السبيل الوحيد للتخلص منه هو حمل الأمريكيين على غزو العراق. لم يكن هدف الجلبي يختلف عن هدف غيره، ولم يكن يختلف عنهم إلا في دأبه وكدِّه من أجل تحقيق هذا الهدف.

انتقل إلى واشنطن فكوَّن علاقات مع ساسة وصحفيين وعمل مع لوبيات سياسية أمريكية. كان يقترب من كل من يبدي رغبة في الإنصات، ولكنه كان يولي الجمهوريين اهتماماً خاصاً. ساعد في تمرير قانون تحرير العراق سنة ١٩٩٨ الذي ألزم الولايات المتحدة بإحلال نظام ديمقراطي محل النظام العراقي الحاكم، وإن كان يجدر بنا القول إن كل ذلك ما كان ليفضي إلى غزو الولايات المتحدة للعراق لولا ٩/١١.

رأيت الجلبي مرات كثيرة أثناء تلك السنوات ودائماً ما كنت أرى آراءه السياسية شديدة الوضوح إلا في ما يتعلق بمسيرته السياسية الشخصية. أتذكر مرة قوله لي «إن من المستحيل تقريبا أن تطيح بحكومة في العراق ما دامت تحرسها أجهزة مخابرات عنيفة نشطة» فبدا لي ذلك غريبا لأنه في واقع الأمر كان يحاول أن يفعل ذلك بالضبط حينما أقام في كردستان العراق مدبرا مقاومة لصدام أو عصياناً داخل الجيش العراقي. وإنني أتصور أن تكون غاية هذه التدبيرات هي إشراك الأمريكيين مرة أخرى في العراق، وإن لم يصادفها النجاح.

كان غزو عام ٢٠٠٣ بقيادة الولايات المتحدة بمعنى من المعاني بمثابة الذروة والمنعطف بالنسبة للجلبي: لقد استعمل هو والأمريكيون بعضهم بعضاً، بدون أن يتبادلا الثقة على الإطلاق. ولقد قال لي في وقت لاحق إن مشكلة الولايات المتحدة الكبرى في ٢٠٠٣ هي نفس مشكلتها في ١٩٩١ أي في نهاية حرب الخليج هي أنهم إذا تخلصوا من نظام صدام حسين، فالخليفة الطبيعية له حكم شيعي (لأن الشيعة يمثلون ستين في المائة من الشعب العراقي) قريب من إيران. والحل الأمريكي لتلك المشكلة كان عدم الاقتصار على غزو العراق بل احتلاله، فكان ذلك منشأ كل النوائب التالية.

السبب الذي جعل كثيراً من المسؤولين الأمريكيين يكرهون الجلبي هو أنهم كانوا لا يسيطرون عليه ويؤثرون بدلاً منه وكلاء يأمرونهم فيأتمرون بأوامرهم. كانوا يرتابون في علاقته الجيدة المعلنة بإيران، برغم أن الولايات المتحدة كانت في أمس الاحتياج إلى قناة بينها وبين طهران. كانت قدرات الجلبي سلاحاً عليه لأن طاقته وذكاءه كانا يخيفان منافسيه المحتملين الذين اجتمعوا على إقصائه من السلطة.

الإتهام الآخر الذي وجِّه إليه هو الإتهام بالفساد. وكان ذلك الإتهام العجيب دائما ما يأتي من ساسة عراقيين أصبحوا هم أنفسهم، وعلى نحو إعجازي، مليونيرات بين عشية وضحاها بعد توليهم السلطة. وكانت هذه المزاعم في العادة تتمحور حول انهيار بنك البتراء في الأردن في ثمانينيات القرن الماضي وكان الجلبي ينكر اقترافه أي خطأ قائلا إن بنوكا أردنية ومسؤولين في الدولة استهدفوا البنك.

أقام الجلبي أغلب الوقت في بغداد، وفي لحظة معينة كان يدير نظام لجان الطوارئ. وحدث ذات مرة أن ذهبت معه إلى جسر على نهر دجلة كانت شاحنة مفخخة قد دمرته حيث أخذ ينظر إليه ليرى كيف يمكن إصلاحه. كنت واعياً تماما أن الجانب الآخر من النهر في ذلك الوقت خاضع للمتمردين الذين قد

يتعرف قناصتهم على الجلبي بمنتهى السهولة. فتواريت خلف عمود مكسور في الجسر إلى أن انتهى هو من فحصه.

بقيت رؤيته السياسية واضحة حتى النهاية، ففي مطلع العام الماضي قال لي إن الجيش العراقي سوف ينهار بمجرد أن تهاجمه طليعة داعش. ولم أصدقه كثيرا، إلى أن مضت شهور قليلة وسيطرت داعش على الموصل وأقامت الدولة الإسلامية.

باتريك كوكبيرن
جريدة الاندبندنت
٣ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

وداعا، قدوتي

كانت علاقتي بالدكتورِ أحمد الجلبي مختلفةً تماماً عن كلِّ العلاقاتِ التي أقمتُها مع الآخرين، بل إنني صرتُ قريبا منه وهو صارَ قريبًا مني لدرجةِ أنّي صرتُ اشعرُ به فردًا من افرادِ اسرتي، بل هو الفردُ الاقربُ منهم جميعا .

إلتقيتُه أولَ مرةٍ عامَ ١٩٩٣ وكان هذا اللقاءُ ايذانًا بانطلاقِ علاقتي معه التي لم تنتهِ حتى يومِ وفاته.

كان قلبُه شجاعًا وكان قلبُه مليئا بحبِّ الناسِ وكان يحبُّ الخيرَ للجميعِ، وقد تعلمتُ منه الكثيرَ حتى إنّ بعضَ ما يميزُ شخصيتي أني كنتُ قد اكتسبتُه منه وتعلمتُه من تصرفاتِه.

كانتْ جرأتُه تؤكدُ على شجاعاً , لأنّه لم يكنْ متهورًا بل كان علميًّا جدًّا , الامرُ الذي ادّى الى نجاحِه بإسقاطِ الدكتاتوريةِ في العراقِ , وكان على سعةِ علاقاتِه بالعالمِ، حريصًا جدًّا على بناءِ علاقتِه الاجتماعيةِ، ولم يتخلَّ عن أيِّ علاقةٍ مع أيِّ شخصٍ بل كان يسعى الى بناءِ المزيدِ من العلاقاتِ الاجتماعيةِ، كان همُّه الوطنَ، وكيف يستطيعُ انقاذَ العراقيين من قسوةِ نظامِ البعثِ، فقد كان يعملُ بصمتٍ لساعاتٍ وايامٍ بل لأشهرٍ وسنواتٍ بصبرٍ تعلمتُه انا منه في ما بعد، كان قريبًا من كلِّ العراقيين وكما كان اصدقاؤه الثوارُ في الجنوبِ، كان اصدقاؤه في الشمالِ، كانت علاقتُه بالكردِ مميزةً، وكان صديقًا قريبًا ومخلصًا لهم جميعا .

كان صديقي واستاذي ومعلمي، وقد انعكسَ ذلك على حياتي الخاصةِ حيثُ تعلمتُ منه الكثيرَ، وكنا نفخرُ انا وعائلتي بصداقتِه.

كان يومُ وفاتِه يومًا قاسيًا عليّ انا شخصيًّا، حينَ رحلَ احسستُ برحيل جزء مني شخصيًّا، وهكذا خسرَه أكثرُ من ثلاثينَ مليون انسانٍ في العراقِ، كان يمثلُ الأملَ في بناءِ وطنٍ مزدهرٍ ومتقدمٍ، موتُه كان موتًا لكثيرٍ من الاشياء .

قال لي ذاتَ مرةٍ : انا اشعرُ بالرضا رغمَ كلِّ شيءٍ , وذلك لأنني حققتُ حلمي وحلمَ عائلتي وحلمَ العراقيين في إسقاطِ النظامِ الدكتاتوري .

فليرحمِ اللهُ الدكتورَ الجلبي لأنّه كان رحيمًا بالعراقيين .

كامران فاخر احمد ميران

١٩ آب ٢٠١٦

تحديد موقع الجلبي في كتب التاريخ

أن تكتب مرثية لأحمد الجلبي (١٩٤٤-٢٠١٥) قد لا تكون أنجع الطرق في العودة الى دهاليز واشنطن المختصة بتشكيل سياسات أمريكا تجاه الشرق الأوسط والتي هي أصلا المؤصدة والمنعكفة على نفسها. إحدى عشرة سنة من بعد أن عملت معه، لا يزال يستسهل بعضهم نبذ أفكاري لأنها «نابعة من أحد رجالات الجلبي». ولكنني حزين على صديقي، واعتقد بأن الكتابة قد ترفع شيئا من هذا الحزن. وأيضا، في اعتقادي بأن مراجعة سيرة هذا الرجل قد تساعد العاملين في هذه الدهاليز في إيجاد سياسات اذكى وادهى لهذه الإدارة وما سيلحقها من إدارات. الولايات المتحدة الامريكية ما زالت، وستبقى، اهم لاعب في منطقة الشرق الأوسط الى المدى المنظور. الجلبي كان يعتقد بذلك، وأنا كذلك.

الجلبي لعب دور البطولة الرئيسي في أولى أعمال الدراما العالمية في القرن الواحد والعشرين، والتي دارت رحاها على مسرح الشرق الأوسط. في تصوري، ستستمر هذه الدراما الى ما يقارب عقداً آخر من الزمن. ما كتبه النقاد، في أولى تعقيباتهم المستعجلة عما حدث، تمحور حول وصف الجلبي بـ «الدجال» و«المشعوذ» و«النصاب». في حين كتب نقاد آخرون، بتأني أكبر، أوصافاً لأدائه من وزن «مثير للجدل» و«شخصية معقّدة» و«مبهم». نظرية الادب، إن دونت كتاريخ يشهد، قد تغوص الى عمق آخر. أباح الجلبي عن نفسه في شباط ٢٠٠٤، عندما قال، فيما يشبه المناجاة لنفسه: «نحن أبطال جراء زلل. من وجهة نظرنا كنا ناجحين كلياً. ما قلناه سابقاً ليس مهماً. إدارة بوش تبحث عن كبش فداء. نحن جاهزون لنقع على سيوفنا ان أراد ذلك.» كان قد ارتجل الجزء المتعلق حول «ابطال جراء زلل» على سليقته. ولكن بقية النص كان من انشائي. لربما كان لا ينبغي له أن يصرح بما كتبه ابن الـ ٢٧ عاما له من تنابز مشاكس مع أهم قوة في العالم، كي يدفع بها سرد القصة الى الامام. ولكن هذه كانت سجية الرجل.

من كان احمد الجلبي بالنسبة لي؟ لم اراه في دور أبوي، ربما لأن والديّ كانا لهما دور جلل في حياتي. ولكن الجلبي كان أكثر من المعلم أو الموجّه. هناك علاقة في التصوف تقارب علاقتي الأولى به، وهي تلك التي تجمع الـ «پير» مع المريد. كان ليطرب لهذا الوصف أن سمعه مني آنذاك. لأن الجلبي كان رجلاً روحانياً بإمتياز. أتذكر، فيما يخطر ببالي من ذكريات في هذه الساعات العصيبة، إننا كنا في مكتبة عامة في مدينة نيويورك، ربما في سنة ١٩٩٩، وكان الدكتور يتصفح كتبا عن الرياضيات، ويشير تارة إلى نظرية فلان، وتارة أخرى الى دور البابليين في نظرية بيثاجورس، كما كانت عادته في سويعات الراحة، وفجأة تقدم الينا رجل مسنَ، بدت على وجهه آثار الانهاك المعرفي، وبادر مباشرة بمساءلة الدكتور: "هل تستطيع الرياضيات ان تجيب عن أسرار الكون؟" أجابه الدكتور بكلمة واحدة: "كلا". ابتسم الرجل، وتغيرت ملامحه، وظهر وكأنه قد ارتاح للجواب، فقال "شكرا لك"، وذهب.

بذل الجلبي كثيراً من الجهد في مسعى ابهاري بالإرث المجيد والمختزن لدى الروحانيات الإسلامية. لم يشرب

الكحول في حياته، ولم يدخن. لم يكن مسلماً ملتزماً بطقوسه، ولكنه كان متنزها في بحار العرفان. ربما كان يود لي أن أشبهه في هذا، ولكنني لم أكن متقبلا. كان يفسر شكوكي على أنها من وحي جذور عائلتي الشيوعية، وهو إرث عائلي كان قد أدى الى تباعد بين أسرتي وأسرته. فأمه كان بنت عمة والدي. ولكنها اقترنت بعالم الملكية الأرستقراطي والغني، في حين كان يروم ابن خالها الى قلب هذا العالم على رأسه. حصل ذلك، وهو امر لازم الجلبي، الذي كان عمره ١٤ عاما في حينها، طيلة حياته، كدلالة على ما قد تفعله الأفكار الثورية الكبيرة بمعاهدة اجتماعية معيوبة ولكنها مقبولة نسبيا، وقابلة على التطور التدريجي، كما كان يرى العهد الملكي.

افترقت معه في أيلول ٢٠٠٤. لم يسبق لي أن تحدثت عن أسبابي في اختيار هذا الافتراق، لا بشكل شخصي ولا كتابة. مثالب الجلبي، والتي هي طبيعية وإنسانية، وضعت الكثير من الأعباء على علاقة الپير-المريد القائمة بيننا آنذاك. عندما مسكت كذبة كذبها عليّ، النابعة من غريزته الطبيعية كي لا يظهر وكأنه انسان اعتيادي من بعد ان استندت علاقتنا على تراتب روحاني، اصبح الفراق حتمياً. كان دوماً يردد لي آية من القرآن، على لسان الخضر الى موسى، وهي «أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا على ما ترى من أفعالي». بالرغم من حاجتي كي استمر في تصديق كذبته، لأنني اردت ان اعتقد بأن الپير لا يزال معصوما، الا انني لم استطع. كان عليّ أن أنتقل من هذه العلاقة إلى تلك المبنية على الصداقة والشراكة السياسية كي استمر في عملي معه. ولكنني لن أنجح. هنالك عدة مراحل سبقت الفراق. في مرحلة منها، اتهمني بأنني أقود انقلابا ضده. كنت أروم ان أنشئ حزبا وجمهورا يسنده بالرغم من ممانعته ورفضه. ولهذا السبب، ناورت من حوله كي أصل إلى هدفي. لم يعجبه هذا. في مرحلة أخرى، لم اكن اثق بالايرانيين. ولكنه كان يعتقد بأنهم سيكونون عقلانيين الى درجة بحيث سيفهمون أهمية الحفاظ على السلام في بغداد، وإسناده كي يستلم الملف التنفيذي هناك (... صديقه، الجنرال قاسم سليماني، كان يقدم الجلبي الى مساعديه في الحرس الثوري قبيل سنة ٢٠٠٣ على انه رئيس وزراء العراق القادم). وكنت أعتقد كذلك بأن قطيعته مع الامريكان ذهبت ابعد من اللازم، ولكن من وجهة نظره كان عليه ان يدافع عن نفسه بالضد ممن كان يسعى الى تسقيطه، وكذلك ما كان يراه، محقاً، عن نية الامريكان في إحباط انطلاق الديموقراطية في العراق. وقبيل الحرب، كنت أدير ملف الصدريين من خلال توظيف الشبكات والعناصر من ضمن تيارهم، و بعد عام ٢٠٠٤، إستنتجت بأن مقتدى الصدر قد أصبح مصدر خطر على العراق الجديد، ولكن الجلبي لم يتفق مع ذلك. لربما كان محقاً في هذا المنوال، من بعد أن ظهر الصدر بصورة المعتدل في الجانب الشيعي هذه الأيام.

كيف كان الجلبي يفهم التاريخ، وما نستطيع استدلاله من هذا الفهم حول منزلته فيه؟

الجلبي كان يعشق التاريخ. كان يتكلم لساعات عن النظريات العسكرية اليابانية الدارجة في القرون الوسطى، وعن قنوات الري في ديالى العباسية، وعن الفاتحين الغربيين في أمريكا اللاتينية، من ضمن العديد من اهتماماته المتنوعة. بعض العقول الصغيرة، والنفسيات الحقودة، كانت ترى كلامه هذا على انه تبختر

واستعراض.

كانت متعة الجلبي في الحياة هي عالم العقل والفكر. ولكنه لم يكن يتبحر بها من باب الترف الفكري، وهو امر، لو اختاره، لكان يستطيع أن يقضي عمره فيه مسنودا من قبل ثروة عائلته الكبيرة. كلا، كان يتفحص التاريخ كي يكشف دلائل وخطط الثورة التي كانت في ذهنه. «هيگليا» لحد النخاع، وروحانيا أيضا، كان يتصور بأن هنالك شيفرة رياضية في بطون التاريخ ستدله على مبتغاه. كان أشبه بالـ «هاكر» (التكنولوجيا وخصوصا تكنولوجيا التشفير كانت هي أيضا من هواياته واهتماماته) الباحث عن مخطط عرفاني والذي له أن يسلح الفرد الثوري بفكرة كبيرة لها ان تغير مجرى التاريخ.

الجلبي اختار الرياضيات كمادة دراسته الأكاديمية لأنها لم تستنفد الكثير من وقته. وكان يقضي بقية الوقت متصفحا للتاريخ. غاص في أعماق الثورة البلشفية في مكتبات جامعة «أم أي تي» وجامعة شيكاغو، بينما كان يشاهد مخاض أمريكا الاجتماعي يتشظى أمامه إبان عقد الستينات. (سمعته يقول، في مرة من المرات عندما كان يروج في أروقة الكونجرس لقانون تحرير العراق، لعضو مجلس النواب الأمريكي شيلا جاكسون، من يسار الحزب الديموقراطي، ومن الأقلية السوداء: «رأيت كيف كان من السهل جداً على أمريكا أن تتحول إلى دولة بوليسية عندما كنت طالبا هنا في الستينات»). الجلبي عاد الى الشرق الأوسط، ومن موضعه الجديد كأستاذ مساعد ونائب العميد في الجامعة الامريكية في بيروت، شاهد هذا الشاب العشريني ما قد جنته «الأفكار الكبرى» (مثل القومية العربية، والماركسية، وأفكار أنطون سعادة عن الهلال الخصيب) على الأسس القديمة في المنطقة، كما فعلت في مسقط رأسه في بغداد. لم يكن مثاليٌ ساذج، وهي تهمة أخرى اطلقها عليه أنداده، فهو كان رأى بأم عينه ما قد تخلفه الثورات على الأمر القائم، كما حصل في الحرب الاهلية اللبنانية، التي طاردته من العالم الأكاديمي إلى حرفة عائلته القديمة في العالم المصرفي.

قبيل ذلك، «البروفيسور الجلبي» كان ينتقل مكوكيا إلى طهران، كي يحذر الملا مصطفى البارزاني بأن كيسنجر والشاه ونظام البعث على وشك أن يغدروا بالكرد. كان يأمل بأن البارزاني سيحول تمرده القومي إلى ثورة «عراقية» تناصر الديموقراطية، ولهذا كان يسنده. الجلبي كان عمره ثلاثين عاماً عندما واجهه رئيس جهاز السافاك الإيراني، الجنرال ناصري، وهدده بأن «كفاك تصنع المشاكل وتضع الأفكار في رأس البارزاني، وإلا...»

نعم، كان «الجلبي الحالم» مدركاً لمخاطر «الأفكار الكبيرة» ولكنه كان على قناعة، قناعة مطلقة، بأن أفكاره الكبيرة، الخاصة به، سترفد هذا العالم المضطرب بالعدالة والسلام فعلاً.

عندما عاد إلى صنعة العائلة في سنة ١٩٧٧، كان هدفه هو إيجاد طريق جديد الى الثورة من بعد انهيار الأكراد. هنا، سعى «الجلبي المصرفي»، ومن موضعه الجديد في عمان، إلى تمويل الثورة وتخريب مصالح الغرب التي تلاقت مع مصالح شقي بعثي اسمه صدام حسين. وما لحق، كما يقال، أصبح هو التاريخ. عاود الجلبي إلى المنازلة مع الشاه والبعث وحتى الامريكان ليصفي حسابه معهم، مما حدى به إلى حيازة إحدى

أثمن حاجياته: نسخة من القرآن موسومة بخط الخميني بكلمات «إلى ابني أحمد». حتى أنا، أحد أقرب الناس إليه في فترة من الفترات، لم يسعني أن استفهم منه خلفية هذه القصة، وهذا القرآن، وكان يقول لي: «سأسردها عليك في وقت لاحق...»

كان الجلبي ينهمك بقراءة السيّر وتراجم الرجال، لأنه كان يبحث عن تلك السابقة التي ستعينه في مسعاه. كان يبحث عن الترميز الرياضي الذي سيقتبسه لسيرته الذاتية. كان يتأثر كثيراً لقصص بعض من العباقرة الوحدانيين، مثل ويتگنشتاين، الذين لم يستطيعوا التكيف مع عالم مخيف وغريب عليهم وعلى عبقريتهم، هؤلاء الذين كانت «النار تضطرم في أعينهم» لأنه كان يشعر بأنه أحد رفاقهم. ولكنه كان يختلف عنهم في منحنى مهم. لم تكن عبقريته مدعاة للشلل الاجتماعي والشعور بالغربة عن بقية البشر. كانت شخصية الجلبي ساحرة. فهم بأن مواهب العبقرية والجاذبية الشخصية هما صفتان، إن اجتمعتا، وضعتا على ذلك الشخص الموسوم بهما مسؤولية كبيرة. استطاع الجلبي ان يتغلب على طفولة غير سعيدة، طفولة ابن منسي، وآخر العنقود، في بيت مزدحم، مزدحم بالخدم ورجالات الدولة، حيث كان يجالس، صامتا، أباه رئيس مجلس الاعيان، وشقيقه الأكبر الذي استوزر عدة مرات، والباشا نوري السعيد، وهم يتجاذبون الحديث والتخطيط عما سيفعلونه، خصوصاً مع تكثّف سُحُب الثورة في الأفق البعيد. الجلبي وُلد في هذا العالم الخاص. وتمتع بخصوصيات وخصائل ومواهب ذهنية نادرة جداً. لذا كان عليه، بل استوجب عليه، أن يمضي في درب القتال والثورة.

أول لائحة قراءة وضعها لي، في أول أيام التحاقي بثورته، تضمنت كتاب حنا ارندت عن «أصول الشمولية»، وكذلك كتاب فنتوري «منابت الثورة»، ثم كتاب سوخانوف «الثورة الروسية». بدأ انبهار الجلبي مع قصة روسيا في القرن العشرين مع هذا الكتاب الأخير، بل إنه حاول أن يتعلم اللغة الروسية كي يقرأ مجلدات سوخانوف السبعة بلغتها الاصلية.

قبيل سنة ٢٠٠٣، كان لدى الجلبي بطلٌ شخصي وجده في دهاليز الثورة الروسية وهو الكساندر «بارفوس» گيلفاند. گيلفاند ولد يهودياً في مدينة أوديسا، ونشأ بها، وانسجم مع الناشطين اليساريين والماركسيين فيها لحين فشل ثورة ١٩٠٥، مما افهمه بأن عليه أن يعود إلى التخطيط مجددا. هاجر گيلفاند الى إسطنبول كي يصنع ثروته هناك مع بدايات الحرب العالمية الأولى، ولكن هدفه من جمع هذه الثروة لم تكن في غاية المجد الشخصي والاناني. كان يروم من ثروته، ومكانه، ان يقنع الالمان، فيما لحق، بأن يسهلوا ويمولوا انتقال لينين من منفاه السويسري و«زرعه» في موسكو واسناده بالذهب كي يعمل على إسقاط حكومة كيرينسكي وإخراج روسيا من حربها مع المانيا. ما حصل لاحقاً، كما يقال، أصبح هو التاريخ.

هناك شخصية تاريخية أخرى كانت تستهوي الجلبي في تلك الأيام، العراقي محمد شريف الفاروقي. الفاروقي كان ضابطا برتبة صغيرة في الجيش العثماني، ملازم منقول الى جبهة كاليبولي في الحرب العالمية الأولى، ولكنه انشق ومضى الى الخطوط البريطانية في الجبهة المقابلة، وقال لهم بأنه جزء من شبكة واسعة

من الضباط القوميين العرب الراغبين بالانقضاض على الأتراك وإسقاط الدولة العثمانية. إستطاع الفاروقي بأن يقنع الإمبراطورية البريطانية بأن تبث الحياة وتمول النزعة القومية العروبية، من خلال ارسال الذهب وأشخاص مثل «لورنس العرب». وكما يقال أيضا، ما حصل لاحقاً أصبح هو التاريخ.

هذان الشخصان، أي كيلفاند والفاروقي، إستطاعا أن يتلاعبا برغبات قوى عظمى كي يحققا ثوراتهما الذاتية. هل يبدو الامر مألوفا بالنسبة لك يا أيها القارئ؟

إن قسناه بهذا الميزان، هل كان الجلبي فعلاً «نصاباً»، ام ثوريا؟ هل كان «مشعوذا»، ام وطنياً؟

لم تكن قضيته مغبة حصول الجهاديين على أسلحة الدمار الشامل من صدام، كما قامت إدارة بوش بتبرير حربها. قضيته كانت مستوحاة من جريمة حلبجة، وهي جريمة حاولت قوى الغرب طمسها عندما كان صدام حليفهم. هل كان من اللازم على الجلبي أن يخبر واشنطن بالحقيقة إن كان فعلاً يعلم بأن نظام صدام لا يحوز على أسلحة الدمار الشامل، خصوصا وأن واشنطن كانت حليفة الجلبي قبيل الحرب؟ هل كان هناك دين في عنق واشنطن تجاه الشعب العراقي من بعد خذلانها لهم إبان انتفاضة ١٩٩١ من بعد أن دعت إدارة بوش الأب إلى نهوضهم ثائرين؟ لا أعرف إن كنا سنحصل أبداً على أجوبة مقنعة لهذه الأسئلة المربكة عاطفياً ومنطقياً.

من بعد حرب ٢٠٠٣، ومن بعد موجة الاتهامات المتبادلة، وجد الجلبي شيئاً من الراحة النفسية في معاينة سيَر وتراجم ادیناور وتشرشل ودي جول. قام الامريكان باعتقال ادیناور والاستخفاف به (كما حاولوا أن يفعلوا مع الجلبي). ناخبو بريطانيا صوتوا ضد تشرشل حتى من بعد أن قادهم إلى النصر (ناخبو العراق لم يقدروا الجلبي أيضا). كان ينبغي بدي جول أن يتمرغ بوحل ودناءة الحياة السياسية في فرنسا ولؤم نخبتها، والتي لم تحترم مساعيه لتحرير فرنسا أثناء الحرب (واجه الجلبي الكثير من اللؤم من جانب الطبقة السياسية العراقية).

ولكن عملية انتقاله من الثورية الى ما بعد الثورية في شخصيته طالت أيضاً. كان عليه أن يتغير هو كذلك. من بعد افتراقي عنه، كنت أزوره في بغداد بحجة حفاظنا على صداقتنا القديمة، نتكلم في أمور مختلفة، مثل اربطة العنق، والفن العراقي المعاصر، ووصفة طبق تايلندي كنا نتناوله في احدى مطاعم أمريكا، فيما سبق. تجنبنا الحديث في السياسة. لم نرغب في الرجوع الى أسباب الفراق. كان الجرح لا يزال غائراً، لدى الطرفين. ولكن في سنة ٢٠١٢، كان قد تغير الجلبي. كان يرى بأن المالكي، ومن بعده الطبقة السياسية العراقية عموماً، كانوا سيؤدون بالديموقراطية العراقية إلى الهاوية. لم يعد بحاجة أن يرى في نفسه «پيرا» محاطا بالمريدين. أو على الأقل، هكذا بدا لي. جل ما كان يريده هو محاولة أخيرة لتصحيح المسار. ولهذا السبب، طلب العون من أي طرف كان باستطاعته ان يعاونه على ذلك، ولكن هذه المرة، طلب العون من باب الشراكة، وليس الزعامة، الروحية منها ولا السياسية. وشيئا فشيئاً، عادت السياسة الى احاديثنا، مجرد رجلين، وبودي أن أعتقد

«وطنيين»، يسعيان من خلال العصف الذهني ان يصلا الى شيء من الحلول.

هل كانت لديه ثورة أخرى في مخيلته؟ لا أعرف. في صيف العام الماضي، إرتجل مشهداً دراماتيكياً أحبط من خلاله مخططات المالكي (ومن وراءه قاسم سليماني) لولاية ثالثة. تم اخراج هذا المشهد البرلماني بصورة بديعة: تحدى الجلبي ترشيح العبادي لمنصب نائب رئيس مجلس النواب، آخذا الطبقة السياسية على حين غفلة. كانت لحظة مفصلية، ولا يزال تأثيرها غير مفهوم بالنسبة للكثير من المراقبين السياسيين في الداخل والخارج. ولكنها إن نجحت في مسعاها، أي تقويض مخطط المالكي-سليماني، إلا أنها نبهت الطبقة السياسية العراقية مرة أخرى الى الخطر الناجم عن عبقرية الجلبي إن أطلق لها العنان، وإن وظفت ضدهم. حذفوا اسمه من لائحة بدلاء المالكي، لأن الامر لا يحتمل تسليمه زمام الأمور. وبالطبع، هذا الشرط استوفى ما أراده سليماني أيضاً، المتخوف من صديقه القديم. ولكن الكل كان لا يزال بحاجة الى الجلبي، ولكن ارادوه مروضا. كانوا بحاجة اليه لأنهم لا يعرفون كي سيواجهون الإنهيار المالي القادم، ولا أحد يعرف كيفية استباق الانهيار بقدر الجلبي، لذا كانوا يخططون لجعله نائب رئيس مجلس الوزراء للشؤون الاقتصادية. ولكن حتى هذا الأمر لم يحصل. من بعد الحدث، قال لي الجلبي بأن سليماني جاءه شاتما مقتدى الصدر، محملا إياه انهيار المخطط من بعد أن قايض على منصب نائب رئيس الوزراء بهاء الأعرجي مقابل ٢٠ مليون دولار نقداً. لم أصدق هذا القول بسبب ناقله. ولكن تبين لاحقا انه كان محقا.

كان الجلبي جالساً بجانب مسبحه في أيلول ٢٠١٤، على مقربة من ذلك الصالون العائلي حيث كان يجتمع نوري السعيد مع والده. نظر إلي الجلبي وقال «سأعمل على هدم هذا البنيان الفاسد كله» وكان يقصد طريقة ممارسة السياسة في عراق ما بعد صدام حسين. عاد مجددا إلى التخطيط، ومرة أخرى، وهذه المرة من موضعه كرئيس اللجنة المالية في البرلمان، بدأ يعمل على جمع الأدلة، ودراسة الطرق المتاحة، والأدوات المتوفرة، كي يقود ما كانت ستكون آخر معاركه. بعد سنة من العمل، بدأ يلاحق مافيا «مزاد الدولار» وهي مافيا عالمية لغسيل الأموال أضاعت ما قد يقارب مئتي مليار دولار من العملة الصعبة من رصيد البنك المركزي خلال فترة خمس سنوات. أشهر قبل وفاته، عندما شرع بهذه المعركة، سألته: «هذه مواجهة خطيرة. هل ستستمر بها الى النهاية؟» نظر الي، والنيران تلتهب في عينيه، وقال، حازماً، «نعم». في صبيحة وفاته، تبين سقوط أول سهم من سهامه، لربما من سهام الليل التي كان يتكلم عنها، في خبر يتناول تفاصيل تحقيق أطلقته الخزينة الامريكية في ممارسات البنك المركزي العراقي، وذلك من على الصفحة الرئيسية لجريدة الوول ستريت جورنال.

آخخخ. كم كنت أريد أن أراه وهو يقود هذه المعركة الأخيرة، هذه المعركة النبيلة. لربما كان ذلك سيغير تصورات من قد غرته الدعايات المناوئة تجاه الجلبي ليرى هذا الرجل على حقيقته، كي يقيس سيرته بشيء من التأني والإنصاف. ولكن لم يكتب لهذا الأمر أن يكون.

توفي فجأة، كما كان حال هؤلاء الأبطال التاريخيين الذين أعجب بهم قبل سنة ٢٠٠٣. كيلفاند توفي بسكتة

قلبية سنة ١٩٢٤، وهو جالس في كرسيه، في قصره على ضفاف بحيرة وانسي ببرلين. الفاروقي، الذي ربما كان يقدر له أن يصبح من أعظم ساسة العراق ما بعد الاستقلال، قتل سنة ١٩٢٠ بعدما اعترض قطاع للطرق سيارته بالقرب من الموصل.

بعض المؤرخين لا يزالون ينعتون أمثال كيلفاند والفاروقي بـ «نصابين». آخرون، أرحم نوعا ما، يطلقون عليهم صفات مثل «مثيرين للجدل» او «شخصيات معقدة». كلاهما أطلقا أهم عنوانين الصحف في القرن العشرين، حول العالم وفي الشرق الأوسط.

وها نحن هنا، في القرن الواحد والعشرين، نتحدث حول الجلبي.

«أبطال جراء زلل...»؟ إن نظرنا الى ما كان يسعى اليه الجلبي، بالطبع لم يكن هناك زلل بالأمر. «وهذا جزاء الطغاة».

وداعاً يا صديقي. وداعاً يا پيري السابق.

لا أدري كيف سيطلق التاريخ حكمه عليك. لا أدرى من سيعاود المحاولة، ويتابع ما بدأته.

نبراس الكاظمي
٤ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

أحمد الجلبي .... صديقاً ومناضلاً

في ٢٠١٥/١١/٣ من العام الماضي فقدنا نجماً سياسياً لامعاً في سماء الديمقراطية والحرية بالعراق، غاب عنا أحد المع السياسيين العراقيين الذي كان له دور مشهود في اسقاط أحد أكثر الأنظمة الدكتاتورية شراسة في التاريخ الحديث، وهو السياسي والقائد والأخ صديق شعبنا الكردي الدكتور أحمد الجلبي رحمه الله.

وتعود معرفتي وصداقتي بهذا القائد الكبير إلى سنة ١٩٩١ أيام المعارضة العراقية لنظام صدام حسين الدكتاتوري حين كان العراقيون جميعهم في خندق النضال ضد الحكم الدموي الصدامي، وبرز اسم أحمد الجلبي في هذه الأيام الصعبة كقائد سياسي وميداني نذر حياته من أجل شعبه في مقارعة الدكتاتورية والنظام البعثي.

عندما انتصرت إرادة الشعب العراقي في انتفاضه شعبان بالجنوب وربيع آذار ١٩٩١ في كردستان، برز هذا القائد السياسي وبمعنويات عالية وروح نضالية كبيرة بتكريس جهوده وعلاقاته القوية في المحافل الدولية ومع معظم دول المنطقة والعالم وخصوصاً مع الولايات المتحدة الامريكية من أجل تحشيد الجهد الدولي لدعم قوى المعارضة العراقية وتنظيم صفوفها من اجل تشكيل قوة معارضة حقيقية وموحدة لمنازلة الدكتاتورية على الأرض بدل التشرد في منافي الأرض والاكتفاء بالعمل السياسي فقط دون النضال في الميدان. عند تشكيل المؤتمر الوطني العراقي عام ١٩٩٢، إتفقت المعارضة العراقية وقواها السياسية على تسمية السياسي البارع الدكتور احمد الجلبي رئيسا لذلك المؤتمر الذي أصبح لاحقاً الإطار الأشمل والأكبر لجميع قوى المعارضة العراقية بما فيها الأحزاب الكردستانية.

بعد عام ١٩٩١ تعرفت عن قرب على هذا السياسي اللامع وعرفت خصاله الحميدة وقرأت أفكاره النيرة وتلمست همومه ومجملها هي من أجل تحرير العراق من الدكتاتورية، ورغم ان الجلبي انقطع عن العراق لسنوات طويلة ولكن قلبه كان ينبض بحب العراق، وكنت تحس بمشاعره الحقيقية الفياضة تجاه العراق كلما جلست معه وكان رجلاً حكيماً في آرائه السياسية، منفتحا على الآخرين، بشوش الوجه مرحاً يرتاح القلب له، يحمل قلبا أبيض لا يكن الحقد لأي كان، وكان جدياً اذا استدعى الحزم والجد، ويلين حين تطلب الحاجة اللين والموادعة، ولعل من أهم ما يميز هذا الرجل العظيم هو تفرده بمزية قراءة و استشراف المستقبل.

فعلى الرغم من فقدان أمل العراقيين بالتحرير والديمقراطية أثناء سنوات حكم النظام الفاشي في العراق، إلا أن الجلبي كان مفعماً بالأمل ومؤمنا بأنه سيأتي اليوم الذي يتخلص في العراق من الدكتاتورية وسيخلفه حكم جديد طالما حلم به وهو حكم ديمقراطي شعبي يحقق الحرية والعدالة للمواطن، ورغم هذا الحلم فإن مشروع الجلبي اصطدام في العراق الجديد بعد نهاية الدكتاتورية بالصراعات المذهبية العقيمة وتنازع قواه السياسية وتكالبها على الجاه والسلطان، وهما الشيئان اللذان تعالى عليهما أحمد الجلبي فاكتفى بأن يكون قائداً سياسياً للمؤتمر الوطني العراقي في حين أنه كان بنظري الأجدر والأكفأ بقيادة العراق في مرحلة

ما بعد الدكتاتورية.

كان الدكتور أحمد الجلبي يمتلك الشجاعة والمعنويات العالية في حتمية الانتصار على الدكتاتورية، ولذلك شاركني والاتحاد الوطني وبقية قوى المعارضة العراقية في التخطيط لعمل ثوري ضد الدكتاتورية عام ١٩٩٥ حين كان يقيم مقراته في مصيف صلاح الدين بمحافظة أربيل ، حيث جلسنا و خططنا لخوض معارك ضد قوات صدام حسين المتاخمة لحدود إقليم كردستان بهدف تفعيل الدور الجماهيري للقيام بانتفاضة أخرى مكملة لانتفاضة العراق في ربيع ١٩٩١ وكنا نزور معاً جبهات القتال ونشرف على سير المعارك هناك، وبالرغم من ان النظام الصدامي الذي كان مازال يتمتع بشيء من الدعم الدولي إلا أننا استطعنا وبالتعاون مع الدكتور الجلبي ان نضرب قواته ضربات موجعة.

بعد أحداث نيويورك عام ٢٠٠١ و مؤتمر لندن عام ٢٠٠٢ لعب أحمد الجلبي دوراً كبيراً وركز جهوده الدبلوماسية لإقناع أمريكا بدعم قوى المعارضة العراقية نحو إسقاط نظام صدام حسين، ولا ينسى العراقيون الدور الذي لعبه أحمد الجلبي في تحرير العراق وإصدار قانون تحرير العراق في عام ١٩٩٨ ولحقه بعد ذلك خوض حرب التحرير عام ٢٠٠٣ وأريد أن أسجل ملاحظة تاريخية بهذا الصدد بان الشعب العراقي وكل المحبين للعدالة والديمقراطية بأنهم مدينون لشخص احمد الجلبي لدوره البارز والبطولي في خلاص العراق والعراقيين من ظلم صدام حسين الدكتاتور.

تولى الجلبي مهام منصب نائب رئيس وزراء العراق للشؤون الاقتصادية للحكومة الموقتة عام ٢٠٠٥، إذ برز دوره بشكل متميز في إدارة الملف الاقتصادي في العراق، ولكن بسبب قصر مدة الحكومة المؤقتة والتي كانت هي سنة واحدة لم يتمكن من اكمال برنامجه الاقتصادي الذي كان في مصلحة الشعب العراقي، ولم يتولى بعد ذلك اية مسؤولية قيادية في إدارة الدولة العراقية وبالرغم ذلك ولكنه ظل وفياً لشعبه مكتفياً بدوره السياسي حين ركز نشاطه السياسي هذه المرة للحرب على جبهتين خطيرتين، الأولى جبهة الحرب من أجل استئصال حزب البعث وأفكاره الشوفينية والتدميرية في العراق، وحربه الضروس ضد آفة الفساد الذي بدأ يستشري في أوصال العراق ويهدد كيانه الجديد، حيث عمل من خلال موقعه كرئيس للجنة المالية بالبرلمان العراقي لمحاربة الفساد وسرقة أموال الشعب العراقي وتصدى بحزم للمجموعة الفاسدة التي ظهرت في مجال العمل السياسي بالعراق الجديد.

أود أن أشير بأن الدكتور أحمد الجلبي الحاصل على شهادة الدكتوراه في علم الرياضيات من جامعة شيكاغو في الولايات المتحدة الامريكية، وكان ذا موهبة كبيرة في علوم الرياضيات وبالرغم من انشغاله بالسياسة إلا أن من يتعامل معه كان يلمس ويحس بأنه رجل علمي وأكاديمي ذو خبرة واسعة في مجال اختصاصه ولكن يؤسفني القول هنا وكما بينت أعلاه لم يعط حقه ولم تقدر جهوده السياسية كما ينبغي ولم يلتفت اليه كرجل علم من علوم الرياضيات ويستحق أن يقام له نصب تذكاري يوضع في إحدى ساحات بغداد تعبيراً عن نضالاته السياسية عبر مدة طويلة من اجل الشعب العراقي الابي.

رحـم اللـه هـذا القائـد الكبـير الـذي رحـل عنـا تـاركاً عـلى كواهلنـا عبئـاً ثقيـلاً، وأقـول ثقيـلاً لأن لا أحـد مثـل الجلبـي كان قـادرا عـلى حمـل أعبـاء الوطـن الجريـح، ندعـو الأه ان ينعـم عليـه بجنـات الخلـد لمـا قدمـه مـن أجـل تحريـر العـراق مـن الدكتاتوريـة ومـا ناضـل مـن أجلـه لتحقيـق العدالـة الاجتماعيـة وهـو كان الشـعار الأثـير لـدى المناضـل والقائـد أحمـد الجلبـي.

كوسرت رسول علي
٦ ايلول ٢٠١٦

«صفحة من التاريخ طويت» .. أحمد الجلبي، الوطني العراقي صديق إيران

كان الجلبي على دراية تامة بأن العراق ـ حتى قبل سوريا ـ هو ضحية العداوة بين واشنطن وطهران، يكتب جاريث سميث:

في نوفمبر من عام ٢٠٠٥ ذهبت لمقابلة أحمد الجلبي ـ وكان في ذلك الوقت نائب رئيس وزراء العراق ـ في الطابق الأعلى من فندق كبير في طهران، حيث كان هو ومستشاره الباكستاني الزرادشتي زاب سيثنا مبتهجين كالأطفال وهما منكبَّان على كومة كبيرة من كتب الفن.

كانت هذه الكتب قد جاءت من متحف الفن المعاصر في طهران، الذي سبق للاثنين زيارته بعدما سألهما الرئيس محمود أحمدي نجاد إثر اجتماعه معهما عن المكان الذي يرغبان في زيارته. لم يكن الجلبي يعرف فقط كنوز المتحف الكثيرة ـ ومن بينها أعمال لمونيه وجاكسون بولوك وآندي وورهول ـ بل كان يعرف التاجر النيويوركي الذي اقتنى كثيراً من هذه الأعمال لحساب فرح بهلوي قرينة الشاه.

كان الجلبي ـ الذي توفي عن واحد وسبعين عاماً ـ هو الرابط مع عراق أقدم وأكثر إنسانية، عراق بات أكثر اختلافاً وثراءً ثقافياً من عراق صدام حسين ومقتدى الصدر والدولة الإسلامية (داعش).

لم يكن الجلبي يرى تعارضا بين كونه وطنياً فخوراً بعراقيته ـ يتكلم إنجليزية سليمة بلكنة ثقيلة ـ وكونه شيعياً وثيق الصلة بإيران ولبنان. وهذا ما جعل فهمه صعبا، أو حتى مستحيلاً، على من يريدون اختزال العالم إلى أبيض وأسود.

عندما انقلب الأمريكيون عليه في عام ٢٠٠٤، من خلال مؤتمرات صحفية في البداية ثم من خلال الإغارة على بيته البغدادي، عمّت الدهشة العارمة من امتلاك الجلبي نسخة من القرآن أهداها له «آية الله روح الله الخميني». وردَّد كثير من الصحف أن الجلبي جاسوس إيراني.

إلتقيت الجلبي للمرة الأولى سنة ١٩٩٢ في صلاح الدين بشمال العراق الواقع تحت سيطرة الأكراد في أعقاب الغزو الأمريكي للعراق سنة ١٩٩١. كان الجلبي قد دخل العراق عبر إيران، بعدما احتجز لفترة عابرة على الحدود للاطمئنان بلا شك على مصلحة طهران. ولكن فيما كان الأكراد يجرون الانتخابات، لم يضيّع الجلبي وقتا في المناداة بمظلة جماعية جديدة للمعارضة العراقية وعلاقة وثيقة مع الولايات المتحدة.

في عام ١٩٩٣ ألقى محاضرة في مدرسة الدراسات الشرقية والأفريقية بجامعة لندن عن أهمية إعادة تأسيس سيادة القانون في العراق: كان ذلك بمناسبة إطلاق كتاب شبلي ملاط عن محمد باقر الصدر العالم الشيعي الذي اغتاله صدام سنة ١٩٨٠. في ذلك الوقت تقريبا كان الجلبي قد استعار نسختي من رواية «فكتوريا» الملحمية للكاتب العراقي اليهودي سامي ميشيل الذي انتهى به المطاف في إسرائيل بعد شيء من العزوف.

شـأن ميشـيل، اسـتعادت تمـارا الجلبـي ـ ابنـة أحمـد الجلبـي ـ عراقـا أقـدم وأكـثر تعدديـة في سـيرتها العائليـة الصـادرة سـنة ٢٠١٠ بعنـوان «متأخـرة عـلى الشـاي في قـصر الغـزال» (Late for Tea at the Deer Palace)، والـذي تفتتحـه بخريطـة لبغـداد سـنة ١٩١٧ حينـما كان ربـع المدينـة مـن اليهـود. أهـدت تمـارا الكتـاب إلى عمهـا حسـن شـقيق أحمـد الجلبـي الأكـبر الـذي أسـس الجامعـة الإسـلامية في لبنـان.

كانـت للجلبـي أخطـاؤه ـ شـأننا جميعـا. غالبـا مـا كان يقـال إنـه لا يحتمـل الحمقـى، وقـد يـدرج التاريـخ بـين هـؤلاء الحمقـى «بـول بريمـر» الحاكـم الأمريـكي التعيـس الـذي رأس سـلطة التحالـف التابعـة للاحتـلال. غـير أن أوضـح الحمقـى ـ ومـن بينهـم نصـف الإعـلام الأمريـكي ـ هـم أولئـك الذيـن صدمـوا حينـما اكتشـفوا في ٢٠٠٤ أن الجلبـي كان يعـرف منـذ وقـت طويـل هـدف الولايـات المتحـدة «الـسري» المتمثـل في الإطاحـة بصـدام، وذلـك جزئيـاً بنـاء عـلى مزاعـم بامتلاكـه «أسـلحة دمـار شـامل».

ربمـا لم يكـن الجلبـي يتحـلى بالصـبر، ولكنـه كان في الغالـب يتحـلى بالحكمـة. ويشـهد لـه سـجله بالقـدرة عـلى الجمـع بـين النـاس. لقـد تشـكل المؤتمـر الوطنـي العراقـي في عـام ١٩٩٢ فـكان تجمـع المعارضـة الواسـع الممثـل والشـامل للوطنيـين العراقيـين والأكـراد والجماعـات الشـيعية القائمـة في طهـران ومـن بينهـا الدعـوة والمجلـس الأعـلى للثـورة الإسـلامية في العـراق.

توسّـط الجلبـي شـخصياً أثنـاء الحـرب الأهليـة بـين الفصائـل الكرديـة في ١٩٩٥/١٩٩٦، مخاطـراً بنفسـه في بعـض الأحيـان. دفـع بعـض مسـؤولي المؤتمـر الوطنـي العراقـي حياتهـم ثمنـاً حينـما تقدمـت قـوات صـدام حسـين سـنة ١٩٩٦ لمسـاندة الحـزب الديمقراطـي الكـردي في ذلـك الـصراع، حتـى أن «آراس حبيـب» وهـو المسـؤول الأمنـي لـدى الجلبـي نجـا بأعجوبـة مـن مداهمـة قـوات الأمـن البعثيـة للبيـوت.

وسـط اضطرابـات العـراق سـنة ٢٠٠٣، كان الجلبـي يتوسـط، ومـن بـين مـن كان يتوسـط لديهـم العـالم الشـيعي المقاتـل مقتـدى الصـدر. ومـع أن إيمانـه بـضرورة اسـتعمال القـوة للإطاحـة بصـدام حسـين لم يتزعـزع قـط، إلا أن الجلبـي كان يؤثـر بصـورة طبيعيـة حـل الاختلافـات عـبر الحـوار والتنـازلات. وإذا كان لم يتـول قـط منصـب رئيـس الـوزراء، فقـد بقـي بيتـه البغـدادي قبلـة كثـير مـن الـوزراء العراقيـين التـي يتوجهـون إليهـا طلبـا للمشـورة في كل أمورهـم إبتـداءً مـن الروابـط العائليـة وحتـى الشـؤون النفطيـة والماليـة.

كانـت للجلبـي معرفـة موسـوعية، وذاكـرة اسـتثنائية. فقـد كان في نهايـة المطـاف حاصـلا عـلى درجـة الدكتـوراه في الرياضيـات مـن جامعـة شـيكاغو ولـه أبحـاث منشـورة في الجـبر. وكان ذلـك اسـتعداداً غـير معتـاد لولـوج عـالم السياسـة العـربي الغائـم، ولمشروعـه المـصرفي الكبـير في بنـك البـتراء الأردني، الـذي أدى إلى انهيـاره سـنة ١٩٨٩ وحكـم القضـاء العسـكري عليـه بالسـجن لمـدة اثنـين وعشريـن عامـا وهـو مـا بقـي أمـراً إشـكالياً، إذ ظـل الجلبـي يؤكـد براءتـه بينـما يزعـم كثـير مـن منتقديـه إدانتـه بالاحتيـال.

ويبقـى مـن المفارقـات أن يـأتي موتـه في الوقـت الـذي لم تتوصـل فيـه فقـط الولايـات المتحـدة وإيـران إلى صفقـة

نوويـة ـ برغـم مـا بينهـما مـن اختلافـات ـ بـل وتنخرطـان متأخرتـين في حـرب سـوريا المدمـرة. لقـد كان الجلبـي عـلى درايـة تامـة بـأن العـراق ـ حتـى قبـل سـوريا ـ هـو ضحيـة العـداوة بـين واشـنطن وطهـران.

أتذكـر الجلبـي في بغـداد في يونيـو ٢٠٠٤ إذ يؤكـد لي بقـوة اسـتثنائية أنـه كان واضحـاً طـول الوقـت مـع الولايـات المتحـدة في التأكيـد عـلى أن ولاءه الأسـاسي للعـراق لا لواشـنطن. وكان أول مثـال ضربـه هـو إيـران. قـال الجلبـي إنـه في الوقـت الـذي أعلـن فيـه الرئيـس جـورج بـوش قبـل سـنتين أن إيـران إحـدى دول «محـور الـشر»، كان العـراق بحاجـة إلى إقامـة علاقـات طيبـة مـع جارتـه، وتوسـيع روابطـه الاقتصاديـة معهـا، وإنهـاء عـداوة تـضرب جذورهـا حتـى الحقبـة العثمانيـة.

لقـد أثـار رحيـل الجلبـي المفاجـئ، إثـر سـكتة قلبيـة، إحساسـا قويـا بالخسـارة. ولقـد قـال لي شـبلي مـلاط «إننـي أشـعر وكأن صفحـة مـن التاريـخ قـد طويـت».

وسوف يوارى جثمان الجلبي التراب في مقبرة العائلة بالنجف، إلى روحه رحمة من الله.

جاريث سميث
جريدة الغارديان
٣ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

طاوع التاريخ لإرادته

كان أشبه بمدار من الطاقة الأساسية، فريدٌ في كل شيء. كان يجذب، وينفر، بقوة متساوية. في اللقاء الأول، وحتى لاحقاً، سيجعلك تفقد بوصلتك. ستفقد حيثياتك، لأنك لن تعرف كيف تتصدى أو تتماشى مع وجوده الجبار. شديد الثقة بنفسه الى حد التعجرف، موسوعي المعرفة، ثقافة لا نظير لها، وإدراك بارع حتى في مواضيع غير متوقعة. ماذا عن التجاذبات السياسية في بريطانيا إبان حكم التيودرز، أو خفايا عالم هندسة ريمان، أو فلسفة الملا صدرا؟ البعض سعى واحب مجالسته. ولكن أصحاب الذهنية الضئيلة، ومعهم من يقضي الوقت لذاته، ليس لديهم إلا أن يجلسوا صامتين، يهزون رؤوسهم إيذاناً، غير فاهمين لما يقال امامهم من قبل هذا الرجل المذهل. لم يسبق وان خبروا شخصاً مثله، ولذلك لم تكن لديهم القدرة على غور عبقريته. فصيل واسع من المغامرين، وأصحاب وسياسيي الصدفة، ممتلئين بالكراهية والحقد والجشع، تجمهروا حوله في سنواته الأخيرة. خططوا وتآمروا بطرقهم البائسة، مما أدى الى استهلاكه، والى تقويضه، والتقليل من شأنه. استنزفوه، ونهلوا من إنجازاته وانتصاراته، من دون أي اعتبار أو عرفان للدين الهائل له في أعناقهم. في النهاية اطاحوا به، وانثالوا من حول العملاق العارج كالحشرات. في الحقيقة، لم يتحملوا تجليه التلقائي من فوقهم.

كانت لديه فضائل الرجل البطولي، وليس فقط ذاك الخلوق. الشجاعة، العمل الدؤوب، وفوق كل ذلك، الإرادة. كانت شجاعته اسطورية، لربما متهورة. كنت شاهداً على حالة منها، فبعد ان اطلع على سير الأمور، واستنتاجه بأن حرسه ينفذون مهامهم بصورة جيدة، عاد وغطَ في النوم رغم تعرض مقره لهجوم مسلح عاتٍ. أما القصص عن عدم اهتمامه بالخطر أثناء الحرب الأهلية في لبنان، أم أثناء مكوثه الموحش في جبال كردستان-العراق في التسعينات، فهي لا حصر لها. ولكن إرادته هي التي كانت دراماتيكية ببُعدها وتوهجها. هذه الإرادة جعلته يتغلب على صعاب مستحيلة. هي التي جعلته يحوز على لقب الدكتوراه في الرياضيات في عمر الـ ٢٣، و أن ينشئ مصرفا من دون خبرة مصرفية سابقة، كي يتحمل الافتراءات التي كيلت عليه من بعد اندحار «مصرف البتراء»، إلى أن أنشئ، لوحده، وفعليا من لا شيء، شبكة عالمية من الحلفاء والمتعاطفين في مسعى إزاحة صدام، وثم الى مناهضة وتحدي قوة عظمى عندما حاد مساره عن مصالحها، إلى أن تحمل الأعباء الجسيمة المترتبة على مواجهة طبقة سياسية لئيمة وطماعة كان قد وجد نفسه متداخلاً معها. كانت إرادته هي الأمر الذي أبهر وسحر وتجبر. وكانت هي سنده لإخراج نفسه من ظروف مروعة، عادة كانت من صنع يده.

ولكن، ككافة الابطال العظام، كانت له مثالب. كان ميالاً لأغلاط مدمرة في التقدير. اختياره للحلفاء والأعوان كان رديئاً. اتخذ القرارات الخاطئة في بعض الأحيان ودفع ثمن عواقبها. كان يثق بصورة متساهلة، وكان يسحب ثقته متساهلاً أيضاً. كان يتعاطف ولكنه لا يمارس الانعتاق. كان يسمح لوجوده الجبار ان يتجاوز

مشاعر الآخرين سلبا. كان انزواءه، وعدم مبالاته للأعراف، يساء تفسيرها على أنها كبرياء أو غرور. كان يرفض أي موانع على حركته، أو حريته، في مجتمع محكوم بالتقاليد البالية. لا اعتقد بأن كان لديه أصدقاء حقيقيون، بالرغم من مرور آلاف الناس من امامه. بعض المرافقين ربما، ولكن لا أصدقاء يثق بهم ويحبهم ويستطيع أن يشاركهم همومه وما يثقل كاهله. عرفته طيلة حياتي، وفي مرحلة ما، تصورت انني لربما كنت صديقه. ولكنني اقتنعت بأنني لم اكن كذلك، ولن أكون ذاك الشخص. كان لديه عمق من المستحيل اختراقه، بالرغم من انني ادركت، قبل الكثير من غيري، بانه كان موسوما بقابليات خارقة. ربما كافة الابطال لديهم هذه الميزة، هذه الوحدانية الأساسية، ومناعة تخفي سرهم الحقيقي.

حيثما ما ذهب، كان يخلق عالما يمتاز به. بينما كانت النخبة الجديدة في العراق تنهب الدولة بصورة محمومة، أحيى بستان عائلته المتروك في قلب بغداد. بنى هيكلاً غير مألوف، يجمع ما بين قاعة تآلف، ومعرض فنون، وورشة عمل، ومكان سكن مستمدا من تاريخ العراق. كانت هذه افادته بأنه قد اتى ليبقى في موطن اجداده، وليذهب المشككون والمرتابون الى الجحيم. من هذا الموضع، الذي كان اشبه بالحصن المتراس، كان يناظر مجريات الأمور في المنطقة الخضراء، مندهشا من حقارة وفساد وجشع وتفاهة وغدر وجبن وفجور الطبقة الجديدة من حكام واسياد العراق.

ولكن كان لكرنفال البشاعة هذا جانب مظلم، لم يكن باستطاعته رؤيته. كانت هذه البشاعة تمزق ارضه، وهي الأرض الذي كان تواقا للعودة اليها طيلة حياته، وأركعتها ذلاً ونكوصاً. عندما استفاق لهذا الامر، كان قد فات الأوان. قضى سنواته الأخيرة وهو يكشف الجوانب المرعبة المتسترة من وراء هذا النظام الجديد، ولكنه لم يستطع أن يدفع بنفسه إلى الحرب المطلقة ضد حلفاء الأمس. كانوا قد خانوه بصورة متكررة، يطلقون الوعود التي لم تكن في نيتهم ابدا الالتزام بها. استهان بالآثار المدمرة لهذا الكم الهائل من الغدر والخيانة على صحته. إستعان بإرادته، وبشجاعته وعمله كي يتحداهم. ولكن لم يكن الأمر كافياً.

كان رجل اللحظة، دائماً يعيش في الحاضر، عند تقاطع التاريخ والقدر. لم يعترف إلا بهاتين الطاقتين كأنداد له: التاريخ والقدر. كان دوماً يتكلم عن التاريخ، وعن فلسفة التاريخ. هيگل ورانكي وجيبون وآخرون تزاحموا بين كتبه. كان يعشق واگنر. ولكنه احتذر من القدر، واقترب منه بصورة غير مباشرة، على تماس حرج. أعمال ابن العربي كانت هي أيضا محشورة في مكتبته. أعتقد بأنه قد أجاد الطريقة التي يصنع بها التاريخ. كانت تطاوع إرادة الرجل البطولي. وفعلا، طاوع التاريخ لارادته. ولكنه اعتقد بحتمية تسيّده على مصيره. ولكن التاريخ والقدر يظهران وجهيهما كجوانب مختلفة من الزمن. تسيّد القدر لن يجدي. الأبطال يعرفون ذلك ولكن هذا لا ينهيهم عن المستحيل.

بوفاته نال الجلبي المجد. مسيرة حياته كانت مدهشة، كشهاب يضيء السماء. كل ما ينبغي على المرء فعله هو أن يشهد هذا بانبهار، وبأن يحمد الظروف التي جعلته شاهدا على هذه المسيرة.

أحمد الجلبي ١٩٤٤-٢٠١٥

علي عبد الأمير علاوي
١٢ آب ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

أحمد الجلبي: داعية لإصلاح الشرق الأوسط

هناك لحظات في التاريخ عندما يتلاقى الرجل مع اللحظة. ولكن اللحظة تمر، ويمر الرجل، وكأنهما متشابكان سوية. هذا الأسبوع، نشهد رحيل رجل استثنائي، وهو كان أكثر بكثير من كونه رجل: أحمد الجلبي.

عرفت الجلبي جيداً، أولا بصفتي كمدير برنامج الشرق الأوسط في مؤسسة «اميركان انتربرايز انستيتويت» («أى إي آي»، مركز فكري استراتيجي في واشنطن) في منتصف التسعينات. بدأت علاقتنا الثمينة في ظروف أكاديمية ونقاشية، ولكن سرعان ما تغيرت الظروف مع انتخاب الرئيس جورج دبليو بوش سنة ٢٠٠٠، عندما شرعت مجموعة من مفكري الـ «أى إي آي» بالانخراط في الإدارة الجديدة. انخرطت انا كذلك، أولا عندما أوكلت لي مهمة انشاء خلية تعنى بالسياسات الجديدة في وزارة الدفاع (والتي لاحقاً أصبحت تعرف باسم «مكتب المشاريع الخاصة») سنة ٢٠٠١، وثم كمستشار اقدم لدى وكيل وزير الخارجية جون بولتن، ولاحقاً مستشاراً أقدم سنة ٢٠٠٣ لدى نائب الرئيس ديك تشيني.

تحولت علاقة الجلبي معي ومع غيري من تلك التي كانت خارج أروقة السلطة إلى محورها، وبالطبع، أصبح هذا الأمر مثيرا للتساؤلات. الكثير من الحبر قد تم سكبه في التأويلات والأقاويل حول علاقات الجلبي مع شلل معينة في قلب السلطة في واشنطن. تمت الإشارة الي في عدد منها، وكأنني جزء من مؤامرة مترامية الأطراف يقوم بها المحافظون الجدد استجابة لتوجيهات من جهات أجنبية إلى درجة ما.

من باب السخرية، تمت الإشارة الي بشكل متزامن في غضون أسبوع واحد من سنة ٢٠٠٥ من قبل أطراف في المؤسسات الأمنية على كوني عميلاً إلى إيران وإسرائيل كل على حدا، وهذه منقبة إن صحت لكانت قد وضعتني، بالإضافة الى آخرين تم اتهامهم بنفس الطريقة، على اعلى سلم المكائد العالمية من وزن الجاسوسة «ماتا هاري». بالرغم من أن هذه الاتهامات قد تشبع غروري وتجعلني فعلاً أتصور بأنني بهذا المستوى من الدهاء والذكاء والحذاقة في التلاعب بأروقة السلطة، ولكنني شعرت بالقلق الشديد على سرعة انتشار هذه الاتهامات بالخيانة الى درجة انها أصبحت دارجة ومتداولة كحقائق. وهذا ما جعلني أدرك بأنني، وإن كنت منهمكا في محاولة فهم ما هي أسباب الفشل في الشرق الأوسط، كان علي ان اقضي قسطا من الوقت في محاولة فهم ما هي أسباب تدهور الأمور في واشنطن أيضا.

وفي جوهر هذه الاتهامات بالتآمر هي مقولة بأن أحمد الجلبي، مستخدماً جاذبيته الشخصية وسلاسته، كذب وسرب معلومات إلى «شلة» من شركائه بالتآمر، والذين قاموا بتمرير خطة، مصدرها خارجي، تم تفقيسها في مؤسسة الـ «أى إي آي» للتلاعب بالحكومة الامريكية بمجملها، وبالطبقة الحاكمة المنتخبة شعبياً، لتوريطهم في حرب مبنية على أسس مزيفة ولغرض خدمة اجندات خارجية. مرة أخرى، بالرغم من هذه الأقاويل قد تشبع غرور المرء حول دهائه وذكائه كونه جزءاً من أعظم عمليات الاختطاف في تاريخ الإنسانية بخلاف رضا الشعب، ولكنها مقولة مذهلة قياسا ببعدها عن حقيقة الأمور.

المحافظـون الجـدد، أو هـؤلاء الذيـن قـد لا ينطبـق عليهـم هـذا القالـب الفكـري تحديـداً (مثـل حالتـي) وكانـوا مجـرد رفـاق درب، كانـوا في محصلـة الأمـور مثقفـين مدفوعـين بأفكارهـم وليـس برغبـة دفينـة للحصـول على السـلطة البيروقراطيـة، وكوننـا اتخذنـا مواقـف في التسـعينات والتـي كانـت تعتـبر مدمـرة لحيـاة وظيفيـة في بيروقراطيـة الدولـة ربمـا عـززت مـن هـذه النظـرة بأننـا كنـا مدفوعـين بأيـاد خفيـة. في الواقـع، اتخذنـا هـذه المواقـف غـير المرحـب بهـا لأننـا كنـا نتوجـس مـن النخـب السياسـية والثقافيـة في العـالم العـربي. بالمجمـل، إن كنـا محافظـين جـدداً او لا، كنـا متأثريـن جـدا بتجربتنـا إبـان الحـرب البـاردة، وكنـا مبهوريـن بفكـرة أن المجتمـع العـربي لديـه الكينونـة لـكل مـا هـو جيـد إن تحـرر مـن أغـلال النخـب الفاسـدة التـي تحكمـه. وقفنـا سـوية كمجموعـة، وجزئيـاً نظـراً الى تأييدنـا لإسرائيـل، بالنـد مـن التوقعـات العنصريـة الدارجـة في واشـنطن بـأن المنطقـة لا يمكـن إصلاحهـا.

ولأن الكثـير منـا كنـا يهـوداً (وتجربـة هـذا الشـعب مـع العنصريـة الغربيـة)، كان العهـد المتعـارف بيننـا أننـا سـنقف بالضـد مـن الإعتقـاد بـأن هنـاك أمـراً خاطئـاً فطريـاً في العقـل العـربي عـدا عـن السياسـات المنحرفـة التـي تسـلطت عليـه. أثنـاء عملنـا مـع المعارضـين في أوروبـا الشرقيـة والوسـطى الرازحـين تحـت الشـيوعية، وكان الكثـير منهـم يهـوداً أيضـاً، شـعرنا بإنسـانية «العـدو» وبأنـه لا توجـد هنـاك شرانيـة في شـعوب أوروبـا الشرقيـة، ولكـن مجـرد قـادة شرانيـين ينحرفـون بسياسـاتهم. وعليـه، كنـا نبحـث بحـماس عـن «ليـخ فاليسـا» العـربي او «فاسـلاف هافـل» العـربي. بالنسـبة لي شـخصياً، كـوني ابـن معـارض تشـيكي هـرب مـن بـلاده سـنة ١٩٤٨، كان هـذا الامـر محوريـاً بالنسـبة لي.

وهكـذا، منـذ أواسـط التسـعينات، كانـت لي حـوارات مطولـة، عـلى مجـرى قنـاة الـ «سي آنـد او» (مجـرى مـائي في واشـنطن) او في مقاهـي ومطاعـم شـمال غـرب واشـنطن، مـع هـذا الرجـل الـذي شرع بتعليمـي عـن غـزارة الفلسـفة العربيـة والتاريـخ العـربي. في هـذه الفـترة، أي قبـل هجـمات الحـادي عـشر مـن سـبتمبر، هـذا السـيل مـن المعلومـات مـن الجلبـي لم يفاجئنـا ولا غـير مـن آرائنـا، لأننـا، كمجموعـة متآلفـة، كنـا سـاعين الى الأفـكار لا الى السـلطة، كنـا سـاعين الى الإحاطـة التفصيليـة بالثقافـة وتحديـد ملامـح مـا يسـميه الرئيـس أوبامـا حاليـاً «قـوس التاريـخ الأوسـع»، لا الى ملاحقـة الاخبـار وتحويرهـا الى دوافـع ضغـط سياسـية. أحمـد الجلبـي الـذي عرفتـه كان لديـه معرفـة عميقـة وحـب جـلي لشـعبه، ولديانتـه الشـيعية، ومعرفتـه عـن فلاسـفتها العظـام وكيـف سيتناسـق الفكـر السـياسي العـربي مـع القـوس المماثـل، الواسـع، للفكـر السـياسي الغـربي.

فتعلمـت مـن الجلبـي بـأن الـسرد السـني الـذي تعلمنـاه مـن دراسـتنا في الجامعـات الامريكيـة كان أحـادي الجانـب ومغلوطـاً. تعلمـت منـه بـأن الثـورة الإيرانيـة سـنة ١٩٧٩ كانـت ثـورة مـن داخـل التشـيع وضـده وبأنهـا مرفوضـة الى حـد اليـوم مـن قبـل اغلبيـة علـماء الشـيعة. تعلمـت منـه بـأن الفكـر الإسـلامي الثـوري الـذي أتى بـه الخمينـي كان فكـراً دينيـاً يحـاول إنتـاج مفهـوم أفلاطـون حـول الملـك الفيلسـوف، والـذي انتهـى بـه المطـاف ليكـون أسـاس الفكـر الشـمولي في الغـرب، وهـذا يفـسر اسـتعارة الثـورة الإسـلامية في ايـران للكثـير مـن المفاهيـم الفكريـة الشـيوعية في العـالم الثالـث، وكيـف كان لهـا أن تتفاعـل براغماتيـاً مـع شـموليين آخريـن مـا بـين معسـكري الإسـلام السـني والقومـي العـربي. عرفـت مـن خلالـه بـأن هنـاك حاجـة ملحـة كي نتجـاوز النظـرة السـطحية التـي تـرى

نزاعات ما بين الشمولية العربية القومية والشمولية الإسلامية لنجد بأن الواحدة ترفد الأخرى، من جانب العودة التواقة الى ماض مجيد (الواحدة الى مجد عرقي اصيل، والأخرى الى صفاء المجتمع المحمدي الأول) ولكن كلاهما سيتصرفان بوحشية ودموية شمولية متطرفة في منظورهما حول المجتمع والدولة. تعلمت منه بأنه هو وآخرون من النخب العربية القديمة كانوا متأسفين لطرد وانهاء وجود المجتمعات اليهودية الشرقية القديمة من بغداد والقاهرة، لا حباً باليهود، ولكن اسفا على الفراغ الذي أحدثه خروجهم في الثقافة العربية ومجتمعها، وهو درس لعل نخب أوروبا عليها احتسابه وهي تشهد الخروج النهائي لليهود من قارتها هذه الأيام.

هذا التفاؤل الكبير حول الاحتمالات الإيجابية الممكن حدوثها في الثقافة العربية، وليس سيل معين من المعلومات، هو الذي قادني وآخرين الى تأييد إزاحة صدام حسين ورفاقه الشموليين من السلطة. كان الامر بالنسبة لنا هو مزاولة حربنا ضد الشمولية، الشيوعية في الثمانينات، ثم القومية العربية وما يوازيها بشاعة الشموليات الإسلامية التي كانت تظهر بالتزامن، وبالتناسق، مع القومية العربية في التسعينات. ولم يكن هذا الأمر حدثاً واحداً بمعزل عن أمور أخرى او نهاية المطاف بحد ذاته. كان هو المدخل كي نواجه التحدي ونكمل المسيرة ضد الأنظمة الدموية في ايران وليبيا وسوريا وحلفائهم، وهو رأي يبدو بأن إدارة أوباما قد تبنته نسبيا فيما لحق...

وبعد هجمات الحادي عشر من سبتمبر، تم الطلب مني، بصفتي ضابط استخبارات بحرية متقاعداً، بأن اعاين الكم الهائل من المعلومات التي استحصلت عليها اجهزتنا الأمنية للإجابة عن صفة الفاعل، وما هو حجم المشكلة. لم يطلب مني أن أجد أو أن أعزل أدلة لتبرير خطة حرب كانت قد وضعت مسبقا. وبالفعل، ما ظهر من بعد مراجعة عشرات الآلاف من المعلومات المستحصلة من قبل أجهزتنا الأمنية، لم يكن الأمر يتطلب المزيد من المعلومات. نظراً الى حجم المعلومات الأولية، كانت أجهزتنا تعمل بصورة قد تثير غيرة الكثير من الأمم. وعليه، عندما شرعت بإنشاء أولى لبنات ما تم تسميته من قبل آخرين بأنها «خلية استخباراتية مارقة» في البنتاغون، لم تكن هناك حوارات بيني وبين الجلبي حول مصادر جديدة او جزئيات معلوماتية جديدة. من وقف بالضد من هذه الخلية افترض بأنها كانت تجمع المعلومات من خلال قنوات غير مشروعة، وبالتحديد من أحمد الجلبي بصورة مكثفة، ولكن في واقع الحال، أنا وزملائي (واحد منهم أصبح لاحقاً عضو مجلس نواب عن الحزب الديموقراطي) لم تصلنا أي معلومات بالمطلق من الجلبي في هذه الفترة وكان اعتمادنا يقع فقط على ما جمعته أجهزتنا الأمنية من خلال القنوات المشروعة.

ولكن ما استوردناه من الجلبي كان تفاؤله وإيمانه بأن هناك مستقبلاً أفضل يكمن لدى شعبه، وازدراءه العميق تجاه القيادات الشمولية في العراق وايران وسوريا وليبيا، وكذلك منظمة التحرير الفلسطينية، وما كانوا يقومون به من الهاء شعوبهم بعيدا عن فقرهم الى متاهات غاضبة ودموية تؤسس لإحباط محكم. وبالتحديد، وهنا لم أطلع الجلبي على هذا الأمر، ولكن لم تكن معلوماته او فهمه للنظام البعثي في العراق

هـي مـا جعلتنـي أرى العقيـدة الاديولوجيـة لنظـام الجمهوريـة الإسـلامية في ايـران بمثابـة التهديـد الأكـبر في المنطقـة، لا بسـبب الخطـر الناجـم عنـه، ولكـن بسـبب الخـراب الـذي سـيحدثه اسـتمراره عـلى محاولاتنـا في الانفتـاح عـلى التشـيع وتحفيـزه بصـورة صديقـة وفعالـة كي يواجـه تحـدي القوميـة العربيـة والإسـلام السـياسي بصـورة متوازيـة، وهـذا أمـر فهمتـه مـن خـلال أحاديثـي التنويريـة مـع الجلبـي التـي جعلتنـي أرى الطبيعـة الثوريـة لـدى العقيـدة الإيرانيـة الجديـدة وكـم كانـت تمثـل هـي بدعـة في الفكـر الشـيعي.

حقيقـة، كان الجلبـي يقلـل مـن الخطـر التـي تمثلـه ايـران الى درجـة مـا، لأنـه كان ينظـر الى عقيدتهـا بـازدراء بالـغ، وكان يعتقـد بأنهـا سـتنهار مـن تلقـاء نفسـها، ولـن يتطلـب الأمـر أي عنـاء منـا. لم أسـتطع أن أتفـق مـع الجلبـي عـلى ذلـك، لأنـه هـو مـن نـورني حـول خطـر هـذا النظـام، وهـو مـن أقنعنـي بالفرصـة الكامنـة مـن خـلال صحـوة شـيعية تحـدث بمعـزل عـن سـيطرة طهـران. وبسـبب هـذه القناعـات التـي أتـاني بهـا، كان تركيزي—وهـو أمـر لربمـا كان سـيؤلمه إن اطلـع عليه—قبـل حـرب العـراق كان عـلى خطـر ايـران تجـاه المنطقـة وليـس عـلى خطـط التحضـير للحـرب مـع العـراق، ومـا بعـد الحـرب كان تركيـزي عـلى الخطـر التـي تمثلـه ايـران وهـي تطلـق العنـان لحربهـا ضدنـا في العـراق وسياسـتها الهادفـة الى تمزيـق أي امـل كان لدينـا في تنميـة صحـوة شـيعية متصالحـة مـع الغـرب وصديقـة لـه.

بإختصـار، كان نفـوذ أحمـد الجلبـي هـو أنـه جعلنـا نفكـر عـن الإتجاهـات الخاطئـة التـي مضـت بهـا الثقافـة العربيـة والإسـلامية لا أن نتصـور بـأن هنـاك ثلمـة متلازمـة بهـا تنهيهـا عـن تصحيـح المسـار. في سـنة ١٩٩٧، كان لي حـواراً مـع السـفيرة جـين كيرباتريـك، حيـث أسرت لي بـأن العـالم العـربي كان قـد اختـبر إيمانهـا بعالميـة المفاهيـم الليبراليـة. وبالنسـبة لنـا، منـا مـن كان يعتـبر نفسـه مـن مريـدي السـفيرة كيرباتريـك، كان الجلبـي بمثابـة المصـل الـذي منـع عنـا الوصـول الى هـذه الاسـتنتاج المتشـائم.

هـذا الأسـبوع نقـف لمشـاهدة رحيـل رجـل عظيـم، وفي رحيلـه اسـتعارة مجازيـة لـكل مـا حـدث في العقـد المـاضي. تحريـر العـراق، والـذي أطلـق الرفسـات الأولى غـير المعـترف بهـا مـن الربيـع العـربي، في بـيروت سـنة ٢٠٠٥، وطهـران سـنة ٢٠٠٩، وذلـك بشـهادة مـن قـاد هـذه الفـورات، قـد نتـج عنـه ظـلام لم يكـن يتخيلـه. ليبراليـو المنطقـة، في لحظـة بـدو وكأنهـم المسـتقبل الواعـد لـشرق أوسـط جديـد، الآن منـزون بعيـدا عـن الأضـواء، أو يتراجعـون ويهربـون. مـا يظهـر هـو حضـارة إقليميـة—لا دول قائمـة بحـد ذاتها—وهـي تنحـدر الى بـؤس لا قـاع لـه، والى أزمـة لجـوء سـتلحقه، أكـبر بكثـير مـن أي شيء قـد شـهدناه إلى هـذا الحـين. ومـن بقـي للسـيطرة عـلى المنطقـة هـي شـلل مـن الجـلاوزة—قسـم منهـم شـيعة، وقسـم سـنة، وقليـل منهـم قوميـون عرب—ضـد مـا تبقـى مـن قيـادات عربيـة معتدلـة تتشـبث بمراكـز القـوة القليلـة المتبقيـة لديهـا. لـن يكـون هنالـك اسـتيعاب مجـدد لليهـود مـن خـلال إسرائيـل قويـة إلى منظومـة شرق أوسـطية واعـدة والتـي مـن شـأنها ان تزيـد مـن غنـى جاراتهـا، كـما كان الحـال قبـل ١٩٤٨، ولكـن مـا سـيجرى هـو إتمـام طـرد واندثـار مـا تبقـى مـن أقليـات في المنطقـة، وانـدراس آثارهـم ومعالمهـم، والكثـير منهـا هـو اقـدم مـن الهويـة العربيـة والإسـلامية التـي تسـعى إلى محـوه. في الختـام، الايمـان بمـا كان يمكـن أن يحصـل في

المنطقة، وهو الايمان الذي كان يعني كل شيء بالنسبة لأحمد الجلبي، قد افضى إلى إحباط أنجبته المساعي الحثيثة لقوى الشمولية لتعزيز نفسها وإطلاق يد الموت المبرمج. هذا الأسبوع لا نشهد مجرد وفاة رجل، ولكن أيضاً وفاة اللحظة الواعدة التي كان يمثلها في مسار التاريخ.

ديفيد وورمسر
مجلة الـ «ناشيونال رفيو»
٥ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

أحمد الجلبي.. الوطني والصديق العراقي

إلتقيت بأحمد الجلبي للمرة الأولى قبل ثلاثين سنة. إصطحبتني جوديث كيبر- وكانت آنذاك باحثة في معهد بروكنجز- لمقابلة أحمد الجلبي في أصيل يوم السبت في البيت الذي كان يستأجره في ريف فرجينيا. وعلى الفور أثار ذكاء الرجل الإستثنائي إعجابي ومعرفته الموسوعية بالشرق الأوسط، وصراحته التي تبعث الحيوية في المواضيع المطروحة للنقاش، وذاكرته الفريدة. كنا في عام ١٩٨٦ وواشنطن الرسمية مفتونين بصدام حسين وباحتمالات قيام علاقات جديدة. كانت إدارة ريجان- ومؤسسة السياسة الخارجية المتبنية لفكر المحافظين الجدد- ترى أن صدام هو السادات الجديد، وهو الزعيم العربي القوي الذي قد ينتقل من المعسكر السوفييتي إلى الجانب الأمريكي.

وبوصفي عضواً في لجنة مجلس الشيوخ الأمريكي للعلاقات الخارجية، كنت قد زرت العراق قبل سنوات قلائل مرتاباً في احتمال أن يكون صدام حليفاً. رأيت في كل مكان في العراق لافتات عملاقة لصدام، في سترة رسمية، في زي شيخ عربي، وفي ثياب كردية، وفي الزي العسكري. وعند نصب الجندي المجهول (وهو نفسه ضحية حرب صدام ضد إيران) أحصيت ١٤٤ صورة للدكتاتور، فذهبت إلى أن صدام مصاب بجنون العظمة. ولاحظت شيئاً آخر: هو الخوف. كان بوسعي أن أستشعره لدى من قابلت من المسؤولين وبينهم مسؤلون كبار في الحكومة، وفي وجوه العراقيين العاديين.

وفر لي أحمد الجلبي من المعلومات الملموسة ما دعم انطباعاتي، وبمرور السنين صرنا صديقين. أثناء رحلة إلى العراق سنة ١٩٨٧، صادفت تدمير القرى الكردية وفي السنة التالية قدت بعثة مجلس الشيوخ الأمريكي التي وثّقت استعمال الأسلحة الكيميائية ضد أهل القرى الكردية. وصرت ولا أزال مؤمناً بالقضية الكردية متحمساً لها. وكان أحمد الجلبي أحد قلة عربية تشاركني حماسي. وكثيراً ما كان يتكلم وإياي، وبدرجة كبيرة كان ما علمته منه هو الذي جعلني خبيراً في الشأن العراقي.

في عام ١٩٨٩ خططت أنا وأحمد لإقامة دعوى ضد الشركات التي باعت للعراق ما استعمل من المواد الكيميائية في برنامجه التسلحي. جمع أحمد الأدلة - فأوضح من البائع ونوعية المواد الكيميائية وكمياتها- بينما حاولت أنا جمع محامين مرموقين قد يقبلون بتولي القضية. لم يكن ثمة ما يمكن أن يكسبه أحمد الجلبي من أنشطته المناهضة لصدام. كانت إدارة الرئيس الأمريكي جورج بوش الأب تقترب من الدكتاتور العراقي- بل وتداهنه في رأيي- وتجده دعماً لها في ذلك من نافذين في الكونجرس الأمريكي. إستمع الأمريكيون لما كان لدى أحمد الجلبي، وكان لديه الكثير من الأدلة القوية، لكنهم قرروا أن عراق صدام حسين أهم بالنسبة لهم وقد بات يُرى بمثابة درع دون إيران ومكان رائع للإقتصاد الأمريكي.

وتغير ذلك كله في ٢ أغسطس ١٩٩٠ حينما غزا صدام الكويت مبرهناً على أن أحمد الجلبي كان مصيباً في وصفه التحالف مع صدام حسين بالحماقة. إنطلق أحمد الجلبي إلى العمل، جامعاً العراقيين المعارضين في

واشنطن مقيماً الحجة على أن أهداف الحرب لا ينبغي أن تقتصر على تحرير الكويت بل يجب أن تتضمن دعم العراقيين إلى الإطاحة بصدام حسين برغم أن جورج بوش الأب كان قد دعا الشعب والجيش العراقيين إلى الإطاحة بصدام حسين في غمار حرب الخليج الأولى، لم تكن إدارة بوش تتوقع الإنتفاضة التي قامت آنذاك. لكن أحمد الجلبي كان يتوقعها وشاهد فزع الولايات المتحدة وهي لا تحرك ساكناً بينما كان صدام يسحق انتفاضات الجنوب والشمال مريقاً دماء عشرات الآلاف.

ربما كان شخص أدنى ليستسلم، لكن الجلبي رمى بنفسه في أتون خلق معارضة عراقية فعالة، فعمل مع الأكراد الذين باتت لهم أرض يسيطرون عليها، ومع المعارضة العلمانية، ومع الفرق الشيعية الدينية. والمدهش أن الجلبي استطاع أن يضع أجندة مشتركة احتوت ما هو أكثر من مجرد التخلص من صدام. فمما كانت له أهميته الخاصة أنه استطاع أن يحمل المعارضة العربية على القبول بالفدرالية، وكانذلك مطلباً أساسياً من مطالب الأكراد. دعم أحمد الفدرالية لا لمجرد كون الأكراد جزءاً من المعارضة لا غنى عنه، بل لأنه كان يراها الصواب.

كثيراً ما كنت مع أحمد في تلك السنوات في فيينا حيث ساعد على تنظيم اجتماع المعارضة الأول، وفي لندن حيث مقر المؤتمر الوطني العراقي وفي شقته المليئة بالأعمال الفنية في مايفير، وفي بوسطن حيث كانت ابنته تمارا تدرس وحيث أبهج أبوي المسنين بزيارة إلى بيتهما في كمبريدج. وكنا نلتقي في واشنطن حيث كان يقول إن نظام صدام حسين أوهى مما يبدو وأن بوسع العراقيين متى حظوا بالدعم الأمريكي اللائق أن يطيحوا به.

حملة أحمد الجلبي من أجل حرية العراق كانت خلاقة بلا حدود. فقد شكَل المؤتمر الوطني العراقي في عام ١٩٩٢ ليكون مظلة جامعة للمعارضة وفي نهاية العقد أسس منظمة إندِكت INDICT البريطانية غير الحكومية لجمع الأدل على جرائم الحرب والجرائم التي ارتكبها المسؤولون العراقيون ضد الإنسانية. وعملت في مجلس إدارة إندكِت مع أحمد، فكان دائماً الأكثر اجتهاداً واطلاعاً؟ وشجاعته كانت تضاهي ذكاءه. وقد قضى وقتاً غير قليل من تسعينيات القرن الماضي لا في منزله الأنيق بمايفير بل في كردستان العراقية مواجهاً صدام حسين من الخطوط الأمامية.

يلوم كلٌ من المدافعين عن إدارة بوش والمنتقدين لحرب العراق أحمد الجلبي على حرب العراق. فيزعمون أنه غالى في التهديد الذي يمثله صدام حسين وجعل الغزو يبدو يسيراً بل قال إن القوات الأمريكية لن تقابل إلا بالزهور والحلوى.

وإلقاء اللوم جزافاً بهذه الطريقة فحش من المسؤولين عن الحرب وأخطائها، وهو أيضاً إعادة كتابة كاملة للتاريخ.

لقد كان أحمد الجلبي يريد ذهاب صدام، ولكن خطته الأثيرة كانت تتمثل في دعم أمريكي للعراقيين الراغبين في تحرير بلدهم بأيديهم. وهو إن يكن قد تعاون مع الغزو الأمريكي، فقد عارض بشدة الإحتلال

الأمريكي ذاهباً إلى أن العراقيين أقدر على إدارة شؤونهم وإلى أن الشعب الأمريكي لن يقبل بمحاولة الأمريكيين إدارة البلد. وكالعادة ثبت أنه كان على صواب.

لم يحقق أحمد الجلبي قط طموحه إلى أن يكون رئيس وزراء العراق. فقد تجاوزت سلطات الاحتلال الأمريكي الجلبي في ٢٠٠٤ في ظل غضبها مما تعرضت له من إخفاقات. ثم فشلت حملة أخرى لتولي المنصب الرفيع في ٢٠١٤- بدلاً من المالكي- وكان من أسباب ذلك أيضاً معارضة الولايات المتحدة.

لطالما اعتقدت أن الولايات المتحدة ارتكبت خطأ جسيماً. لقد أقنع الجلبي- وهو الرجل الذي بقي عقوداً طوالاً بعيداً عن بغداد بغير قاعدة سياسية حقيقية فيها- أقوى دولة في العالم أن توظف جيشها دعماً لتحقيق هدفه بتحرير بلده. وفي رأيي أن رجلا أمكنه أن يفعل ذلك وأمنكه أن يبرع في العمل مع المجموعات العراقية المختلفة من الأكرد إلى الأحزاب الشيعية الدينية كان هو الأقدر على إنجاح عراق ما بعد صدام حسين. وفي كل الحالات، كان من المستحيل أن يبلي بلاء أسوأ من الذي أبلاه بول بريمر وغيره من الهواة الذين أداروا الاحتلال الأمريكي.

لقد رأيت أحمد الجلبي مرات كثيرة بعد سقوط صدام. ولو أنه كان مستاءً من عدم توليه رئاسة الوزراء فهو لم يبد ذلك مطلقاً. فكان يفعل كل ما يفعل بحماس واهتمام بسلامة العراق. وليس أدل على ذلك من حوار جرى بيننا في مكتبه الحكومي حول نظام الصرف الصحي في مدينة الصدر. أنا دبلوماسي ولست مهندساً، وأحمد كان يركز على تحسين حياة الناس في أفقر أحياء بغداد. كانت لديه خريطة ضخمة لنظام الصرف الصحي مبسوطة على طاولة الاجتماعات وأراني مواضع الانسداد- وكان من بين أسبابه عربة وحصان نافق - وكيف يخطط لتنظيف الأنابيب وإصلاحها.

في أبريل ٢٠٠٣، وصلت إلى بغداد (مستشاراً لـ آيه بي سي نيوز) قبل أيام قليلة من وصول أحمد الجلبي. ولا أعرف كم من الجنود استقبلوا بالزهور، لكنني استقبلت بالزهور. فبالقرب من تمثال صدام الذي أسقط في ميدان الفردوس، كان هناك شيخ وحفيده يقطفان الزهور لتقديمها لي. ويوم وصول أحمد الجلبي إلى بغداد ذهبت لأراه في نادي الصيد ببغداد. كان قد رجع إلى وطنه بعد خمسة وأربعين عاماً، فكانت لحظة انتصار، وكنت فخوراً أن أشارك أحمد فيها مشاركة صديق لصديق. ولكن حوارنا حتى في تلك الليلة كان عن المستقبل لا عن لحظة الانتصار واستطابة لذتها.

لقد كان أحمد الجلبي وطنياً عراقياً لا يحمل ولاءً إلا لبلده. ومهما يكن السوء الذي تردت إليه الأوضاع بالنسبة للولايات المتحدة، فقد حقق هدفه بتحرير العراق من طاغية سفاك للدماء وجلب الحرية لملايين العراقيين ولولا أحمد الجلبي، لما كان شيء من هذا قد تحقق بلا أدنى شك.

بيتر دبليو جولبريث في السادس من أكتوبر سنة ٢٠١٤

بيتر دبليو جالبريث

مع الملك عبدالله الثاني عمان ١٩٨٦

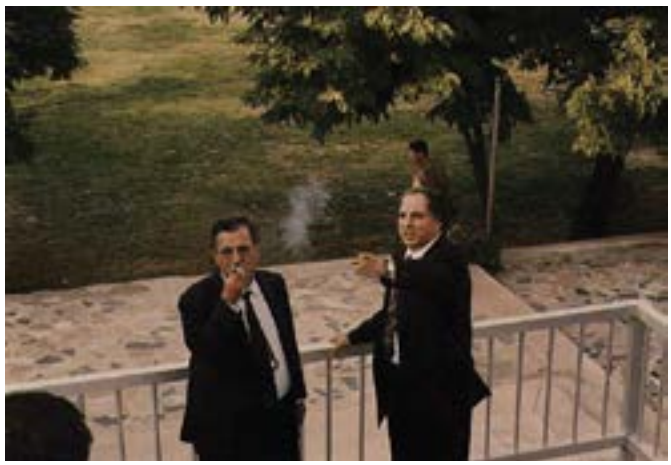

شقلاوة مع جلال طالباني ١٩٩٢

أربيل- عمليات آذار ١٩٩٥

أربيل - صلاح الدين ١٩٩٤

شقلاوة - ١٩٩٢

مع مسعود بارازاني
في مؤتمر الوطني العراقي صلاح الدين ١٩٩٢

مع آراس حبيب
مؤتمر صلاح الدين ١٩٩٢

أثناء انعقاد المؤتمر الوطني العراقي
صلاح الدين ١٩٩٢

كوردستان - العراق ١٩٩٢

انتخابات كوردستان ١٩٩٢

واشنطن ١٩٩٧

مع نائب الرئيس الأمريكي ١٩٩٩

مع آل غور ١٩٩٩

على الجبهة ,كوردستان ١٩٩٤

مع كوسرت رسول ,كوردستان ١٩٩٣

مع جلال طالباني ونجرفان بارازاني باجتماع مع آل غور ١٩٩٨

كوردستان ١٩٩٥

مع مسعود بارازاني كوردستان - العراق

الإجتماع مع اولبرايت وزيرة الخارجية الامركية ١٩٩٩

مع مسعود بارزاني
و إياد علاوي لندن ١٩٩٥

مع جيمس ولزي رئيس CIA السابق واشنطن

مع الشريف علي بن الحسين
وكنعان مكية في مؤتمر لندن ٢٠٠٢

مجلس الشيوخ ٢٠٠٠

مع الاميرة درشهوار بنت السلطان عبد المجيد الثاني العثماني،
لندن ١٩٩٩

أثناء العبور إلى العراق من إيران
كانون الثاني ٢٠٠٣

دوكان شباط ٢٠٠٣

سليمانية مع كوسرت رسول ٢٠٠٣

مع السناتور ترنت لوت
و هوشيار زيباري ,واشنطن

مع الشهيد سماحة السيد محمد باقر الحكيم
طهران ٢٠٠٢

دوكان ٢٠٠٣

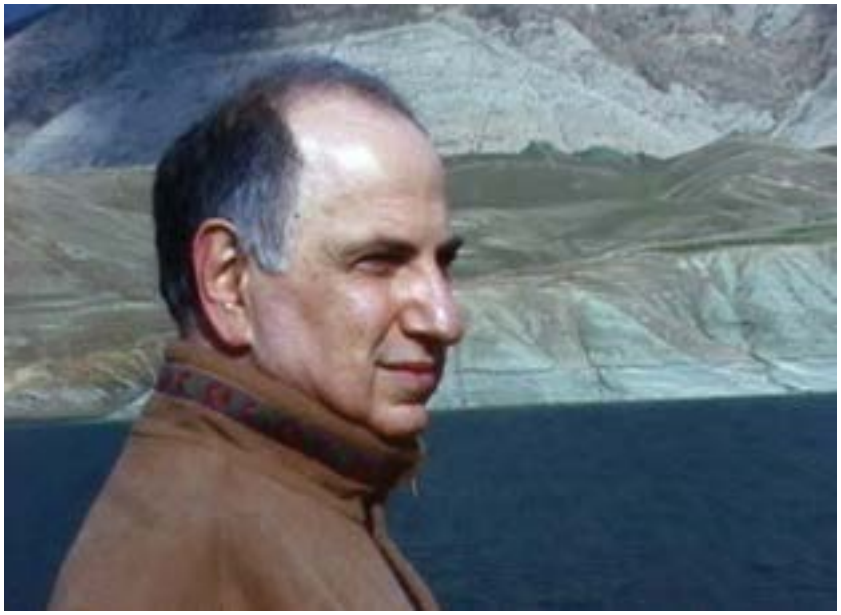

الناصرية - نيسان ٢٠٠٣

صلاح الدين شباط مؤتمر ٢٠٠٣

الناصرية نيسان ٢٠٠٣

احمد الجلبي، المتلاعب الرئيّسي

من الحقائق اللافتة للنظر هي أن أحمد الجلبي، من بعد أن أدار العراق وامريكا رأساً على عقب وأطلق كافة آلهة وشياطين الحرب، توفي جراء أسباب طبيعية في بغداد هذا الأسبوع.

قليل من الناس استطاعوا تغيير مسيرة التاريخ في العقود القليلة الماضية، بحكم قوة شخصيتهم، كما فعل الجلبي. المؤرخون سيتجادلون حول أسباب وتبعات حرب العراق، ولكن في تقييمي، لو لم يكن الجلبي في الصورة، لكان صدام حسين أو أحد أبنائه أو أعوانه الخبثاء لا يزالون يحكمون العراق اليوم.

الجلبي عمل بتفان كي يقنع أمريكا، حينما كانت ترمي الى الانتقام من هجمات الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، كي تدمر عدوّه وعدو ايران، الجهة التي أغدقت الدعم عليه دوماً. على العراقيين أن يقرروا إن كانت هذه النتيجة أفضل لبلدهم، ولكنها بالتأكيد كانت أسوء بالنسبة للولايات المتحدة.

الفلاسفة قد تجادلوا لقرون عما فعلاً يدفع حركة التاريخ. هل هم الرجال والنساء أصحاب الأفكار التي تغير العالم والتاريخ، كما ادعى جورج ويلهلم فريدريخ هيگل؟ أم أن هناك قوة كامنة بعمق في التقنيات والاقتصاد (أي وسائل الإنتاج كما أسلف بذلك كارل ماركس) والتي تحدد مسرى القصة؟ أم أن لدى «الله»، مهما تعددت مسمياته، خطة تجري بموجبها الأمور؟

الجلبي جعلني أعتقد بأن الأفراد هم من يصنعون هذا الفارق. لم يكن هناك أي شيء حتمي حول غزو أمريكا للعراق والنتائج المدمرة التي صدرت عن ذلك القرار. ومثل الكثير من الأمور في الحياة، حدثت في الهوامش.

إن لم يكن الجلبي يحاضر بانتظام في كورس الأستاذ فؤاد عجمي في كلية جون هوبكنز للدراسات الاستراتيجية المتقدمة في التسعينات، وإن لم يكن بول وولفويتز، والذي سيصبح لاحقاً وكيل وزير الدفاع، عميد الكلية آنذاك، وإن لم يكن وولفويتز ونائب الرئيس ديك تشيني قانعين بدعوة الجلبي لضرب جوهر قوة العرب من خلال إزاحة صدام، وإن لم يكن تشيني محتقراً للـ «سي آي آى» والتي حاولت ان تحذر أصحاب القرار بأن الجلبي لا يمكن الوثوق به...كل هذا لم يكن مقدراً له.

كان الجلبي فعلا متمرسا، فكان مصرفياً وسياسياً وصاحب ذوق رفيع ومنسقا للأساليب القذرة ورجل مخابرات في آن واحد. التقيته عام ١٩٩١ لأول مرة عندما كان يساعد شركة التحريات المالية العالمية «جولز كرول» استرداد الموارد الكويتية المسروقة من قبل العراق إبان غزو عام ١٩٩٠. كتبت جوانب من رواية في حينها تحت عنوان «مصرف الخوف» بناء على ذلك البحث. كان الجلبي كريماً بشكل غير مألوف بوقته وعبقريته، ولكن كانت لديه أجندات شخصية معقدة أيضا، وكان يخفيها عموما بشكل متقن.

في تلك الفترة التقيت إياد علاوي، منافس الجلبي الأكبر ولاحقاً سيصبح رئيس وزراء العراق. ومع مضي

السنوات، تباعد الجلبي عني، حتى وصل الحال بأننا لم نكن نتحدث الى بعضنا البعض اثناء بروز نجمه في الفترة التي سبقت حرب العراق. إن أخطائي الذاتية في دعم غزو العراق، والتي لخصتها في هذا المقال عام ٢٠١٣، لا يمكن تبريرها بالإشارة إلى الجلبي او الى الـ «بروباغاندا» التي أطلقها حول أسلحة الدمار الشامل.

الجلبي، كما الحال مع اصدقاءه الإيرانيين، كان يعمل على اللعبة الطويلة الأمد في العراق. عندما زرته في بغداد في نيسان ٢٠٠٣، من بعد قيام الجيش الأمريكي بإتمام حلمه بإزالة صدام، أحد أعوانه اوصد الباب في وجهي واتهمني بأنني «أعشق علاوي».

ظهر الجلبي من خلف الباب بوجهه البشوش الدائري وقال، «لا، لا، نحن نعرف ديفيد» بصورة مهدئة، وسحبني من يدي وادخلني الى مقر اقامته. شاهدته بعدها لعدة ساعات وهو يصر بأنه رجل البنتاغون في بغداد، وبأن العراقيين الآخرين الذين يرومون دعم أمريكا لهم لن يحالفهم الحظ.

كانت الـ «سي آي آى» قد توصلت الى الكثير من القناعات الخاطئة حول العراق، ولكنها كانت محقة بشأن الجلبي. الوكالة حكمت بأنه لا يمكن الاعتماد عليه، وبأن الرجل لديه روابط عميقة مع النظام الثوري في ايران.

ومن المفارقات التاريخية العجيبة هي ان الجلبي تم مناصرته من قبل نخبة المحافظين الجدد الموالين لإسرائيل بالرغم من انه كان على اتصال مع ايران التي تروم تدمير إسرائيل. كيف حصل ذلك؟ إن قام المؤرخون بملء مكتبة كاملة بإصداراتهم لن يستطيعوا تفسير هذا الأمر. لم تكن مؤامرة، وإنما كانت خطأ يحسب عليهم.

ولكن الجلبي فعل شيئاً واحداً لم يكن في التصور، خصوصاً وأنه صاحب نزعة ذواقة ورفيعة، وهو انه بقي في العراق، يساوم الفصائل المختلفة لشريحة من النفوذ، آملا بأنه سيخرج لاحقا كمرشح التسوية لمنصب رئيس الوزراء. وفي ذلك كانت لديه خاصية تفتقدها أمريكا: الإصرار.

درس واحد من كلمتين من بعد مراجعة هذه السيرة العجيبة: لنكن حذرين. التاريخ ليس لديه جانب من الحق، او مسار واحد يتصاعد الى النور. بعض من الحالمين الذي يغيرون التاريخ هم كذابون، أيضا. على الامريكان أن يتعلموا المزيد حول الشرق الأوسط قبيل أن نمضي إلى شباك رجل بدهاء ومرونة الجلبي.

ديفيد اغناتيوس
جريدة الواشنطن بوست
٥ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

صداقة عمر

عرفت أحمد منذ أن وعيت على الدنيا حيث كنا أقرباء وأصدقاء وزملاء لا بل أكثر من ذلك كنا أخوه واستمرينا كذلك وافترقنا لاحقاً هو سافر إلى خارج العراق لإكمال دراسته الثانوية وأنا استمريت في العراق وكنا نتابع بعضنا من خلال الأقرباء ونلتقي كلما سافرت إلى لبنان أو لندن أو غيرها ومرت الأيام والسنوات وأكمل أحمد دراسته في أمريكا وأخذ شهادة دكتوراه فلسفة في الرياضيات وأنا أكملتها في لندن أخذت نفس الشهادة لكن في الطب وأصبح أحمد مدرساً في الجامعة الأمريكية في بيروت وأنا في لندن بعد أن تخاصمت مع قيادة حزب البعث وتزوج أحمد من سيدة كريمة ومن أسرة لبنانية كريمة من أقرباء والدتي المقربين.

وكنا كلما نلتقي أنا وأحمد كأننا لم نفترق فكنا نتفق ونختلف ونتشاجر ونفكر بشكل مختلف أحدنا عن الأخر ولكن أخوتنا كانت حية و مستمرة وتعمقت بشكل أكبر بعد أن عملنا في المعارضة لإنقاذ العراق مما حل به . كان أحمد بالنسبة إلي يمثل الصديق و القريب والأخ العزيز والمثقف الواعي الذي لا أشعر بالملل عندما أكلمه وكان خصماً لي في جزء من تفكيره وعنوداً ومثيراً يحفز المقابل على التحدي خاصة في شجارنا ويعزز الإصرار على مواصلة الطريق لكن كل ذلك كان يعزز العلاقة ولايفصمها رغم الأختلاف، لم تكن أحاديثنا في السياسة أو الأقتصاد فقط وأنما تجاوزت ذلك الى كل نواحي الحياة من التاريخ والرياضة والجغرافية والعلوم وغيرها وكانت الأحاديث ممتعة تماماً وحبوبة ومسلية.

وكنت أقف مع أحمد سياسياً عندما يتعرض لمشكلة أو لاستهداف من جهة ما وهو يقابلني بالمثل كذلك، كان جريئاً بعض الأحيان الى حدود التضحية بالنفس وخاصة عندما عمل على رأب التصدع الكردي الكردي في أيام الاقتتال المريرة كما كان مصراً على التحدي لإنقاذ العراق الى الحد الذي قصَر بحق أسرتة وصحته، كان يثق بالناس حتى بمن خذله بعد أن توافق معه لكنه كان أبيَّ النفس فهو نشأ في أحضان أسره كريمة محترمة كان يزورني وأزوره باستمرار وكنا نقضي ساعات جميلة فيها التناقض والتضاد وفيها التوافق، جلسات حلوة كنا نحس بطعمها وحلاوتها تحدياتها ومخاطرها، كنا نختلف لكن وبالرغم عنا نشعر دائماً بأننا أخوه وأصدقاء في التوافق والخصام والأختلاف واللقاءات كانت عزاء له وعزاء لي لما آل آليه العراق والمنطقة بالرغم من حجم تضحياتنا و وتضحيات العراقيين و تلتقي في النهاية رؤانا حول الكثير من نقاط الخلاف والاختلاف لكن ليس كلها .

لقد جاء الإنذار المرير عندما تناول أحمد طعام العشاء معنا قبل أكثر من أسبوعين بقليل وكانت زوجتي جالسة معنا وآخرين على الطاولة فقالت لي بعد أن غادر أحمد مسكننا «رأيت دائرة بيضاء في عينيّ أحمد» قالتها بخوف وقلق فقلت لها وما معناها الطبي تحديداً أجابت أنها «علامة على ارتفاع في دهون الدم وهذا خطر شديد على القلب» ولم أرد ان اقلق أحمد في المساء أتصلت به صباح اليوم الثاني أكلمه عن موضوع ثانوي وفي سياق الحديث قلت له يا أحمد بالمناسبة هل تعمل فحوصات للدم قال نعم عملت

فحص قبل أسبوعين في لندن التي زارها ليأتي بأسرته الكريمة للسكن في لبنان بعد أن أنهى استكمال بيته هناك فقلت له كل شي تمام في الفحص قال نعم فقلت على كلٍ عندما نذهب الى بيروت في المستقبل القريب نجري فحصاً اخر أنا وأنت للتأكد لأننا تحت ضغط كبير وذلك حتى لا ينتبه إلى ملاحظتنا على العشاء لكنني تطمنت من أنه قد أجرى الفحص في لندن.

لقد فقدت أحمد لربما أكثر من أي شخص أخر عدا أهله كنا صادقين مع بعضنا وكنا نستأنس سوية بالأفكار والرؤى وسعة المواضيع التي نبحثها ولكن ما بقى هو الذكريات الجميلة والمُرة وكذلك في ابنتيه تمارا ومريم وولديه هاشم وعبد الهادي وزوجته ليلى عسيران الجلبي والأحياء من أشقائه رئيفة وثمينة و د.حسن وطلال وحازم والذين غادروا الحياة الفانية والده الكريم ووالدته الطيبة وأشقاءه رشدي وجواد وشقيقته نجلة وعزائي كذلك أنه يرقد في الصحن الكاظمي الشريف قريباً من قبر جدتي أُم والدتي وخالي عبد الكريم رحمهم الله جميعاً وأسكنهم فسيح جناته وهكذا كان أحمد قبل أستشهاده وهكذا سيبقى أحمد حياً بفكره وتضحياته وذكراه وشخصيته...

اياد علاوي
١٥ آب ٢٠١٦

له الخلود...

قـد نعجز أحيانـا» عن الشـكر والامتنان لأشـخاص فعلوا الكثير لأجلنا ولأجل وطننـا، وعندما نتكلم عـن المرحوم الـدكتور أحمـد الجلبـي (رحمه الله) تتسـابق الكلمـات وتتزاحـم العبـارات لتوفيـه حقـه لأنـه كـان كالنخلـة الشـامخة التـي تعطي بلا حـدود ودون أي مقابـل فهـو ينبوع مـن العطـاء تدفـق للعـراق والعراقيـين.

لـم أقترب يومـاً مـن شخصية سياسـية فـذة متألقـة كاقترابي مـن الـدكتور (رحمـه الله) فمـن خلال سـنوات عملي معـه والـتي افتخـر بهـا عرفتـه رجـلاً وطنيـاً غيـوراً على وطنـه وشـعبه، لبقاً سـريع البديهـة، واسـع الثقافة، شـجاعاً، عطوفـاً، حكيماً، يمتاز بذكائـه المتألـق وتأثيره الساحر في حيـاة من خالطه وجالسـه. فقد كان يعمل جاهـدا» عـلى زرع الألفـة والمحبـة بـين السـياسيين ونبـذ الفـتن والطائفيـة مـن أجـل مصلحـة الوطـن.. ريـاضي ومـن عشـاق الرياضـة، نشـيط، تـراه هنـا وهنـاك وفي جميـع المناسـبات والمشـاركات .. لـه بصـمات واضحـه يشـهد لهـا الكثير... فقـد كـرس حياتـه مـن أجـل عـراق حـر، أبي ، صامـد ، مزدهـر، وكانت لـه خططـه المسـتقبلية الخاصـة لبلـوغ ذلـك ولكـن ومـع الأسـف ليـس كل مـا يتمناه المرء يدركـه حيث كـان القـدر يخطط لـه مالـم يكن بالحسبان فيأخـذه منـا دون سـابق انـذار، فقـد فارقنـا دون وداع لأن الوداع يحدث بين المفترقين حقيقةً أمـا هـو فلـم يغـادر قلوبنـا أبـداً والمغـادرون هـم مـن لا يتركـون بصمـةً أو منجـزاً مشـهوداً لـه بالتميـز وهـو لـه بصـمات ومنجـزات داخـل عراقنـا وقلوبنـا، فلـه منا كل الشـكر والامتنان وسـلام عليـه إنسـاناً يحمل كل معاني الإنسـانية والوفاء.

هاشم حميد خزعل
١٠ أيلول ٢٠١٦

أحمد الجلبي والإسلام الشيعي وإيران

عندما التقيت بأحمد الجلبي في ابريل سنة ١٩٩١ على غداء في مطعم سوشي بواشنطن، علمت أنني وجدت الرجل الذي سوف يحرر العراق في نهاية المطاف من الطغيان. لم أدر كيف، ولم أدر متى، ولكنني علمت أن ذلك سيحدث. في غضون دقائق من جلوسي معه، علمت بالضبط لماذا قال لي الأستاذ برنارد لويس ـ الذي كان قد التقى بالجلبي قبل أيام من ذلك اليوم ـ إنني لا بد أن أقابله. سرعان ما اكتشفت أن الجلبي كان من بين أكثر من قابلتهم في حياتي عبقرية وموهبة وفتنة، وأن إحساسه وعدله وإنصافه وعمق شخصيته سوف تتكشف من خلال أفعاله بمرور الوقت.

كان قد سبق لي أن التقيت بالكثير من زعماء المعارضة في الشرق الأوسط والعالم الإسلامي، وكنت على قناعة أنهم جميعا، بأرق ما لدي من كلمات، أصحاب أقوال لا أفعال. كانوا يقضون الكثير من الوقت في انتقاد غيرهم من زعماء المعارضة وتمجيد أنفسهم.

أما الجلبي فلم يكن يفعل هذا أو ذاك. كان تفكيره منصبا على سعيه إلى الإطاحة بصدام من السلطة ليرفع عن كاهل شعبه نير المعاناة والطغيان. كان يريد احتواء العراقيين جميعا، بغض النظر عن انتماءاتهم السياسية أو الدينية، فقطع أشواطا بعيدة في احتواء السنة من العرب والأكراد ضمن دائرته، لأنه كان على علم بأن العراق سوف يتفكك إذا ما أقصيت أي جماعة.

كنت أعرف أيضا أن تحرير العراق مهمة شاقة لن يروق للمؤسسة السياسية الأمريكية أن تتولاها. وكان صدام في نهاية المطاف سنّيا، وبرغم أنه كان يمثل تهديدا للسعوديين وبقية دول الخليج لكنه كان منهم، وكان قادتهم وثيقي الصلة بالمؤسسات السنية الحاكمة لهم. إن ما كانت تريده تلك المؤسسات السنية هو أن تحرِّر الكويت، وأن تجد سبيلا لفرض طاغية سني آخر على العراق فيبقيه مقموعا ويمنع شيعة العراق من السيطرة على الحكم بوصفهم الأغلبية. كان أولئك الحكام العرب مهدَّدين بالفعل من إيران الشيعية، ويخشون أن تأتي دولة أخرى شيعية الحكم فتجعل من الصعب عليهم أن يسيطروا على رعاياهم من الشيعة.

كان أولئك الحكام السنة يكرهون الجلبي، وكان السبب الأول والأكبر في ذلك هو أنه شيعي. وبدت المؤسسة الأمريكية وكأنما لا حيلة لها أمام التركيبة الطائفية الدينية في العراق. (كثير للغاية من المتخصصين الأمريكيين في شؤون العالم العربي ابتلعوا زعم حكام العرب السنة بأن الأغلبية في العراق للعرب السنة).

كان أحمد الجلبي نسيج وحده، فقد كان يألف الثقافة الغربية، ويألف في الوقت نفسه وبالقدر نفسه الثقافة الإسلامية في وطنه. وكان صاحب رؤية، ومع ذلك كان في الوقت نفسه شديد العملية عندما يتعلق الأمر باستعمال أي سبيل لتحرير شعب وطنه العراقي الحبيب الذي كان يشعر تجاهه بمسؤولية والتزام

كبيريـن. كان بوسـعه، بـل ربمـا الأجـدر بـه، وهـو سـليل عائلـة ثريـة، أن يعيـش حيـاة رغـدة في الغـرب لا يقـض مضجعـه فيهـا مـا يجـري لأهلـه في العـراق.

ولكـن الواجـب نـاداه، فاسـتجاب لصـوت روحـه الـذي أرغمـه عـلى بـذل تضحيـات شـخصية هائلـة، فقـدَّم كل مـا في وسـعه لتحريـر وطنـه وشـعبه. وكان معنـى ذلـك في بعـض الأوقـات أن يعيـش أقـسى الظـروف بعيـدا عـن رغـد العيـش الـذي درج عليـه منـذ طفولتـه في بغـداد.

عـاش الجلبـي في لنـدن ثـم في الولايـات المتحـدة حيـث حصـل عـلى البكالريـوس والدكتـوراه في الرياضيـات التـي لم تبتعـد قـط عـن ذهنـه. فكنـا كثـيرا مـا نذهـب إلى متاجـر الكتـب في العاصمـة واشـنطن وسـواها ليسـارع كلَّ مـرة إلى قسـم الرياضيـات مبـاشرة، فقـد يقـضي السـاعات مسـتعرضا الكتـب في هـذا الموضـوع.

ولكـن أحمـد كان مهتـما بأشـياء كثـيرة أخـرى. أتذكـر في أوائـل تسـعينيات القـرن المـاضي أنـه طلـب منـي أن أحصـل لـه عـلى نسـخ مـن أعـمال فنيـة عـبر الإنترنـت ثـم احتفـظ بهـا عـلى جهـاز الكمبيوتـر الشـخصي الـذي اصطحبـه معـه إلى شـمال العـراق الـذي قـضى فيـه فـترة طويلـة مـن الزمـن يسـلك كل سـبيل متـاح إلى إنهـاء حكـم صـدام.

ولقـد تحققـت مـن آخريـن ممـن أثـق فيهـم وأعجـب بهـم في مـا يتعلـق بالـشرق الأوسـط، فأوضـح لي مـن يعرفـون العـراق معرفتهـم بأنفسـهم، عـلى تبايـن خلفياتهـم، أن أحمـد كان مـن أكـثر النـاس الذيـن عرفوهـم في حياتهـم موهبـة وبـروزا. ولكـن ذلـك أثـار الحـذر في بعـض الدوائـر، لا سـيما داخـل المؤسسـة الأمريكيـة ـ لأن الجلبـي لم يكـن سـهل الخضـوع للسـيطرة وتلـك سـمة كان كثـير للغايـة مـن المسـؤولين الأمريكيـين يبحثـون عنهـا. كان الجلبـي يقـول مـا يـرى أن يقولـه. كان وطنيـا عراقيـا لا يخضـع لنـزوات ورغبـات كثـير مـن المسـؤولين في الحكومـة الأمريكيـة والحكومـات الأجنبيـة الذيـن ألفـوا الخضـوع مـن الـشرق أوسـطيين ممـن يقولـون لنظرائهـم الأمريكيـين شـيئا ثـم يفعلـون خـلاف ذلـك مـن وراء ظهـور الأمريكيـين. أمـا الجلبـي فـكان يقـف عـلى أرضـه ولا يستسـلم لسـيطرة مـن أحـد.

لعـل خـير سـبيل إلى إدراك هويـة أحمـد الجلبـي هـي مـن خـلال مجموعـة حكايـات توضـح شـخصية هـذا الرجـل الفريد.

كان الجلبي مهتما بكل شيء! فيعرف دقائق كثير من الأشياء لأن سعة معارفه واهتماماته كانت هائلة.

مـن أوائـل الأشـياء التـي تبـين سـعة معارفـه قضيـة كانـت تختمـر خـارج فيلادلفيـا وتتعلـق بمحتويـات قـصر غامـص يمتلـئ بمـا تصـل قيمتـه إلى ١,٦ بليـون دولار مـن اللوحـات.

ولم أكـن أعلـم أن الفـن، الغـربي منـه والإسـلامي عـلى السـواء، مـن أشـد مـا يشـغف بـه الجلبـي. في الشـهر التـالي للقـائي بـه في ابريـل ١٩٩١، قلـت لـه إننـي ذاهـب إلى بلـدي في فيلادلفيـا لزيـارة أهـلي وأصدقـائي وقضـاء العطلـة

الأسبوعية بينهم. سألني إلى أين تحديدا سأذهب فقلت إلى «لاور مريون، خارج المدينة» فعرف على الفور مدى قرب المكان من مؤسسة بارنس. قلت له إن إقامتي ستكون في الجهة المقابلة للمؤسسة. وأصابتني الدهشة إذ لم أكن أعلم حتى ذلك الوقت مدى اتساع اهتماماته.

كيف تسنى لأحمد الجلبي أن يعرف الكثير للغاية عن قضية مجهولة؟ سألته كيف عرف بأمر هذا المتحف الفني الذي يحتوي عددا هائلا من اللوحات. كان المتحف في قصر وكان كل من المتحف والقصر ملك رجل راحل عاش فيهما طويلا بصحبة كلبه. مضى أحمد يكمل لي حكاية القضية التي رفعها الجيران ضد المتحف بسبب الاختناقات المرورية الناجمة عن اصطفاف سيارات رواد المتحف في الشارع الضيق فتعوق السير. أذهلتني معرفته بدقائق تلك القضية، فقد كان ذلك هو نفس الشارع الذي يعيش فيه أصدقائي الذين كانوا مشاركين تماما في المعركة القانونية ضد المتحف.

بعد سنين، قضيت أنا والجلبي أربع ساعات نجوب متحفا فنيا في لندن فشرح لي اللوحات التي كنا نشاهدها شرحا تفصيليا، مضيفا تاريخ كل لوحة واهتمامات صاحبها. وأدركت بعدها أن الجلبي لا ينسى أي شيء وأن له ذاكرة فوتغرافية.

لم أندهش حينما انتقل الجلبي في أوائل تسعينيات القرن الماضي إلى منطقة حظر الطيران الأمريكية في كردستان شمالي العراق فطلب من بعض أصدقاء له في العاصمة واشنطن أن يجيئوه من الإنترنت بنسخ من اللوحات والصور المعروضة في المتاحف الأمريكية. قال الجلبي إنه أرادها بصحبته لكي «يزور» هذه المتاحف أثناء ساعات الليل الأولى حينما يكون بحاجة إلى كسر حلقة التوتر المحيطة به.

كان الجلبي مفكرا مستقبليا. وفي حين يفكر أغلب الناس في النقلات القادمة في رقعة الشطرنج، كان الجلبي يفكر في النقلات الأبعد، في ما بعد ثماني نقلات أو عشر، آخذا في الحسبان النقلات المحتملة من خصومه. وكان ذلك من الأسباب التي جعلتني أكن إعجابا كبيرا للثقافة الإيرانية، فهي استراتيجية بطبيعتها، وتشجع الناس على تحديد الأهداف التي يرومونها، ثم وضع استراتيجيات للوصول إليها، مع أخذهم في الحسبان كل خطوة يخطوها الخصوم.

في أواخر تسعينيات القرن الماضي، كان الجلبي في رحلة طويلة مع أصدقاء له، فلاحظ أحدهم أنه مستغرق للغاية في قراءة كتاب ضخم عن ألمانيا في ما بعد الحرب العالمية الثانية. حينما أنهى الجلبي فصلا في الكتاب، سأله صديقة عم يدور الكتاب وعن سر قراءته إياه، فرفع الجلبي عينيه وقال «أريد أن أعرف كيف ساعد الأمريكيون وحلفاؤهم في إعادة إعمار ألمانيا، بمعنى ما الذي نجح وما الذي فشل». لقد كان الجلبي يدرك أنه بعد تحرير العراق في نهاية المطاف، لن تسقط أهوال الحقبة الصدّامية البعثية من تلقاء نفسها، وأنه سيكون لزاما على البلد أن يمر بفترة إعادة إعمار طويلة. كان الجلبي يفهم قيمة التاريخ، ويرغب في التعلم

مـن تجـارب المـاضي المماثلـة ليعـرف كيـف يمكـن تطبيـق الـدروس حينـما يسـقط صـدام في نهايـة المطـاف. وكـم هـو مؤسـف أن الأمريكيـين وحلفاءهـم لم يكونـوا مسـتعدين للمسـاعدة بالطريقـة التـي قدمـوا بهـا العـون لألمانيـا واليابـان بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة. ولـو كان الجلبـي نـال الفرصـة لتطبيـق مـا تعلمـه، فربمـا مـا كان العـراق ليغـرق في المضيـق العصيـب الـذي يقـع فيـه اليـوم بعـد زمـن طويـل مـن تحريـره سـنة ٢٠٠٣.

كانـت أحـدى أقـرب أصدقـاء الجلبـي الذيـن كـبروا معـه منـذ أن كان صغـيرا للغايـة تشـير إليـه بحـرفي E O اختصـارا لعبـارة بالإنجليزيـة معناهـا «المتفائـل الأبـدي». مـا كان لانتكاسـة مهـما عظمـت أن تحملـه عـلى التخـلي عـن مهمـة تحريـر بلـده، مهـما بلغـت هـذه الانتكاسـة مـن القـدرة عـلى التدمـير.

ولقـد تعـرض الجلبـي للكثـير مـن الانتكاسـات، بـدءا مـن اضطـرار عائلتـه إلى الهـرب مـن العـراق إثـر الإطاحـة بالهاشـميين سـنة ١٩٥٨ عندمـا كان الجلبـي لا يـزال مراهقـا حديـث السـن. حـكى الجلبـي حكايـة عـن إخفـاء أسرتـه مسـؤولا هاشـميا كبـيرا في مزرعـة خـارج بغـداد. وداهمـت القـوات الثوريـة المزرعـة. وطلبـوا مـن أحمـد أن يريهـم أيـن يمكـن أن يكـون المسـؤول مختفيـا. وكان أحمـد يعـرف بالضبـط أيـن يختفـي. ولكنـه تعامـل وهـو المراهـق الصغـير مـع الموقـف بـبرود ـ حسـبما وصفـه أحـد الحاضريـن ـ ولم يتـم اعتقـال أحـد.

ذلـك هـو الموقـف الأول مـن سلسـلة مواقـف كثـيرة صعبـة مـر بهـا الجلبـي. وعـلى الطريقـة الجلبيـة النمطيـة كان أحمـد يتمكـن كل مـرة مـن العثـور عـلى طريقـة يتخلـص بهـا مـن الموقـف ولـو مؤقتـا. ولكـن القـول بـأن أحمـد قـط لـه سـبعة أرواح ينطـوي عـلى انتقـاص مـن قدراتـه. لم يسـمح قـط لـشيء أن يغلبـه، ولم يسـمح لعينيـه أن تحيـدا عـن المهمـة. وكان أي شـخص طبيعـي في مكانـه ليستسـلم، أمـا أحمـد فـلا. لقـد كان نسـيج وحـده.

كثـير مـن أبنـاء الـشرق الأوسـط سـواء أكانـوا مسـؤولين حكوميـين أم زعـماء في المعارضـة أو حتـى مواطنـين عاديـين يهـدرون كثـيرا مـن الوقـت في لـوم خصومهـم والتصغـير منهـم. كـما يلومـون الآخريـن عـلى حظهـم التعـس ويغرقـون في أحزانهـم. وكـم شـاهدت ذلـك مـرارا وتكـرارا، حتـى بـت أتشـكك في أهـل هـذه المنطقـة مـن العـالم كلهـم.

أحمـد لم يكـن يفعـل شـيئا مـن ذلـك. وعـلى مـدار السـنين الكثـيرة التـي عرفتـه فيهـا، كان دائمـا مـا يضـع عينيـه عـلى مهمتـه، ولا يهـدر الوقـت في لـوم الآخريـن. سـألته مـرة عـن هـذا، وعـن سر امتلاكـه هـو وقليـل مـن زعـماء الـشرق الأوسـط هـذه الموهبـة. فضحـك أحمـد وقـال «ولم ألـوم الآخريـن؟ وأي نفـع في هـذا؟ اللـوم لا يحـل شـيئا ويجعـل المـرء يهـدر طاقتـه عـلى مـا لا يمكـن تغيـيره. ويمنعـه مـن التركيـز عـلى المهمـة. وهـذا هـو السـبب الـذي يجعـل طغـاة الـشرق الأوسـط يشـجعون خصومهـم عـلى الجلـوس لإلقـاء اللـوم عـلى بعضهـم بعضـا. وهـذا مـا يسـمح لأجهـزة المخابـرات أن تحصـل عـلى المعلومـات مـن خصومهـا لأن الكثيريـن للغايـة كانـوا مهيئـين للعمـل مـع الأنظمـة التـي يعارضونهـا إذا كان ذلـك ضـد خصومهـم». ومـن المؤكـد أن هـذا كان مـن جملـة الأسـباب التـي

جعلت صدام يكن للجلبي كراهية شديدة، فصدام لم يستطع أن يغويه أو يرشوه. كان الجلبي أكثر اهتماما بجمع خصومه في غرفة، والبحث في سبيل للعمل معا من أجل تحرير العراق.

بل لقد كان الجلبي يراعي خصومه السياسيين. فقضى الكثير من الوقت يبحث عن زعامات من العرب السنة يضمهم إلى المؤتمر الوطني العراقي. إذ كان الجلبي يعلم أنهم عنصر مهم في المجتمع العراقي لا يجب تجاهله. فيا له من أمر لافت. خاصة أنه لا بد من مهارة عظيمة من أجل الحفاظ على بقاء الناس في النظام دون أن ينقلبوا إلى أعداء. كان الجلبي يدعو الجميع إلى الانضمام إلى مهمة تحرير العراق.

كان لدى الجلبي وقت لجميع العراقيين، شديدي الثراء منهم ومدقعي الفقر. في أواخر تسعينيات القرن الماضي استطاع رجل الفرار من جنوب العراق وشق طريقه إلى أقارب له كانوا يعيشون آنذاك في منطقة ديترويت. وبعدها بفترة قصيرة، اتجه إلى واشنطن حيث اتصل بأحمد رغبة منه في طلب مساعدة أسرته التي تركها في العراق، وليساعد في تحرير وطنه. كان الجلبي على موعد للغداء معي في ذلك اليوم، فاتصل بي قبل سويعات من الموعد وقال إن رجلا من البصرة جاء إليه، وإنه لا يستطيع أن يتركه ويريد اصطحابه معه لحضور الغداء.

وبالطبع وافقت. والتقينا نحن الثلاثة في مطعم إيراني. فتناولنا الغداء من البوفيه المفتوح وجلسنا لنأكل. وعلى الفور شرع ابن البصرة يحكي عن عظمة أحمد وما كان لأسرته من شأن عظيم مشيرا إلى كل مآثر عائلة الجلبي وأفعالهم للشعب في جنوبي العراق. واستمر يتكلم إلى ما لا نهاية عن عظمة آل الجلبي. فشعر أحمد بشيء من الحرج وحاول أن يوقف الرجل عن الثناء على آل الجلبي، فصحت في أحمد «دع الرجل يتكلم». وأذعن أحمد.

ولما توقف الرجل ليضع شيئا من الطعام في فمه، طلبت من أحمد أن يرافقني إلى البوفيه لإحضار مزيد من الطعام. وفيما كنا نملأ طبقينا، شرحت لأحمد لماذا أردت الرجل أن يكمل. قلت له «اسمع، هذا هو الثمن. لقد أتى إليك يطلب المساعدة. فإذا لم تستطع أنت مساعدته سيمضي إلى زعيم آخر أو أي شخص ذي شأن ويفعل مثل هذا. عليك مسؤولية كبيرة هنا ولا بد أن تتصدى لها». فتنهد أحمد وقال «أنا سعيد لفهمك أي ضغط هائل أتعرض له، ولمعرفتك أنني سوف أتصدى له».

كان أحمد طيبا وسخيا إلى أقصى حد. عندما توفيت أمي في مايو سنة ١٩٩٠، كان من المقرر أن يسافر أحمد من واشنطن إلى لندن بعد أيام قليلة. فلما سمع بالخبر، غيَّر موعد طائرته أياما قليلة لكي يتسنى له أن يزورني أنا وزوجتي خلال أيام الحداد السبعة التي نقيمها نحن اليهود. ووصل مبكرا لكي يتسنى لنا الكلام ويقدم لنا تعازيه. لقد كنت صديقا لأحمد، وأحمد كان يبذل أقصى ما في وسعه لمساعدة أصدقائه.

بعد بضع سنين، ذهب مع أسرته لزيارة قريب له يعيش في أسبانيا. وفي الرحلة زاروا المكان الذي كان يعيش فيه ابن ميمون الباحث اليهودي العظيم والطبيب الخاص للعديد من الحكام المسلمين. وفي بيته رأى أحمد تذكارا دائريا عليه نجمة داود فأحضره لي. وتلك لفتة نمطية من اللفتات الصغيرة الكريمة التي تميز الزعيم العظيم.

قبل نحو ستة أشهر من الإطاحة بنظام صدام، أقيم مؤتمر ضخم للمعارضة العراقية والأمريكيين والأوربيين والإيرانيين وغيرهم من المهتمين بتغيير النظام في العراق. وحضرت أنا والجلبي، وكثير من أعضاء المؤتمر الوطني العراقي. وفي المؤتمر التقيت ببعض اليهود العراقيين الوطنيين المتفانين بإخلاص في قضية العراق. بدأت أسألهم عن الحياة اليهودية في العراق، وهي مسألة درستها طويلا وكان لي اهتمام شديد بها. حكى لي أولئك اليهود عن رجل في التسعينيات من عمره يعيش في لندن ويعرف أكثر مما يعرفون عن تاريخ يهود العراق. ورتبوا لي لقاء معه فاستقللت سيارة أجرة بعد ذلك بقليل متجها إلى بيته. وبعدما تبادلنا النكات لما بين ١٠ و١٥ دقيقة، سألته سؤالا صريحا عن المعارضة العراقية وعمن يثق فيهم وأسباب ذلك. فقال لي إنه يريد أن يحكي لي حكاية عن آل الجلبي. أثناء مذبحة فرهود سنة ١٩٤١ ضد يهود بغداد، هرب ذلك الرجل وأهله إلى آل الجلبي طالبين المساعدة، وكانت بين أبيه وأبي أحمد زمالة عمل. وكان آل الجلبي في غاية الطيبة. فلم يستضيفوا أسرة ذلك الرجل وحسب، بل أرسلوا الكثيرين غيرهم إلى الحماية في مزرعة آل الجلبي الهائلة. وظلوا مقيمين فيها إلى أن هدأت المذبحة، وأدهشتني القصة لأنني في ذلك الوقت كنت أعرف أحمد منذ ١٢ عاما ولم يحك لي أي شيء عما فعله آل الجلبي لإنقاذ اليهود في وقت احتياجهم. الأمر ببساطة أن أحمد لم يشر مطلقا إلى الموضوع.

بعد ذلك اللقاء، زرت أحمد وأشرت إلى القصة. وسألته «لماذا لم تحك لي قط عن هذا وأنت تعرف كم تعني لي مثل هذه القصص؟» فرد أحمد قائلا «وما الذي يجعلني أحكيها لك؟ كل ما فعله أهلي هو أنهم تصرفوا كما يليق بالبشر. لماذا يعد من مآثرنا مجرد التصرف على النحو الصحيح؟»

وتراجعت، فقد كنت أعرف تماما لماذا لم يكن أحمد ليحكي لي قط الأمر من تلقاء نفسه، ولكنني فرحت لما علمت أن فهمي لهذا الرجل الاستثنائي لم يحد عن الطريق قط.

ورجوعا إلى الحكاية، حكى لي أحمد آنذاك أن أمه حكت له (هو الذي ولد بعد ثلاث سنين من مذبحة فرهود) أن اليهود ما كانوا يأكلون غير البيض المسلوق، وذلك بالطبع لأن الطعام لدى آل الجلبي لم يكن من الكوشر (الاكل الحلال حسب الديانة اليهودية). يا لها من طيبة، يا لها من لياقة، ويا له من أحمد.

كان أحمد صاحب رؤية. كان يؤلمه بشده أن يرى العالم الإسلامي، بعدما كان رائد العلم والرياضيات ومجالات أخرى، وقد تخلف حتى لم تعد منجزاته العلمية العظيمة الغابرة غير أحلام نائية. كان يضيق بشدة

من المسلمين الذين ما عاد لهم إسهام في تطوير البشرية مثلما كان لهم في سابق الزمان.

على مدار العقد ونصف العقد الذي عرفنا فيه أحدنا الآخر قبل تحرير العراق، لم يكن هذا الموضوع بعيدا عنا مطلقا. لماذا صار الحال إلى ما صار إليه؟ من الواضح أن المسلمين كانت لديهم القدرة الذهنية والفكرية، وذلك ما يثبته تاريخ العالم الإسلامي. فلماذا لا يكاد مسلمو اليوم يسهمون بشيء تقريبا في العلم الحديث؟

كان أحمد يرجع القدر الأكبر من أسباب ذلك إلى السلطات السنّية التي ظلت على مدار قرابة ألف عام تغلق باب الاجتهاد (أي التفكير النقدي المستقل)، فلم يعد مسموحا للمسلمين بالتفكير بأنفسهم، أو ذلك على الأقل ما كانت تراه السلطات الحاكمة. فجميع القضايا ـ في نظر السلطات الحاكمة ـ قد بحثت، وليس بوسع أحد إلا العثور على التماثلات (باستعمال ما يعرف بالقياس) في الـ ٤٠٠ سنة السابقة من التاريخ الإسلامي، ليجد حلولا للمشكلات المعاصرة.

وذلك ما أمات العقل. ولكن الإسلام الشيعي كان لديه الجواب. فأبواب الاجتهاد بالنسبة للشيعة لم تغلق قط. فآيات الله الشيعة ومن هم أدنى منهم مباشرة في التراتبية الديمية كانوا يشجعون، بل كانوا مطالبين في واقع الأمر باستعمال قدراتهم العقلية في بحث المشكلات.

وهكذا اتفقت أنا وأحمد أن هذا الجانب من الإسلام الشيعي يوفر سبيلا للعالم الإسلامي كله للانضمام مرة أخرى إلى «عائلة الأمم» العلمية في طلب المعارف وتطويرها.

وفي مرة أخرى تناقشنا في انحدار الفكر الديني الشيعي الذي بدأ في إيران بعد الثورة الإسلامية. قبل ذلك، كان مستوى التفكير الشيعي شديد الارتفاع ـ وهو ما يتجلى بغاية الوضوح من قراءة القرارات الدينية الشيعية الإيرانية في ما قبل الثورة.

ولكننا اتفقنا على أنه تهاوى في إيران بعد الثورة. فكنا نسأل نفسينا: لماذا؟ افترضت أنا أن السبب يرجع إلى أن أفضل «المفكرين» الشيعة وألمعهم عقولا باتوا يعملون في الحكومة، ويسلكون سبل تحقيق الثروات، بدلا من البقاء في قاعات الدرس الديني. ووافقني أحمد.

فسألته «بما أنك تؤمن حقا أن لدى الإسلام الشيعي أجوبة للعالم الإسلامي وقدرة على إرجاعه إلى مكانه في عالم العلم الحديث» فهل يمكنك القول إذن إن الحكومة الثورية في إيران هي التي تسببت في انحدار قدرات الفكر الشيعي، فهي التي من ثم تضير بكل من إيران والعالم الإسلامي كله؟ فنطق أحمد بـ «نعم» رنانة.

كان الإسلام الشيعي بالنسبة لأحمد وسيلة لإنقاذ الإسلام من تدمير نفسه في عالم اليوم. كان وسيلة يسترد بها الإسلام مكانته اللائقة واللحاق بركب العالم الحديث. ولكن الحكومة الإيرانية كانت تدمر تلك الإمكانية، مثلما تدمر الإسلام الشيعي العظيم.

كان أحمد يخشى على إيران ـ التي كان معجبا بثقافتها إعجابا شديدا ـ قد تنهار بسبب الحكومة الراهنة، فتساهم بذلك في سقوط العالم الإسلامي الذي كان يرغب رغبة صادقة في إنقاذه.

فسألته، لماذا إذن تحافظ على علاقاتك الوثيقة مع الحكومة الإيرانية؟ فابتسم في أسى وقال «حسن، أنت ترفض المواجهة وتراعي تلك الحكومة. أنت تهرب منهم، أنت لم تترك لهم بديلا إلا التعايش معهم. وهم يكممون أفواهنا في العراق، ونحن أضعف من أن نقف وحدنا. لدينا شخصيات شيعية عظيمة قادرة على ذلك، لكن ليس لديهم بديل إلا الإذعان لإيران، أو تقتلهم الحكومة الإيرانية».

لو كان الأمريكيون استطاعوا فهم علاقة أحمد الدقيقة بالإيرانيين، وإعجابه العميق بالإسلام الشيعي، فربما كان العراق ليبدو اليوم على غير صورته، بل وربما إيران نفسها. وربما العراق الذي استشرفه أحمد وبذل الغالي والنفيس من أجل خلقه كان انتهى إلى شيء مختلف.

لكن على الرغم من جهود أحمد الهائلة، لم يفهم غير قليل من الأمريكيين عظمته وقدراته، لأن قليلين للغاية هم الذين فهموا الثقافة التي نشأ في جنباتها، أو اهتموا بكيفية استعمال تلك الثقافة في دفع العالم الإسلامي إلى العالم الحديث. صحيح أن أحمد فشل، ولكنه لم يفشل لعدم بذله القدر اللازم من المحاولات. فهو لم يستسلم قط، ولو كان الله آتاه المزيد من العمر فلعله كان ليعثر على سبل لتنفيذ رؤيته.

ولكن ذلك لم يحدث. وخسرنا زعيما عظيما أسيء فهمه تماما. خسرنا صاحب رؤية عمليا لو كنا أكثر ذكاء لكنا ربما انتهينا إلى وضع العالم الإسلامي على طريق الحرية الحقيقية. ولكن هذه المهمة، إن كان بالإمكان تحقيقها، لا بد أن تنتظر آخرين قد يستطيعوا ملء بعض الفراغ الذي تركه أحمد.

إن من لهم سمات أحمد نادرون. وأمثاله من الزعماء لا يظهرون في الجيل إلا مرة أو اثنتين. لقد خسر العالم إنسانا عظيما، وزعيما عظيما. لقد خسرنا إنسانا عظيما مات قبل أن تتحقق مهمته الكبرى التي أفنى فيها حياته.

عليه رحمة من الله. ولينظر إلينا من علياء الفردوس أحمد الجلبي بما لديه من حكمة ومحبة يغدقهما على غيره وهم يكملون مهمته.

هارولد رود
١٩ أيلول ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

هكذا عرفت الجلبي

السياسي العراقي المعروف أحمد جلبي شخصية قوية ومتميزة في كل النواحي السياسية والاجتماعية والفكرية وحتى في حياته الخاصة، فقد التقيته للمرة الأولى بمعية أخيه الدكتور حسن والشيخ بابا علي الشيخ محمود عام ١٩٦٩ حينما كانوا يزورون البارزاني الخالد في حاجي عمران، كان شاباً دمث الأخلاق قد نال للتو شهادة الدكتوراه، يتميز بسمو التعامل مع الآخرين، وكان يرعى أخاه الضرير بشكل يعكس رقي تربيته ونشأته، ويكسبه احتراما وتقديراً عالياً لدى كل من عرفه وتعامل معه.

ومنذ كنا شباباً حينما عرفته عام ١٩٦٩ ونحن نمارس العمل السياسي، وقد استمرت علاقتنا الأخوية منذ ذلك الحين وحتى وفاته.

لقد كان مناضلاً وطنياً دؤوباً لا يكل، مخلصاً لقضيته، وكنا نتفق كثيراً ونختلف أيضاً في آرائنا، لكن علاقتنا الأخوية والنضالية كانت أقوى.

بوفاة الجلبي فقد العراق شخصية وطنية رفيعة، وفقدت كوردستان صديقاً ورفيقاً مخلصاً، وفقدت أنا شخصياً أخاً عزيزاً.

تحية لروحه الخالدة وذكراه المجيدة

مسعود بارزاني
١١ آب ٢٠١٦

مراحل في حياة رجل كبير

I

لقد كُتب عن هذا الرجل بكل المعاني والنعوت والصفات، فلا محل لمستزيد إلّا ربما من رحم صداقة قديمة، تحولت مع ما بقي للصديق من محل مع أحمد الجلبي بعد أن ملك عليه النضال في سبيل العراق قلبه وسائر جوارحه.

ll

لعل أهم سمات أحمد رحمه الله أمرين: اعتداده بنفسه وشغفه بالعراق. اعتداده بنفسه وبثقافته وبتراثه كان بلا حدود، وكذلك كان جموحه إلى حفظ وطنه ورفعته. ولقد ذخّرت كل تلك الطاقة حصانة ذاتية حمت استقلاليته. لبث في خضمّ اللاعبين الكبار مستقلاً لا ينقاد. وكانت السياسة مجبولة بدمه والعراق همّ حياته.

lll

تمتع الدكتور أحمد رحمه الله بذكاء حاد مفرط وبذهن متوقد. وكانت له ذاكرة ندر مثيلها. كان دائم المطالعة، سريع القراءة، حتى بلغ من الثقافة في شتى الميادين درجة قلّ نظيرها. كان ليسبر أعماقَ أعماقِ كل شأن يهتم به أو على الأغلب يشغف به، فلقد كان شغوفاً.

الرياضيات كانت هواه العلمي الأول، درس على أبرز اساتذة جامعات الولايات المتحدة فبرع فيها، وأعد أطروحة دكتوراه ابتدع فيها تطويراً لنظرية رياضية متقدمة. وكان له أن يقرّب إلى ذهن الشخص العادي أرقى النظريات وأدقها بكلام قليل.

وكان مقداماً وجريئاً ومتفرّداً.

وربما أهم ما في صفاته اجتماع تلك الملكات جميعاً في شخص واحد. ولا ريب أن اجتماعها قد أنتج شخصية استثنائية مدهشة في كل حين. تجالسه ساعات طوالاً فيدهشك في كل لحظة طوالها.

lV

بنك البتراء في الاردن نهض به من المهد فجعله المصرف الدينامكي والممول الرائد لمشاريع تنمية في الاردن. والبتراء بالمناسبة أوقِف لسبب سياسي وليس مالي، وبلا سبب أمني أو عسكري حوكم أمام المحكمة العسكرية! واحمد غادر الاردن مغرب يوم سُرّب إليه قرار الملك تسليمه لصدام حسين في الصباح. ووصل إلى بيروت ليستعين بصديق مشترك فيستدين مبلغاً صغيراً لمصروف عائلته اليومي.

V

لم يتحول الراحل الى السياسة، بل كانت السياسة مجبولة في دمه ولها المقام الأول قي قلبه وعقله. يوم غادر العراق إثر انقلاب قاسم برفقة أفراد من العائلة وهو في الرابعة عشر، أقسم ان يعود ليحرر العراق من طغمة العسكر وانتقاماً لنوري السعيد الذي كان أحمد يعتبره وطنياً مخلصاً حتى ضاق به الانكليز وضاق بهم. وبالفعل أسس المعارضة وقادها حتى الاجتياح.

Vl

طبعاً هو قد لعب مع الكبار وعلى كافة الصعد، إذ على كل لاعب مؤثّر أن يلج ملعبهم. إلّا أن اعتداده بنفسه وثقته بها جعله يلعب ولا ينقاد. لم يكن ليساوم على قناعة، لم يساوم على مصلحة للعراق. كان جوابه حاضراً دوماً وحجته مفحمة. وهذا لا يناسب اللاعبين الكبار. فاستفز كثيرين، لا سيما أولي المصالح الكبرى. حملتهم صعوبة مراسه على استعدائه. من كان يلعب على مسرحهم من الحكام ومن أجهزتهم، حتى أن منهم من استهدف وجوده أو صمم على تدميره. خاصمته أجهزة رسمية، من كبرياتها الـ CIA. فغدا هدفاً لحملات تشهير وتهشيم منظمة غير منقطعة. حتى غدا التهجم عليه لازمة عند بعض الكتبة كالبكاء على الأطلال في الشعر الجاهلي. وهنالك من تطوع للكورس بلا سبب. ولقد كتبت لأحد الصحفيين فيما مضى، بعد أن أطلق عليه نعتاً فيه تعمد تحقير ومسّ وكأن النعت هو كل ما يمثل أحمد الجلبي، فلفته إلى أنه لا يليق بقرائه إختصار الرجل بتلك الصفة. فما كان منه إلّا أن تعمد فكررها من غير مناسبة. إنني على يقين أن أكثر التهجمات عليه كانت لخدمة القوى القادرة والتي منها شيء يراد.

وأحمد لم يكرس جهداً أو هو لم يكن يجد الجدوى أو الوقت اللازم للتصدي والردود.

Vll

ولقد كانت ثقافة أحمد السياسية منقطعة النظير أيضاً. كما كان نشاطه وصلاته ودرجة اطلاعه وعمق فهمه للقضايا. ولِما كان عليه من الاستقلالية بكل ما للكلمة من معان، كان من النادر بغياب مصالح أن يصل المرء الى مواقف مغايرة لمنطقه وأفق اطلاعه. كان مستقلاً حتى التمرّد، وحتى على القوى العظمى. باشر خطّة إلى داخل العراق في عهد صدام ورفض أمراً جازماً للـCIA بالتوقف يومها فأفشلتها. وناهض الـCIA على ما هو معروف وفي عقر دارها وغلّب عليها الكونغرس. ودخل العراق بعد الاجتياح خلافاً لنصيحتها. كان رحمه الله معارضاً عفوياً للقوى، لا سيما لأجهزة المخابرات لِما واجهه من سياسات تعارضت في كثير من الأحيان مع المصلحة الوطنية العراقية. ولا ريب أن هذا كان سبب إقصائه عن مركز رئاسة الوزراء.

Vlll

مثل «صندوق الفرجة» الجلوس إليه. لقاءات غير منظمة ليس لها جدول أعمال، كانت عفوية على الدوام وكان الحديث بشتى العناوين بلا قيود ولا حدود.

لربما هي المحبة أو الإعجاب الكبير، بل كلاهما. كان رحمه الله من أهم الشخصيات الذين عبروا حياتي، كان، على ندرة اللقاءات في الحقبة الأخيرة، مرجعاً إحتياطياً دائماً. كان وجوده ولو في بلد آخر يسبغ نوعاً من الطمأنينة. تعود إليه فتجد جواباً محيطاً بجوانب السؤال. تقتنع ولو لم تكتفِ، ترى الطريق.

lX

فكرة للعراق وللاقليم إنصبّ عليها طموحه في مرحلة متأخرة من تاريخه. كتب وأسس لنظرية تاريخية سياسية سماها «الإقليم الرابع». وباشر العمل والسعي في سبيلها، فلقيت تجاوباً من عدد من المفكرين السياسيين وبعض من قادة الدول. طمح رحمه الله الى تأسيس كيان إقليمي يضم العراق وسوريا وتركيا وايران، طراز من الكونفدرالية، التي تجعل في المنطقة دولة عظمى فيها توازن عرقي ومذهبي، تحميها من أعاصير السياسات الخارجية الكبرى. وبيّن كيف أن لهكذا كيان جذوراً تاريخية ما. ولمّا احتج أحد الصحفيين المُنصِتين لعمق النزاعات بين المكوّنات، ذكّر الدكتور أحمد الحضور بأن انطلاق بذرة السوق الأوروبية المشتركة كان بعد سنتين من حرب عالمية طاحنة حطمت أوروبا وكانت دولتا النواة فيها عدوّين.

X

لم أشهده يوماً متعلقاً بشيء أو يسعى لمال. حتى المطاوي (السكاكين) التي هوى جمعها كان يلقي بها في صندوق لا أظنه عاد إليه يوماً. لم يكن المال له سوى وسيلة لأحلامه السياسية. لا شك أن أحمد كان يطمح لأن يخدم العراق من مركز رئاسة الوزراء لما ضج فيه فؤاده من آمال وطموحات ومشاريع كبرى لهذا الوطن. ولم يكن يوماً من عظيم أمل في أن يتمكن من الوصول بسبب المعارضة المنهجية لتبوئه حكم العراق من الدول الفاعلة، التي لم يكن لها ان تطمئن الى ولائه وانقياده.

Xl

كان هاجسه رحمه الله، في زيارته الأخيرة لبيروت قبل أسبوع من انتقاله الى جوار ربه وإن شاء الله الى جنانه، الحالة المالية للدولة العراقية. كان شديد التشاؤم وخائفاً على الدولة من الإنهيار. كانت المرة الاولى التي لمست فيها لديه شيئاً من الإحباط واليأس.

في الحقيقة، ولو في ذلك إعادة، إن ما يجهله الناس، لا بل الأكثرية من معارفه وحتى ممن تعاطوا معه وشاركوه وعايشوه، وربما يتجاهله بعضهم، هو استقلالية أحمد وصلابة تمسكه بالوطن وحسب.

ناصر الخليل
٧ أيلول ٢٠١٦

صرختان

دكتور أحمد... كما كنت دائماً هكذا أناديك.

أستاذي الفاضل أفتقدك كثيراً. ها هو عام يمر على رحيلك لكني أشعر أنك مازلت معنا بكل هدوئك وصبرك وحكمتك.

أذكر أنك صرخت في وجهي مرتين منذ أن عرفتك.

الأولى عندما كنا نعمل سوية على قانون لحل أزمة السكن وأخطأت أنا في تقدير بعض الأرقام صرخت بوجهي وشعرت حينها أني لست زميلة لك في البرلمان بل تلميذة تريد أن تنبهها لخطئها.

ذاك القانون الذي لو كتب له النور لحلت أزمة السكن في العراق خلال اعوام قليلة لن انكر انني تعلمت منك الكثير الكثير.

والمرة الثانية عندما سقطت مغشية عليّ ولم أتمالك نفسي بعد البيان الذي ألقيته في فاجعة الايزيديين.

صرخت في وجهي وقلت لي (لازم توگفين) اهلك بحاجة لك...

وساعدتني على تخطي محنتي.

أستاذي العزيز لسنا أنا وأهلك وأصدقاؤك فقط الذين خسرناك بل خسرك كل العراق.

خسر تلك العقلية الاقتصادية الفذة وذاك الفكر النير وتلك الرؤية المستقبلية لعراق مزدهر.

ها هو عام يمر على رحيلك...

ولا أستطيع أن أقول لك وداعاً.

سأقول فليرحمك الله ويصبر أهلك وأصدقاءك.

كنت عظيما وستبقى...

فيان دخيل
٧ أيلول ٢٠١٦

عراقي ديموقراطي كان يلهمنا

ها هي وفاة أحمد الجلبي تأتي في الوقت الذي يعرب فيه ساسة أمريكيون عن ندمهم على حملة عام ٢٠٠٣ للإطاحة بصدام حسين، لتسنح فرصة لتأمل ما كان يمكن أن يحدث. لقد كان السيد الجلبي هو المدافع الرائد عن فكرة العراق الحر الديمقراطي. ورأيي الخاص أننا لم نوله حق قدره.

ولد السيد الجلبي ـ الذي توفي الثلاثاء الماضي بسكتة قلبية في منزل عائلته ببغداد ـ لأسرة شيعية ثرية. تلقى تعليمه في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا وجامعة شيكاغو، وهنالك آمن باقتصاد السوق الحرة ومبادئ ماديسون في الحكم.

والإشارة بعد الوفاة إلى أن السيد الجلبي كان نصيراً ذا شأن لهذه الأفكار ـ بغض النظر عن أنه كان مرشحاً لقيادة عراق حر ـ تبقى مثار سخرية من اليسار. ولكن هناك بيننا من لم يترددوا قط عن إبداء إعجابهم به برغم أنه كان شخصية بالغة التركيب.

المرة الأولى التي التقيت فيها بالسيد الجلبي كانت في عشاء استضافته جريدة جويش فوروارد التي كنت محرراً فيها آنذاك قبل انتقالي إلى نيويورك صن. كنا قد دعوناه للاحتفال بتمرير التشريع الخاص بقضيته في الولايات المتحدة متمثلاً في قانون تحرير العراق سنة ١٩٩٨. ذلك الإجراء الذي مر في الكونجرس بشبه إجماع من الحزبين ووقعه بيل كلينتن جعل من الإطاحة بصدام حسين وإقامة حكم ديمقراطي في العراق سياسة رسمية للولايات المتحدة. فلقد رخّص القانون قرابة ١٠٠ مليون دولار أمريكي لمساعدة المعارضة الديمقراطية العراقية.

أثناء العشاء، جلس السيد الجلبي بجوار روبرت بارتلي رئيس تحرير وول ستريت جورنال في ذلك الوقت. وكان بارتلي قد قال لفريقه التحريري قبل سنوات قليلة إنه لم يعد يرغب في التعامل مع الطغاة العرب، ويريد أن تكون المقابلات مع المثاليين الديمقراطيين في المنافي بدلاً منهم.

في لحظة من ذلك العشاء التفت جوناثان روزن المحرر في فوروارد إلى السيد الجلبي وسأله عن إسرائيل. وخيّم الصمت على الغرفة. وذكّرنا السيد الجلبي أن بغداد قبل الحرب العالمية الثانية كانت وطناً لعدد هائل من السكان اليهود ، لقد كانت معروفة بـ فيلنا الشرق الأوسط. كان اليهود يعملون في الحكومة. وقال الجلبي إن «سياستي بالنسبة للعراق الديمقراطي هي أنني أريد استرجاعهم».

في جميع سنوات تغطيتي لأخبار الشرق الأوسط، لم أسمع زعيماً عربياً يقول مثل ذلك. وليس الأمر أن إسرائيل كانت هي القضية الوحيدة، لا بالنسبة له ولا بالنسبة لفوروارد. ولكن السيد الجلبي كان نسيج وحده في افتقاره إلى رهاب الأجانب، وكذلك في تقديره للأفكار والأسواق والقضية الديمقراطية.

لاحقاً، حينما تهاوى العراق إلى الاضطراب الطائفي، سئل السيد الجلبي عما لو كان يرى أن بلده بحاجة

إلى رجل قوي جديد مثل حامد قرضاي في أفغانستان. فقال «لا، بل العراق بحاجة إلى إرهارد آخر» قاصدا المستشار الألماني المناصر للسوق الحرة في مرحلة ما بعد الحرب العالمية الثانية.

من السهل وصف أقواله هذه بالاستعراضية، خاصة وأن منتقدي السيد الجلبي في اليسار وفي المخابرات المركزية الأمريكية لا يضيّعون فرصة للتقليل من شأنه. فغالبا ما كان يتم تصويره في صورة المخادع. وهذا لأنه سبق أن أدين في قضية احتيال مصرفي في الأردن، وإن كانت الإدانة غيابية وخلال ممارسة قضائية كما كانت لتعد مقبولة في بلدنا الديمقراطي.

من التهم الشائعة أيضا أن السيد الجلبي رسم صورة وردية مغالٍ فيها للتوقعات الأمريكية بشأن العراق. ولكنه أدلى بحوار لنيويورك صن في ٢٠٠٢ محذراً فيه من عكس ذلك بالضبط. واستعمل كلمة «الهوة» لوصف تخطيط إدارة بوش لإدارة ما بعد صدام حسين.

هناك أيضا من يرون السيد الجلبي مخطئا في تعاونه مع النظام الإيراني وتحالفه في بعض الأوقات مع فصائل في العراق كانت تحارب القوات الأمريكية. كما أنه تعرّض للوم لتقديمه معلومات مغلوطة عن أسلحة الدمار الشامل لإدارة بوش قبل الغزو، ولكن تقرير روب سيلبرمان حمَّل المسؤولية بوضوح في أخطاء أسلحة الدمار الشامل لغير السيد الجلبي. لكن ذلك لم يوقف المخابرات المركزية الأمريكية عن القول بأن مسيرته قد انتهت. ومع ذلك ارتقى السيد الجلبي ليصل إلى منصب نائب رئيس الوزراء ومنصب رئيس لجنة المالية في البرلمان العراقي قبل وفاته، مقدماً إسهامات جليلة لأمته.

رأيت السيد الجلبي للمرة الأخيرة سنة ٢٠٠٦ عندما مرَّ بنيويورك صن. تكلمنا عن داعية آخر إلى ثورة ديمقراطية هو خوسيه مارتي بطل كوبا الحرة في القرن التاسع عشر. كان علم كوبا الحرة يرفرف من مبنى الصن في برودواي أثناء سنوات مارتي في المنفى. لكن مارتي تعرض عند وفاته لسخرية نيويورك تايمز التي وصفته بمتعهد إمداد «الأكاذيب والأخبار الملفقة والافتراءات» تماماً كما يحدث للسيد الجلبي هذا الأسبوع. ربما لا يكون السيد الجلبي هو الذي يمقته اليسار، وإنما شيء آخر.

سيث ليبسكي
جريدة الوول ستريت جورنال
٣ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

«هاي القادسية وهاي مجراها»

«فد يوم رجعنا من مجلس الحكم، الدكتور اتزاعل ويا بريمر علمود الشعب العراقي. بريمر سوى قصة على اجتثاث البعث ما نريده، وما نريد هذا الشي هسة. الدكتور طلع زعلان. واحنا بالطريق راجعين للمنصور، گلتله للدكتور: دكتور جوز من ذولة دا تعاديهم علمود الشعب العراقي، هذولة العراقيين ما يقدرون وما يستاهلون ويغدرون بيك، صار عصبي وصاح: محسن شدتحچي؟؟! الشعب العراقي مساكين، انته ما تعرف، العراقيين خوش ناس، ما يعرفون لازم نعلمهم، نگوللهم ها مصلحتكم هيچ مو هيچ، وبعدين گال: اخذ التلفون! وضربني بالتلفون على ظهري. زعل من هذا الحچي هواي زعل.

«چان هواي يحب العراقيين، يحاول دائما، بس مع الأسف، العراقيين ما كان يعرفون احمد الجلبي، حقيقة احمد الجلبي، لو كان يعرفون چان خلوه، واگلك فد شي، تره احمد الجلبي اخلص واحد للشيعة حسب حكمي، وآني اگلك شلون، چان يسمّع اللطمية للأمريكان، ويشرحلهم بالانكليزي، ويسألون هذا شنو، وچان يشرحلهم هذا هيچ وكل شي. وآني ويا من اول يوم، ودائما يگول للمسؤولين الشيعة، توحدوا تره يآكلوكم. بس لمن يشوف مو خوش انسان، يگول «سووگه». كان دائما يكون عليهم، على المسؤولين، ما اگدر اگلك اساميهم، چان يهز براسه ويگول «سووگه». چان ينقهر يجيبون مسؤولين ما يعرفون أي شي. يباوع عليهم ويگول شوف ذولة الاغبياء، ايشديسوون ذولة؟؟ ويگول «سووگه» ودائما يگول «هاي القادسية وهاي مجراها» لمن يشوف هيچي ناس. يهز براسه، دائما يذكر هاي الحچاية.

«آني كردي وبالله وبرحمة امي وبشرفي يحب الاكراد اكثر من مسؤولين مال اكراد. مو بس اكراد. چان يحب كل واحد مخلص عنده قضية. ليش كان السنة يحبوه هواية، يجون يمه اول مرة بس غدروه. يجون يمة ووراها يحچون عليه. آني كلش قريب عليه، على غرفته، اوگف بأول باب آني اول واحد واگف.

«مرة رحنا آني وهوه ومام جلال وموفق ربيعي، حتى أتذكر نزلوا قباد طالباني من الطيارة وبس علمود احمد جلبي آني صعدوني بالطيارة. گالوله لقباد انته ما تجي بس ابوك. فرحنا لگينا خيمة چبيرة، كله يرمي سلاحه اول ما تدخل، وآني شايل مسدس، على ثانكس گفينگ (عيد الشكر للأمريكان)، كل يذب سلاحه، آني الوحيد اللي ما فتشوني لانه آني ويا الدكتور، ولو مهما شيصير ما ابقي الدكتور من دون حماية، طبينا ما ندري طب بوش طب، اجه سلم على دكتور وسلم على هذولة، كان مام جلال كان، وبعد ما أتذكر والله، هذولة سلم عليهم، وآني واگف وره الدكتور، سلم عليّ آني هم وشسمة، ورأسا وراها راح يسلم على الامريكان على الصفحة الثانية، وديت راسي يم الدكتور الله يرحمه، گلتله: دكتور، هذا اهنا وآني عندي مسدس. گلي: اسكت! اسكت لا هسة مدري شيصير! من طلع بوش، وطلعنا گال للامريكان شوفوا هذا الامن التعبان مالكم، گال: محسن يگدر بأي لحظة كان يسوي قدر، وفعلا كلامه صح.

«ومرة ويا آل غور (نائب الرئيس الأمريكي آنذاك) صار نفس الشي. بالستايت دبارتمنت (وزارة الخارجية)، الدكتور طب جوه وآني بره گدام البناية. اجاني فرانسيس وگال هي الورقة لازم توصل للدكتور. گلتله جيب. طب طاخ دخلت للقاعة مال الاجتماع. دكتور فتح عينه الله يرحمه گال شدتسوي هنانة گلت دكتور طبيت، گال شلون طبيت؟ گلت دكتور آني طبيت آني شمدريني، آني رأسا طبيت وهاي شسمه هاي ورقة لازم توصل قبل الاجتماع. بعدين من اجه آل غور، گالوا الحماية عليّ هذا اشديسوي هنا، صار هوسة، كل الستايت دبارتمنت صار هوسة هذا شلون دخل، شلون دخل، هذولة السيكيوريتي (رجال الامن) ويا آل غور، هذا اشديسوي هنا، آني رحت اكو كراسي وراه للدكتور آني گعدت، وبعدين سويت نفسي صرت عصبي على الهوسة مالتهم وگلت اوكاي مو مشكلة آني اطلع بره وآني ما ادري ورايه اشصار. وبعدين وره الاجتماع طلع الدكتور وباوع عليّ وظل يضحك ويضحك.

«چان شجاع. كلش شجاع. چان الهجوم على دارا تو، الهجوم على كركوك (١٩٩٥)، وشفت الدكتور وكوسرت، يجيينا قذف، الكل ينزل راسه، والدكتور ما ينزل راسه والله. گلتله: دكتور أي على الأقل نزل راسك شوية. كان احنا بالساتر، وهو تدري اشجاوبني: محسن هذا شنو؟ آني بلبنان شايف هيچ أشياء، هذا مو شي.

«عمره ما صار عصبي. يعني اريد أتذكر مرة صار عصبي. مرات كان يروح اجتماعات والامريكان يحچون أشياء، كان يزعل، آني اعرف يزعل، اگله دكتور خو ماكو شي ليش تزعل؟ يضحك بوجهي، گال ما زعلان محسن منو گلك زعلان. هذولة شنو؟ هذا طبعه. كان عمره ما يزعل. «متدين. اگول گدام الله. متدين اكثر من ذولة السادة اللي هسة مسؤولين. والله ورحمة امي اكثر منهم. لا عمره شفته راح لحفلة، مثلا شرب، ورمضان وين ما چنا، چان يصوم. كله يصوم. كم سنة آني وياه. كل رمضان يصوم. عمري ما شفته، مثلا، احمد الجلبي ما كان يسمع الا لطمية وغناء صوفي وموسيقى مال كلاسيكي. ما كان يحب الأغاني. اذا حفلة يدعوه ما يروح.

«بس آني اگلك شي الشيعة ما عرفوا قدره. لو كان يعرفون قدره ويسمعوله هسة كان حالهم غير حال. ما كان يعاملني فد شي. مرات اگله دكتور على حالي وآني ما املك شخاطة ولازم احصل فد شي من الدولة قطعة گاع لو فد شي. چان يگلي او مرة خلي نخلّص العراق لا تستعجل، كان دائما هاي نصيحته الي. أي شي اگله يگلي لا تستعجل محسن. آني اقرب واحد اله وكان يگلي لا تستعجل.

«كان يحب الفقراء كان ينقهر إلهم. أتذكر نروح للجنوب كان ينقهر للناس ويگول شنو هذا شنو هذا؟؟! من يشوف القرى وبيوت الناس اللي بالجنوب كان ينقهر هواي. شنو هذا؟ شلون هيچي؟ حاول. حاول هواية من كان نائب رئيس وزراء. حاول آني أتذكر هواي حاول أشياء، صلح هواي أشياء، بس ما طوّل مع الأسف، ما خلوه. الشعب العراقي، يجوز يزعلون من عندي، الشعب العراق ما يعرف مصلحته، مع الأسف.

«احمد الجلبي ما عنده ونسه. ٢٤ ساعة بنص الليل يرجع ينام بعدين من الصبح يطلع يشوف فد واحد، حتى يسوي قانون تحرير العراق. هذا چان احمد الجلبي. فد يوم انته هم چنت بي، يمكن أي انت هم چنت بي، يجي لبيتك وتقرون كتب وتكتبون شغلات بالليل طلع گال خل نتمشى، گلت اهوووو، بنص الليل هم رياضة. كان يحب الرياضة الله يرحمه. ٢٤ ساعة كان يتمشى. اجينة من طريق ارلنگتون، وانت وياه تتمشون سوه على الهاي وايي (الطريق السريع) وممنوع، وماكو شي، غابة من هاي الصفحة، وماكو مكان للمشي، وظلمة وانتو تتمشون وآني وراكم بالسيارة امشي بطيء، وهذا الشارع قريب على البنتاغون، واجانة شرطي وآني بالسيارة وگال اشجابكم لهنا. ووراها بيومين صار ١١ سبتمبر، دگة البنتاغون. بعدين لمن رجع من كاليفورنيا، گلت للدكتور هذا الشرطي ما اخذ من عندنا أي شي، ما انطانا تكت ولا اخذ اسامينا، بس هسة يگول ويا نفسه آآآخ هذولة اللي خططوا هذولة شلون ما مسكتهم!؟! ضحك الدكتور، گال: أي والله يمكن صح عباله احنا.

«گبلها بليلة كان لازم يروح لكاليفورنيا. عنده اجتماعات هناك. يعني قبل ١١ سبتمبر، نفس الليلة. گلي: محسن، تآخرنا على المطار ما نوصل. آني ضجت، وآني عندي موعد، بصراحة، اريده يروح لخاطر اصير فري (مجاز)، اروح اسهر يعني بصراحة اگلك. أتذكر گلي: محسن شبيك، باچر آخذ طيارة من الصبح واروح. گلتله: لا لا دكتور اوصلك معليك. گال: بابا البوليس راح يوگفنا! گلتله: آني ما اعرف بوليس. ما نلحگ محسن. والله انلحگ دكتور. صعد بالسيارة، بس الدكتور يلحگ لخاطر بالليل اصير فري، اذا لا سمح الله، الحمد الله والشكر، لو مرايح بذاك الطيارة، كان يگول على كيفك، وآني أخاف يرجع وياي ما عوفه لازم ابقى وياه. الحمد الله وصل على الخير وصعد بالطيارة آخر لحظة، ووراها الصبح صار ١١ سبتمبر، لو مرايح، چان راح يأجلوها السفرة للصبح، وچان يركب الطيارة اللي ضربت البنتاغون. يعني الله ستر. ما ادري شلون. يعني نفس الطيارة اللي خطفوها كان لازم يسافر بيها ثاني يوم لو ما ملحگ على طيارة الليل!

«الله يرحمه!»

محسن شيخ الله
١٥ أيلول ٢٠١٦
(مقتبسة من حديث معه)

أيها الصديق قتلتهم بغيضهم حياً وميتاً

لم يكن أحد أبداً يتوقع ان يكون مثوى الدكتور أحمد الجلبي رحمه الله برحمته الواسعة هو جوار الإمام الهمام موسى بن جعفر عليه السلام في صحن الإمامين الكاظمين عليهما السلام

الدكتور احمد الجلبي الذي كان يغيض أعداءه في حياته بحسن أخلاقه ولعلها المرة الاولى التي أتحدث بها عن أخلاق هذا (الإنسان) الذي كان يبحث عنه ذاك الفيلسوف الحكيم الذي كان يحمل (فانوسا) ويجول في الشوارع والأزقة ليس في الليل بل في وضح النهار قيل له عمن تبحث قال أبحث عن(إنسان)

نعم أيها (الصديق الراحل) وأسمح لي أن أسميك هكذا وسأذكر لماذا هذه التسمية لاحقاً أنت هو ذاك الإنسان الذي يبحث عنه ذاك الفيلسوف الحكيم

لقد قتلتهم أيها الصديق الراحل بأخلاقك التي هي اخلاق الانسان وذكرت في الكلمات الاولى لتأبينك بعد ان شاهدتك على كرسي الموت انك جبل شامخ نعم جبل شامخ من الأخلاق والتي غابت عن الكثير من اقرانك في عالم يسمونه هم أنفسم عالم بلا اخلاق اقصد به (عالم السياسة)

نعم أيها الصديق الراحل كنت صادقاً معهم الأصدقاء والأعداء في كل شيء حول مستقبل هذا البلد ومصير هذا الشعب وشخصت وتكلمت وبينت وأعطيت الحلول الصادقة.

كنت صديقا حتى لأشد اعدائك لان (الصديق من صَدَقْك) وكنت صادقاً في كل شيء لم أعرف عنك (كذبة واحدة) طول صحبتي معك

أيها الصديق انت لست بحاجة لهذه الكلمات أبداً فقد قلتُ في كلمات تأبينك الاولى (إنك ذاهب الى رب غفور رحيم)

لقد أبدلك الله جارين هما إمامان معصومان الكاظم والجواد عليها السلام بدلاً من جوار أعدائك

كلما سيدخل اعداؤك مرقد الإمامين الكاظمين عليهما السلام ستكون أمامهم تذكرهم بجرائمهم وفشلهم وفسادهم وستكون شاهدا حاضراً على كذب زياراتهم

إسمح لي أن أقول أيها الصديق كم أنت (طيب) لقد قتلتهم حياً وظنوا انهم برحيلك تخلصوا منك لهذا ضحكت وجهوهم ولم يستطيعوا ان يخفوا ذلك في تشييع جثمانك ولكن شاء الله انك تقتلهم حتى بدفنك من الغيظ والحنق

الحصول على هذا الشرف الرفيع الكبير في الدنيا بالدفن في جوار الإمامين الكاظمين عليها السلام ليس اعتباطيا ولم يكن بقرار من (جيرانك) السابقين يقيناً بل ممن له (الكلمة العليا) وقبله إرادة ومشيئة السماء فهنيئاً لك أيها الصديق الراحل

(لقد قتلتهم أيها الصديق بغيضهم حياً وميتا)

نعم يا صديقي سأشتاق كثيراً لحوارتنا ونقاشاتنا نعم سأشتاق الى رؤيتك وأفكارك

وحسبي قول الشاعر

جاورت أعدائي وجاور ربه

شتان ما بين جواره وجواري

رحمك الله أيها الصديق يا أبا هاشم ودعائي لك أبداً لا ينقطع

صديقك

صباح الساعدي

٥ نوفمبر ٢٠١٥

الرسالة الأولى إلى مؤرخٍ لاحق...أحمد الجلبي (١٩٤٤-٢٠١٥)، مُلهماً ومعلماً

صديقي المؤرخ،

تحية من الماضي وبعد،

دعني أخبرك ببعض الأمور عن أحمد الجلبي.

حلقت لحية الأسى عليه في يومه السابع، وها أنا أكتب إليك.

أخالك شاباً، يسكن بغداد من بعد مرور جيلين عليها، يطالع وقائع وأحاديث هذا الالتباس الكبير الذي نعيشه. لا احسدك على المهمة التي ستضطلع بها وأنت تستمع، عن بُعد، الى صدى الضجيج الهادر من هذا الأسبوع الخريفي، في عام ٢٠١٥ للميلاد.

أستهل لك كلامي بالقول: مات الجلبي، ولا تزال سهام الليل التي اطلقها قبيل وفاته تتقاطر وتُصيب.

اودع لدى جهة صحفية شيئاً منها، وأرسل تقريراً مفصلاً، في صبيحته الأخيرة، الى مرجعية السيد السيستاني، وكانت هي قد طلبته منه، فعمل عليه جاهدا لمدة شهرين، مشخصاً فيه مكامن الفساد الكبير، وسُبل معالجته. ولربما ساهم هذا الجهد بإجهاده قبيل الرحيل.

الضجيج والاختلاف الذين واكبا وفاته دعت البعض، ما بين المتأسف والمُغرض، الى المناداة بطوي الصفحة والانصراف الى هموم أخرى تعصف بنا. والمفارقة أن في الولايات المتحدة، هناك سجال ناضج ومتواصل، ما بين الصديق والمناوئ، حول سيرته وما تعنيه لأمريكا. يُفترض بنا ان نتعظ بعض الشيء من ذلك قبيل التسرع بدفنه معنوياً في السجال العراقي، لأن هناك الكثير من الدروس والعبر التي حاول الجلبي ايصالها، قولاً وفعلاً، أثناء حياته، والتي ربما تسعفنا، او تختصر علينا الطريق، في اجتياز العاصفة.

لا أدري إن كنا سنتعظ.

أنت وحدك في هذا المشهد يا صديقي المؤرخ من تعلم إن كنا فعلاً قد اجتزناها.

الجلبي وسهام الليل

تبدأ القصة، كما رويت إلى الصحفي الامريكي ريشارد بونين لاحقاً والى آخرين، أنه في سنة ١٩٩٣، غادر الجلبي مقر إقامته في كردستان العراق آنذاك متوجها الى مدينة قم بإيران.

وصل الجلبي إلى دار آية الله العظمى السيد محمد رضا الموسوي الگلبايگاني بقيافته الأنيقة المعهودة، أي بالقاط والرباط. لاحظ، الرباط. إستقبله ابن السيد، وأدخله على والده. همس الابن لأبيه "هذا ابن عبد الهادي الجلبي". كان عمر الگلبايگاني يناهز الـ ٩٤ عاما، وكان مدركاً لمكانة عبد الهادي عند المرجعية

فيما سبق وما قدمه، كشيعي مدني، للمذهب من خدمة. هز السيد رأسه مشيراً الى معرفته بالأب، وسأل الجلبي: "ماذا تريد؟" فأجابه الجلبي، "مولانا، أريد منك أن تساعدنا في إسقاط صدام بسهام الليل". أدرك الگلبايگاني المقصد، وما تعنيه سهام الليل في الموروث الشيعي العرفاني، فابتسم، ورفع يديه بالدعاء الصامت، مشيراً الى رضاه.

خرج الجلبي من عنده متوجهاً الى حلقات أخرى من المراجع والحوزويين، وقال لهم "سنأتي بأمريكا كي تخلصنا من صدام" فلم يجد لديهم ممانعة، بل في بعض الحالات وجد تشجيعا، وبذلك تسلح الجلبي بمباركة اقطاب المذهب في مسعاه.

لماذا فعل ذلك في وقتها؟ جوابه اللاحق كان، لأن "الإيرانيين كانوا يحبطون محاولاتي في إدخال المجلس الأعلى وحزب الدعوة الى صُلب عملنا ضد صدام من كردستان العراق، متذرعين بالوصمة الامريكية".

إستدعاه آغاي محمد جعفري الى طهران مساءا، ولكن الجلبي أجاب بأن لا وقت لديه وعليه العودة الى كردستان مستعجلا. ومن كان جعفري؟ كان في وقتها منسقاً لقوى المعارضة العراقية في ايران ومستشارا للخامنئي في هذا الملف. الح آغاي جعفري كثيراً، فلان الجلبي قليلاً، وقال له سألتقيك صباحا. فعند اللقاء، عاتبه جعفري قائلا "لولاي لكان رئيس جهاز الاستطلاعات ينوي اعتقالك البارحة. لماذا ذهبت الى قم من دون إبلاغنا؟"

نظر إليه الجلبي وأجاب "لا يوجد حاجز بين المسلم الشيعي ومرجعه. فهل أنت تقول لي بأن الجمهورية الإسلامية ستقف حاجزا بيني وبين المراجع؟" أدرك جعفري لحظتها بأن هذا الرجل يختلف عمن كان يعرفهم حق المعرفة من بين العراقيين، فابتسم، ودار الحديث عن خطة الجلبي لإسقاط صدام بالتعاون مع الولايات المتحدة الامريكية والممهورة بمباركة المرجعية. وبقية القصة، او على الأقل، الى أي مدى تحققت الخطة، فأنت عارف بها.

الجلبي، ما بين السنة والشيعة

كان الجلبي متشيعا بصدق وإصرار، ولكنه لم يكن طائفياً. استطاع ان يجمع بين النهجين، وهو أمر ليس بالسهل، وينافي العصبيّات السائدة، ولهذا لم يستطع القوم ان يفهموه.

قبل الحرب بحوالى السنة، إختار قصيدة الجواهري عن الحسين، ومطلعها "فداءا لمثواك من مضجع"، نشيداً للمؤتمر الوطني العراقي، وتم تأديتها وتلحينها وتسجيلها في أمريكا من قبل إسماعيل الفروچي. انتقدته في حينها "ما شأننا نحن الليبراليين في ذلك؟" فقال "لن تفهمها الآن، وربما لن تفهمها الى فترة طويلة."

واثناء فترة مجلس الحكم، أنشأ "البيت الشيعي" ليلم الشتات الشيعي السياسي، فانتقدته مجددا، "ما شأننا بهؤلاء يا دكتور؟ هؤلاء لا يشبهونا، بل هم شبهة عليك!"

قال لي: "جمعتهم وجئت بهم الى هنا (قاصداً "البيت الصيني"، مقره آنذاك) كي يتشبهوا بنا. هؤلاء هم القوى السياسية الشيعية، إن شئنا أم أبينا. فهل نعاديهم؟ بعضها أتى من إيران ولا يزال مُتعلقاً بها، وبعضها الآخر تبلور من داخل العراق. هل نتركهم يتخاصمون ويتنابزون؟ دعنا نسحب هؤلاء من ايران، ونسحب هؤلاء من معاداة العراق الجديد "الأمريكي"، ونسحب آخرين من التبعية لأيٍ كان حتى لو لأمريكا، ودعنا نوحدهم على رسالة الديموقراطية، ولتكن مرجعيتهم نجفية. بريمر وسلطته يعملان على وأد الديموقراطية، وهو يحاول أن يأتينا بنظام يشبه نظام حسني مبارك، وبأن يقوض مسعانا في عقد الانتخابات. لا نستطيع ان نعول على الاكراد في مواجهة سياسة أمريكا، وكذلك الحال مع السنة، في الوقت الحالي. رأينا ما حصل في اجتماع لندن واجتماع صلاح الدين قبل الحرب. لا يخيف الامريكان الا كلمة "كلا" من السيستاني في شأن تأجيل الانتخابات الى ما لا نهاية، وإن أصر عليها ستحصل. لا نعرف ما يضمره الإيرانيون في هذا الوقت. سياستهم غير واضحة بالنسبة لي. فإن اردنا الديموقراطية، علينا أن نسحب هذه القوى الشيعية الى هدف واحد، وأن نوجه بوصلتهم الى النجف في كل صغيرة وكبيرة."

حاول إقناعي بأن المرحلة تتطلب ذلك، ولكنني بقيت مترددا، ففاجئني، كعادته، عندما اصطحبني الى النجف، لأجالس السيد السيستاني في حديث مطول دار بينه وبين الجلبي وعادل عبد المهدي ومحمد رضا السيستاني عن القانون الانتقالي. بل الجلبي فاجأ بيت السيد عندما جرني من يدي في البراني وهم بإدخالي على المرجع، وكان سؤال السيستاني اول جلوسنا هو "من هذا؟" مشيرا إليّ، فقام الجلبي بإجابته.

اعترف بأنني كنت مشككا بالسيستاني قبل هذا اللقاء، وكنت أقول للجلبي "هل نستطيع ان نثق به؟" لا أدري يا صديقي المؤرخ إن كنت تعلم مدى حساسية كتابة أمر كهذا في زمني. ولكن علي أن أسرد الواقعة وخلفياتها كما هي، كي أوضح لك كيف كان الجلبي يسدي لنا الدروس.

كان الجلبي يقول لي بأنه استشعر بالسيستاني "عارفاً" مثله في أول لقاء جمعهما. ولكن الجلبي كان يعلم بأنني مشككا أصلا بالروحانيات. ويبدو بأنه وجد بأن لا مناص بإقناعي الا من خلال اللقاء.

دخل عليه دكتور عادل أولاً وهّم بتقبيل يده، ولكن المرجع، الذي وقف لإستقبالنا، سحبها. ثم لحقه الدكتور أحمد بنفس الحركة، وسحب المرجع يده مرة أخرى. عندما جاء دوري، مددت يدي مصافحاً، لأنني لن اقبّل يد احد أي كان، فحدثت حركة لا إرادية لدى المرجع فسحب يدي وبقية جسدي معها إليه.

لم انبس بكلمة واحدة خلال اللقاء كله. بقيت عيناي تبحثان في أعين المرجع عن هذا التوهج الروحاني الذي تغنى به الجلبي. والأمر الغريب أن السيد السيستاني رد عليّ الحدق في أغلب الوقت، حتى في مطلع توجيهه الكلام الى الآخرين. وكان وجهه بشوشاً ضاحكاً على عكس الصور الوقورة بجديتها والتي كنت أراها له منتشرة في الشوارع والدور. على رغم ذلك، لم اجد في عينيه ما تكلم به الجلبي، وربما لم أكن مؤهلاً لذلك في سلك العارفين. ولكنني وجدت أمراً آخر.

عندما هممنا بالخروج، أعيد مشهد الدخول ما بين انحناء وجر اليد. أتيت للمصافحة البروتوكولية مرة أخرى، ففاجئني المرجع بسحبي مرة أخرى ولكن هذه المرة الى العناق الحار، وهمس شيئاً في أذني سيبقى سراً لن أبوح به اليك. ذهلت قليلا، وخرجت.

صعدت في السيارة الى جانب الجلبي، وملت عليه قائلا له "شكرا". شكرته لأن إدراكي في تلك اللحظة اقتصر على إشراكي في تجربة ممتعة وتاريخية.

أما الآن، وعند مراجعة شريط الذكريات، أدركت الدرس البليغ. "نعم يا جلبي، أستطيع أن أثق برجل كهذا. شكراً لك لأنك ذهبت الى كل هذا العناء وصبرت عليّ كي افهم مقصدك."

في مشهد آخر، وجدني الجلبي غاضبا مستشيطا. كنت قد اديت بتصريح ناري الى راديو سوا قبلها بدقائق من دون استشارته. أنقلها لك كاملة، كي تفهم تلك اللحظة والمشاعر التي اثارتها:

تصريحي الذي أدليت به لراديو سوا يوم ٣ آذار ٢٠٠٤:

حذر مدير مركز الأبحاث في المؤتمر الوطني العراقي، نبراس الكاظمي، السنة في العراق من خطر اندلاع حرب أهلية إذا لم يقفوا مع الشيعة الذين يتعرضون للهجمات الإرهابية قائلاً: «لا نريد من السنة العرب مواقف رمزية مثل التبرع بالدم لكن نريد نتائج ملموسة مثل التبرع بمعلومات عن هذه الشبكات التي تناصر غزو الجراد القادم من خارج الحدود وتوفر له حيز التخفي والتحرك ليحرق الأخضر واليابس. وإذا لم يحصل هذا فإن القامات التي يستخدمها الشيعة العراقيون في مواكب التطبير سيجدون لها استخدامات أخرى وستقع الحرب الأهلية وسيحصل ما سيحصل». لينتقل بعد ذلك منتقداً الأصوات الشيعية التي تدعي بأن لأميركا مصلحة بما يجري من عنف في العراق:

"إلى متى ستبقى القيادات الدينية الشيعية تردع أشباح الحرب الأهلية بكيل اللوم على الأمريكان. لولا الأمريكان ودحرهم لصدام، أكان للشيعة تأدية مراسيم عاشوراء في أجواء الحرية والانفتاح؟ الجواب: لا."

ويتهم الكاظمي السنة في العراق بأنهم ساعدوا المنظمات الإرهابية التي ضربت الشيعة في مراقدهم المقدسة. متسائلاً: «أنا أحمِّل السنة العرب في العراق المسؤولية عن الفاجعة التي حصلت في الكاظمية وكربلاء. هل يعقل بأن هؤلاء الانتحاريين القادمين من اليمن والسعودية وأفغانستان يستطيعون الدخول إلى العراق والتواجد والتخفي ومن ثم تحديد الهدف والتهيؤ للعمليات الإرهابية بدون وجود شبكة يديرها عراقيون وربما ضباط مخابرات محترفون ليختاروا البيوت الآمنة وليجمعوا المعلومات وليتكفلوا بالتنقل وإخفاء العبوات الناسفة؟ كلا، لا يعقل هذا الكلام ومن يراوغ على الحقيقة ويقول إن السنة العرب لا يمكن أن يكونوا مضطلعين بضرب الأماكن ذات القدسية لكل العراقيين ويتناسون بأن الحرس الجمهوري الخاص قام بدك ضريحي الحسين والعباس عليهما السلام بالصواريخ أثناء الانتفاضة التي حصلت عام ١٩٩١ وكانوا يخطون على دبابتهم ومجنزراتهم عبارة «لا شيعة بعد اليوم». هل نسينا هذا الماضي القريب والمؤلم ونحن مازلنا

متربين بغبار المقابر الجماعية في الجنوب. دعونا لا ندور في حلقات مفرغة من بيانات الاستنكار والاستهجان لهذه العمليات. دعونا نتكلم بجدية ووضوح. هناك مشكلة سنة وشيعة في العراق."

وحذر الكاظمي السنة في العراق إلى أنهم سيكونون أول الخاسرين إذا اندلعت الحرب الأهلية في العراق:

"مع تحرير العراق إنقلبت كافة الموازين وأدت إلى انهيار مؤسسة الحكم السني في العراق والمتوارثة من أيام الاحتلال البريطاني. والسنة لم يستفيقوا من هول الصدمة لحد الآن ومازالوا يتصرفون بعدم اتزان وبدون حسبان للنتائج. ألا يعلم الإخوان من السنة العرب بأن غايات البعض منهم جر العراق إلى حرب أهلية سوف تؤدي حتما إلى قيام تحالف شيعي كردي ينتصر فيه الكرد في معركة كركوك ويظفر الشيعة بالعاصمة بغداد وبالتالي يقسم العراق إلى ثلاث دويلات. وممّ سيعتاش السنة العرب في مثلثهم؟ هل على أكوام الحصى في سامراء أم على مناجم الفوسفات في الشرقاط أم على موسم الكمأ في الأنبار؟ إذن مصير العرب السنة ومصير أجيالهم القادمة يصان مع إدامة الترابط مع النسيج العراقي والبقاء ضمن إطار الوطن الواحد وإلا فإن جريمة التفجير داخل حرم الإمامين الجوادين في الكاظمية هو استفزاز وتحدٍ غير مسبوق في تاريخ العراق والعلاقات بين الشيعة والسنة. ولعل الوحيد في وجه المقاربة بين ما حصل وبين الغزوة أو بالأحرى الجريمة الوهابية التي اقترفت قبل مئتي عام في مدينة كربلاء وأدت إلى انتهاك حرمة الأضرحة وذبح خمسة آلاف نسمة في غضون سويعات وكان يقودها أمراء آل سعود في ذلك الحين."

كنت قد غادرت ضريح الكاظمين قبيل التفجير بربع ساعة. والنار لا تزال تأكل بي. قبل مغادرتي، كنت أشاهد مواكب التطبير لأهالي الكاظمية وهي تتوافد، وإن صحت ذاكرتي، كنت واقفاً أمام نفس الإيوان الذي دفن فيه الجلبي.

أتدري، يا صديقي المؤرخ، ما قاله لي الجلبي عندما أبلغته بتصريحي؟

صمت لبرهة، ثم قالها بحزن عميق، "الكلام صحيح، ولكن ما كان عليك أن تقوله. لا يكفي أن تكون محقاً في قولك ومخاوفك وتوقعاتك. عليك أن تعمل بهدوء كي لا تتحقق هذه الكوابيس."

في وفاته، إنقسم العراقيون أقساماً عدة، أوضحها، وفي ما شابه الإجماع، كان موقف سنة العراق، مجتمعياً ونخبويا، بالعداء والشماتة منه، فهم فهموا ظاهرة الجلبي بأنها كانت موجهة ضدهم، وساعية الى الانتقام منهم. كبير هو الالتباس السائد، ولكن لا يوجد إجحاف أكبر من ذلك بسيرته.

الجلبي كان متشيعاً بصدق وإصرار، ولكنه لم يكن طائفياً. لم يرغب يوماً بالانتقام من السنة، بل لم يرغب بالانتقام من البعثيين أيضاً! اقسم بذلك!

وكيف لي ان احصي كل الدلائل على ذلك؟!

فهل يعد هذا منها: أول من إتصل بي صارخاً "نبراس گوم. الدكتور انطاك عمره. گوم نبراس! احنا

هسة متوجهين للسيف حت نشوفه" كان سنيا عربيا، وهو ليس من هؤلاء المتملقين المنتفعين، بل هو من الناقمين على ما آلت إليه الأمور بالنسبة لقومه. "من قال لك هذا؟" فأجاب "كاميران"، مشيراً الى سكرتير الدكتور (سني كردي). وهو من الناقمين أيضا على ما آلت اليه الأمور من العنصرية التي يتلمسها ضد قومه في بغداد. فلماذا بقي هذان الشخصان مصاحبين للجلبي الى الآخر؟ اتصلت بالاول بعد ان رأى الجثمان، وكان منهارا، مجهشا بالنحيب. كتب بعد أيام في صفحته بالفايسبوك: " وداعا سيدي لقد تيتمت مرتين لاحول ولا قوه الا بالله". في تلك اللحظات، لم يكن هذا الشخص "سنياً عربياً"، وانما فقط من محبي الجلبي.

ولكنه من النادرين من بين قومه. أحيلك أيضاً الى ما كتبته النائب ميسون الدملوجي عن الجلبي. وإن احصينا من اتى من قادة النخب السياسية والمجتمعية السنية الى فاتحة الجلبي في بستانه (السيف)، سنجد اختلالا كبيرا في التوازن.

أعتقد بأن أكثره، من دون موارية، نابع من نزعة طائفية منغلقة، منغلقة حتى عن واقعها المرير الحالي، أي الانهيار المجتمعي السني في العام الماضي.

فمتى سيصارح بعضهم نفسه، بأنهم لا يستطيعون تجاوز نفورهم من عتبة "متشيعاً بصدق وإصرار"، ليتبحروا في روحه وسيرته؟ هذا ليس عيباً في الجلبي، بل عيب فيهم. وخسارة لن يدركوها الآن. وتوقعي وثم أسفي أنهم سيدركونها فيما بعد. بالتأكيد، ستكون أنت أعرف بذلك.

أتذكر انني في يوم ما في سنة ٢٠١٠، أبديت للجلبي امتعاضي من أن قبر صدام قد تحول الى مزار. بل من نقل لي الصورة عما يحصل في العوجة كان نفسه هذا الشخص "السني العربي" آنف الذكر، والذي كان قد ذهب وقرأ الفاتحة على القبر. غضبت عليه، ونقلت غضبي الى الجلبي. "كيف نسمح لهذا الحال بالاستمرار؟ شموع وبخور وزهور وصور وأدعية في ضريح مهيب لذلك المجرم؟"

وكانت هذه أول مرة نتكلم في شأن سياسي من بعد انقطاع طويل.

فاجابني الجلبي، "وماذا تريدنا أن نفعل؟ نذهب بالبلدوزر ونسويه مع الأرض؟"

قلت له، "بالطبع."

رد علي، "وكيف سنختلف عنه في حينها؟ لماذا خالفناه أصلاً إن تشبهنا به؟ دعهم يزورونه وينذرون اليه. سيتلاشى الزائرون مع مرور الوقت واندمال الجرح، وسيندرس المكان من تلقاء نفسه كما اندرست الكثير من اضرحة المتجبرين عبر التاريخ. وتعرف لماذا سيحصل هذا؟ لأن زائريه سيرون بأن العراق الجديد لا يتشفى بالميت، ولا يُمعن في المهانة."

ذكر لي الجلبي أيضاً بأنه كان مدعواً لسبب ما الى بيت المالكي في الأيام التي تلت شنق صدام، وعند وصوله

الى باب البيت، قال له أحدهم بأن المالكي يُدخل زائريه الى غرفة تحوي جثة صدام، وبأن جميع الحاضرين منتشين بالنصر. تقزز الجلبي من هذا الكلام، وغادر فورا من دون ان يدخل.

في نهاية عام ٢٠١٣، جلست مقابل الجلبي لأقول له بأن السنة مهيئون مجتمعيا الآن لتقّبل العراق الجديد، من بعد أن أنهكهم تمردهم، وظهور شوفينية شيعية مقابلة لتطرفهم متمثلة بالمالكي وأنصاره.

اختلف معي الجلبي وقال، "كلا ليسوا مهيئين."

قلت له، "أنت لا تعرف ذلك، او لا تريد أن تعرف، وربما أنت أصبحت من الشوفينيين أيضاً، ألست متخوفاً من سقوط نظام بشار الأسد؟ الم تجعجع حول البحرين؟! ما دخلنا بالبحرين؟"

الجلبي: "لا تقاس تلك بهذه. كل ملف من هذه الملفات لدي فيه قراءة منفصلة. لا تبحث عن النية واللون الواحد. أنا لست بتلك السطحية."

أنا: "حسناً دكتور، ولكن السنة يظلمون، والشيعة أصبحوا ظالمين."

الجلبي: "نعم، السنة يظلمون."

أنا: "اذن قُل شيئاً!"

الجلبي: "سأقول."

أنا: "قلها وثم نقيس. وأنا متيقن بأنهم متهيئين مجتمعياً، ونخبوياً، كي يتم احتضانهم في العراق الجديد."

قالها الجلبي فعلاً، وفي مرات متعددة. قال بأن السنة يظلمون، ولكن لا السنة ولا الشيعة استمعوا اليه.

اعترف الآن بأنني كنت مخطئاً في تشخيصي للحالة الراهنة السنية عند حديثي أعلاه مع الجلبي. وخير دليل ما كتبته السنة، بما يشابه الاجماع، في حق الجلبي عندما أتاه حقه.

لم يشمت الجلبي بصدام، حتى عندما وجده ذليلاً يوم اعتقاله. بقي الجلبي ساكتاً خلال الاجتماع، مستمعاً الى صدام وهو يرد على بقية الحضور. في النهاية، قال لهم صدام: "ليخرج الجميع وليبقى الدكتوران الجلبي والباجة جي كي أتكلم معهما." عندها نهض الجلبي من الكرسي وقال "لم تعد في موقع اصدار الأوامر"، وخرج.

أتدري أقصى ما قاله الجلبي لي عن صدام عندما رجع الى داره من بعد اللقاء؟ انتظرت الى ان انفض الفضوليون من حوله، الذي أرادوا الاستماع الى كافة التفاصيل عما حدث. غادرونا وبقيت انا وهو كي اسأله السؤال الذي اغفلوه: "بما كنت تفكر به وانت تنظر اليه؟"

قالها الجلبي: "إنتابني شعور بالقرف عما جرى بنا، كيف استطاع هذا الواهم الضحل ان يتسيّد على شعبنا لمدة ثلاثين سنة؟"

لم أرَ الجلبي عصبياً حقاً طيلة معرفتي به إلا في تلك الشقشقة.

والآن، يقف سنة العراق امام المجهول، ما بين سندان معلوم، ومطرقة معلومة.

ولكن، بالتأكيد ستقول "ماذا عن الاجتثاث؟! ألم تنتقموا من السنة من خلاله؟"

كيف لي أن أشرح لك أن الجلبي، المفكّر، كان قصده اجتثاث فكر البعث وليس البعثيين؟

كيف لي أن أشرح لك بأن الجلبي سعى الى اجتثاث الورم السرطاني البعثي من العقل الجمعي السني؟

كان جراحاً ماهراً، ولكن كيف له ان يتم العملية من دون أدوات، وامامه مريض منتفض ومتهستر، راميا برأسه يمينا وشمالا؟

نعم، إنحرف الاجتثاث عن مساره، وتحول الى أداة لانتقام طائفي. فهل يقتصر اللوم على الجلبي، ام أن بعضه يُحال الى نائب له مثل المالكي، ومجلس إدارة يضم عشرة أحزاب، منها الحزب الإسلامي (السني) والشيوعي وحتى الحركة الديموقراطية الآشورية؟

هل تعلم يا أيها المؤرخ بأن حصة الجلبي داخل الاجتثاث كانت منصبين من خمسة مناصب رئيسية، واختار لهما سنيين (عبد العزيز الونداوي ومثال الآلوسي)؟

هل تعلم بأنه وجه مدير مكتب المؤتمر في الموصل في الإسراع بجلب ملفات الاستثناء إليه كي يبت فيها، وكانت هذه هي أولى الاستثناءات عند انطلاق الاجتثاث، وبإشرافي المباشر؟

عمل جاهداً كي يوصل رسالة بأن البعث، فكراً وحزباً، هو عدوه وليس البعثيون. عداؤه كان مع نهج البعث وممارسته اللئيمة، وخطابه الصلف.

إسأل عن ضابط المخابرات "أبو عمر" الذي كان مكلفاً بتتبع أقرباء الجلبي في بغداد والضغط عليهم، هل مسّه احد اثناء زياراته المتعددة الى مقر المؤتمر في نادي الصيد من بعد وصول الدكتور، منتصراً، الى بغداد؟

إن لم ينتقم الجلبي من "أبو عمر"، المسؤول المباشر عن إيذاء اهله، فممن سينتقم؟

إذن، ما الذي كان يريده الجلبي من مسعى اجتثاث البعث؟ وهل كان سيرضى بأن الشيعة سيمتدحونه في مماته بلقب "صكار البعثية"؟

كلا. جل ما أراده هو أن في زمانك، سيتخجل حفيد البعثي من ماضي جدّه، حتى وإن كان هذا الجد من أطيب الناس. لأن خدمة نظام البعث عار لا يلحقه عار في تاريخ العراق المعاصر. نستطيع ان نغفر للفرد البعثي، ولكن لا مغفرة، ولا مصالحة مع إرث البعث.

هل فهمت الفرق الآن؟

لم نستطع في ١٣ سنة منذ انهيار نظام البعث أن نبني متحفاً يوضح ماهية البعث، ويخلد ذكرى من وقف

بالضد منه. فهل هذا المتحف موجود عندكم يا أيها المؤرخ الصديق في زمانك؟ هل زرته؟ هل اصطحبت ابناءك اليه؟

هل وجدت، في جناح ما منه، صورة لأحمد الجلبي، وما أراد ان يخلدّه من ارثٍ؟

هل انت من سنة العراق؟ ام لم يبق كيان اسمه العراق؟

حينها، كيف ستفهم اختياره لقصيدة الجواهري نشيداً لمؤتمره؟ هل ستفهمها بأن الجلبي كان دوما على خط علي زين العابدين بن الحسين في رفض خط المختار الثقفي؟

طالت هذه الرسالة عليك، وستجدني لاحقا مكاتبا اليك برسائل أخرى. سأكتب لك عن قصة الجلبي مع الاكراد، عن الجلبي ثائراً، عن الجلبي شجاعا، عن الجلبي معرفياً، عن الجلبي "عارفاً"، عن الجلبي مصمماً ومهندساً، عن الجلبي بين محبيه في عشائه، او بالتحديد عيد ميلاده، الأخير.

وسأكتب لك المزيد عن سهام الليل، وسأسألك، أين حلت تلك الجعب منها والتي اودعها الجلبي لدى أكثر من طرف؟ هل أصابت أهدافها، أم أنها رُكنت في رازونةٍ ما في برّاني السيد؟

لن يخّط التاريخ برذاذ السُّعْرِ، ولا بالدموع، ولا، كما كان الحال سابقاً، بدماء المغلوب عليهم.

ستخط التاريخ أنت بحبر بارد.

علّ من يأتي من بعدك سيستطعم منه الإنصاف.

أمسك على صدري، متخجلاً من توهج الأمل الذي لا ينتهي فيه، وهو من حصاد ما زرعه الجلبي فيّ وفي غيري، متفائلا بحذر ومتسائلا: هل ستخّط بحبرك البارد أننا فعلاً، بقدرة قادر، إجتزنا العاصفة؟

نبراس الكاظمي
١٠ نوفمبر ٢٠١٥

الدكتور احمد الجلبي.. لا عزاء للجاحدين..!!

ليس مستغرباً أبداً أن يثير الراحل أحمد الجلبي كل هذا الجدال والاختلاف في التقييم والتفسير حول طريقة موته...وحول موقع دفنه...فلقد كان هذا الرجل في حياته موضع جدال واختلاف كبير وتباينت التقييمات لدوره وسيرته السياسية تبايناً عظيماً وهذا بالقطع قدر الرجال الكبار الذين يتركون بصماتهم ويرحلون ولا تجد إنسانا هملا يثير مثل هذا الضجيج أو نحوه. ربما كان أحمد الجلبي خير نموذج لمصطلح «controversial» والذي انتقل إلى اللغة العربية وترجم بـ(المثير للجدل). نحن في العراق والعالم العربي عموما قلما نجمع على شيء ... والاختلاف والتشرذم سمة بارزة في أوضاعنا المعاصرة ولذلك لا يتوقع أحد أن يتفق العراقيون على الإشارة بالرجل أو ذمه...والرجل الذي يجمع عليه العراقيون كلهم ربما لم يخلق بعد ..وإذا اضفنا لذلك الطبع العراقي المعروف بذم الحاكم وكل من يقترب من بيت الحكم ومعاداته وهو ما عبر عنه الدكتور أحمد الكبيسي بقوله (سعيد الحظ من يحكم مصر فالقوم هناك يعبدون حكامهم ..وتعيس الحظ من يحكم العراق فأهله يقتلون حكامهم ويمثلون بجثثهم)..!!

سير الرجال تلخص سيرة التاريخ ..ومن لا يحسن فهم هذه السير لا يصلح لفهم التاريخ ، وعندما ندرس سيرة الجلبي الراحل فإننا ندرس بالنقد والتقييم حقبة هامة وحساسة من التاريخ الوطني المعاصر، فقد ارتبط اسم الجلبي بواقعة الاحتلال الأمريكي للعراق ذلك الحدث الجلل الذي غير مسار المستقبل في العراق لعقود قادمة وأحدث تبديلاً جذرياً في معادلات الحكم والسلطة داخل العراق، ولنصغي لما يقوله المرحوم الجلبي في تقييمه لحصيلة الاحتلال، ففي قوله هذا تلخيص لاستراتيجية الرجل ونظرته للحصيلة التي انتهى إليها ...(لم يحقق الأمريكان في العراق شيئاً سوى أنهم أعادوا الإعتبار للأغلبية السكانية) ...هذا التصريح الذي صدر عن الجلبي قبل حوالي العام يلخص استراتيجية الرجل تجاه الاحتلال، ويتفق معه في ذلك غريمه بول بريمر الحاكم المدني الأمريكي للعراق عندما يشير في حديث له للإتهام الذي يوجه لسياسات واشنطن بعد الإحتلال وأنها جاملت الشيعة على حساب المكونات الأخرى في العراق فيرد قائلاً (الشيعة في العراق أغلبية السكان ونحن لم نتصرف إلا وفق المعايير الديمقراطية المعتادة)...بغض النظر عن (حقيقة الحسابات الامريكية في العراق وصلتها بالإستراتيجيات) فالنتيجة التي انتهى إليها الجلبي هو أن إسقاط نظام صدام حسين وان تم عن طريق الإحتلال فإنه أطلق مساراً سياسياً جديداً وأجرى تعديلاً على الواقع الإجتماعي في العراق تم بموجبه (إنصاف الشيعة وهم اغلبية السكان) وتغيير المعادلة لصالحهم ...ومن يدقق في سيرة الجلبي لا يصعب عليه إكتشاف أن تلك النتيجة كانت هي القضية التي سعى لأجلها وكرس جهوده السياسية لصالحها حتى وإن لم يكن راضياً عن تطورات الأحداث بعد ذلك.

كان متبرماً لأنه لم يحظ بالتقدير والعرفان اللذين يستحقهما خصوصاً من رفاق دربه وشركائه في العمل . سياسي كالجلبي لا يسعى للمنصب... ولكن يسعى للدور... يمكن له أن يفرط بالموقع أو المنصب ولكنه

يقاتل من أجل (الدور) ولا يفرط به ...والمشكلة تحدث عندما تنحدر الحياة السياسية والإجتماعية إلى أسفل ويصبح من لا يملك المنصب أو العنوان الرسمي غير قادر على أداء الدور الذي يطمح إليه ...هنا يبرز الإحباط وتتراكم المرارة خصوصا عندما يشاهد شخص بقامة الجلبي وتاريخه الساحة مليئة بـ(الروبيضات) يملأ زعيقهم المكان..!! في واقع الأمر كان الكثير من ساسة الشيعة لا يتقبلون الجلبي أو بتعبير أدق يخشون منافسته فالأذكياء لا يحظون بالقبول في كل الأماكن وربما كان ذكاؤهم وألمعيتهم سبباً في إستثارة العداء ضدهم...ومن غرائب الأمور أن تصبح (البلادة والغباء) مزايا عند بعض الأوساط رغم أن البليد أو الغبي لا يمكن أن ينصر أي قضية عادلة كانت أم غير عادلة...كان حرياً بالوسط السياسي الذي جاء منه الجلبي أن يمسك بتلابيبه ويدفعه الى الواجهة وإلى مواقع المسؤولية والفعل فالأذكياء وحدهم الذين ينهضون بالمهام الكبيرة ويحملون على عواتقهم مسؤولية إنجاح الاستراتيجيات بعيدة المدى.

لكي نفهم موقف الجلبي من قضية الإحتلال التي هوجم من أجلها وانتقد في حياته وبعد رحيله، علينا أن نسلط الضوء على بعض الحقائق الخاصة بالرجل وهي ليست محاولة للتبرير بقدر ما هي محاولة للفهم. الجلبي لم يكن ابن أحد الأحزاب الدينية ذات الايديولوجيا الصارمة والإلتزام الفكري والتنظيمي بل كان رجلا ارستقراطياً وسياسياً (براجماتياً) من الطراز الأول ولج السياسة من باب المال ومن بوابة الأسرة العريقة ... (البراجماتيون) لهم حساباتهم وطريقة تفكيرهم لا يفهمها ولا يستسيغها أبناء الأحزاب الدينية والأصولية ... أدرك الجلبي إرتباط المال بالسياسة فأراد أن يمارس السياسة بأسلوب المصرفي، وأن يعزز المال بالنفوذ السياسي... وهذا ليس بدعة أو إختراعا من الجلبي إذ أن لعبة السياسة ولعبة المال مندمجتان منذ كان هناك مال ... وكان هناك سياسة في هذا الكون...فالسياسة هي فن صناعة القوة .وحسن استثمار القوة ... والمال هو أبرز صور القوة ...أو هو الذي يشتري الصور الأخرى من القوة ...وهذا ليس (ميكافيلية)..أو (لا أخلاقية) بل هي (براجماتية) بحسب مصطلحات اليوم...وحتى البراجماتية ..أو المبالغة في (الواقعية) ليست معزولة تماماً عن (المبادئ) بل هي في خدمتها ...وكم من سياسي في عالم اليوم وصف بأنه (براجماتي تقوده المبادئ) . تعامل الجلبي مع الدور الأمريكي في العراق بمنطق (براجماتي) صرف ..(سيؤدون دورهم ويرحلون)..(سيزيحون لنا صدام ويغادرون..). أني أود هنا أن أطرح التساؤلات التالية ولنجب عليها بكل صراحة . كم نسبة العراقيين الذين كانوا سيقبلون ويرحبون برحيل صدام حسين حتى مع معرفتهم بأن ذلك سيتم على يد الأمريكيين..؟؟ كم من العراقيين توقع بأن يكون مسار الأحداث في العراق بالصورة التي حصل بها أو الصيغة التي انتهى إليها..؟؟ ألم تكن غالبية العراقيين فاقدة للأمل بزوال النظام وأن هذا الإحباط الواسع جعلهم يقبلون بأي حل ينقذهم من النظام وينهي محنتهم ..؟؟ ألم يأمل كثير من أهل العراق بأن يكون سلوك الأمريكيين مختلفاً وأن يحسنوا التصرف ويبنوا نموذجاً صالحاً ومتطوراً للحكم كما حصل في بعض الدول التي خضعت لإحتلالهم..؟؟ أعلم جيدا أن مثل هذه النسب التي تحدثت عنها لم تكن سواء في أوساط العراقيين وأنها تختلف بشكل واضح ما بين سنة وشيعة وكرد وليس عيبا أن نقر بذلك.، كما أعلم أن كثيرين انطلقوا من رفضهم للوجود الأمريكي من قاعدة مبدئية وفتاوى شرعية وهؤلاء أيضاً لهم كل الإحترام والتقدير ولكن يتوجب عليهم

الإقرار بأنهم لم يكونوا أغلبية العراقيين عشية التاسع من نيسان...وأن أيادي معظمهم كانت في الماء ولم تكن في النار كحال مواطنيهم الآخرين.

بالتأكيد كان أحمد الجلبي واحداً من أولئك العراقيين الكثيرين الذين جعلوا التخلص من صدام على رأس اولوياتهم والهدف الذي لأجله يتوجب دفع بعض الأثمان وقبول بعض التضحيات..!! ألم يختزن شيعة العراق الدرس الذي خرجوا به من ثورة العشرين عندما ثاروا في وجه الإحتلال البريطاني ثم طالبوا بدولة عربية يحكمها أمير عربي من السلالة النبوية وعندما تحقق ذلك بقوا عازفين عن السلطة ومناكفين لها ولم يستطيعوا وراثتها...ألم يكن هذا الدرس حاضراً في ذهن (النخبة الشيعية) بما فيها زعاماتها الدينية..؟؟ ألم يكن الجلبي أحد ابناء هذه النخبة التي وعت الدرس بعمق واستوعبته. في لقائي الأول مع المرحوم الجلبي اكتشفت أنني أمام شخصية غير إعتيادية تختلف عن الكثير ممن يوصفون الآن (بالنخبة السياسية) ... نظرات عينيه تدل على الذكاء الحاد... وإذا تحدث إليك وحدق في وجهك تحس أنه يريد أن يسبر غورك ويطلع على دواخلك، سيرة الجلبي الأكاديمية والمهنية لا تدع مجالاً للشك حول ذكائه، وفي الواقع فإن أعظم ثروات الأمم هم مثل هذا الصنف من الرجال. حدثني صديق مشترك لنا قائلا (الدكتور الجلبي ليست لديه حافظة أرقام لتليفونات اصدقائه لأنه يعتمد على ذاكرته في ذلك..) . في ذلك اللقاء الذي تشكلت فيه إنطباعاتي عن المرحوم الجلبي تذكرت ما قالته (المس بيل) عن نوري السعيد أشهر ساسة العراق قبل عام ١٩٥٨ وهو أيضا (شخصية مثيرة للجدل) تعرض تاريخها للظلم والتشويه إلى حد كبير ... قالت بيل (عندما قابلت نوري السعيد قلت في نفسي .. علينا احتواء الرجل وكسبه وإلا فإنه سيكون خطراً على مصالحنا (أي بريطانيا). أعتقد أن أصحاب النفوذ في واشنطن قبل غزو العراق كان لهم تقييم ورأي مشابه في التعامل مع الدكتور الجلبي، وقناعتي أنه في فترة ما كانت واشنطن تعده ليكون رجلها الأول في العراق ..لكن الحسابات تغيرت فيما بعد... فقد استنتج الأمريكان أن شخصاً كالجلبي يستحيل استيعابه وضبط حركته تماماً على بوصلتهم...كما اكتشفوا أن ليس بمقدوره السيطرة على الأحداث في العراق ، أما هو فقد اصطدم بواقع تصرفهم كمحتل وليس كمحرر .. ولم يخف الجلبي ذلك وكان المعارض والمناكف الأكبر لبول بريمر ... وأسمعه كلاما داخل اروقة مجلس الحكم لم يكن يحب أن يسمعه، ويشير بريمر في مذكراته إلى ذلك .

ذكر الرئيس طالباني عافاه الله في حديث لجمع كنت من بينهم ...خاطب الجلبي بريمر بحدة قائلاً...أنتم أسوأ من الاحتلال الإنجليزي للعراق في القرن الماضي ...الإنجليز أعطونا استقلالنا ودستورا وأنتم ترفضون ذلك اليوم ...كان الرئيس طالباني يردد كلما ذكر اسم الدكتور الجلبي عنده.. «يا من تعب ..يا من شقى يا من على الحاضر لقى» في إشارة إلى دور الجلبي وجهوده في إسقاط النظام والحصيلة المتواضعة التي خرج بها الرجل بعد ذلك مقارنة بما حازه الآخرون. مرت معي حادثة تسلط الضوء على منهجية الجلبي رحمه الله في العمل السياسي والتي تلخصها العبارة (المال في خدمة النفوذ السياسي ..والسياسة لتعزيز النفوذ المالي) ، إذ تعود بي الذاكرة إلى بدايات تشكيل الحكومة المالكية الأولى عام ٢٠٠٦ حيث كنت أترأس فريق التفاوض عن جبهة التوافق العراقية وكان الأستاذ نوري المالكي قد حسم ترشحه لترؤس الوزارة من قبل التحالف

الوطني، قال لي الأستاذ المالكي ..نريد ترشيح أحمد الجلبي لوزارة الداخلية ..أجبته ..لا أعتقد أن جبهة التوافق سترضى بهذا الترشيح ..!!، ثم ما لبث أن تغير موقف التحالف الوطني واتجه لترشيح المستقلين (السنة للدفاع والداخلية للشيعة)، غير أني فوجئت بأحد قادة جبهة التوافق الثلاثة يتصل بي ويقول ..أنا أقترح أن ترشحوا أحمد الجلبي وزيراً للداخلية فهذا الشخص (صريح) و (قوي) ويصلح للداخلية..!!؟؟ ، استغربت الأمر وعلمت أن هذا الشخص لم يشاور رفاقه في هذا الشأن وقلت في نفسي ..ما عدا مما بدا ..وما سر هذا التغيير ، ولم يطل بي الوقت لكي أخمن كيف وصل المرحوم الجلبي لهذا الشخص وكيف تمكن من إقناعه ..!! لم تكن شخصية الجلبي توحي بأنه (محتقن طائفيا) فثقافة الرجل وخلفيته الإجتماعية تنفي مثل هذا الاحتمال غير أنه كان شيعيا مخلصا بكل تأكيد وأود أن أشير هنا جازما أن (القضية الشيعية في العراق) .. (إن كان هناك من لا يعترض على هذا المصطلح) كانت حاضرة على الدوام في فكر الجلبي وسلوكه وانها كانت المحرك الأكبر لكل تحركاته وتصرفاته السياسية ولا يعني هذا بالضرورة أنه كان (طائفيا) أو أنه أراد أن يهضم حقوق الآخرين في هذا البلد .. (فالانتماء هو غير الإحتقان) ومن يصح وصفه بأنه (صاحب قضية) غالباً ما يتفهم قضايا الآخرين ومواقفهم ومن يرفض مظلومية أهله لا يقبل بمظلومية غيرهم.

خاض الجلبي الإنتخابات عام ٢٠٠٥ بقائمة منفردة للمؤتمر الوطني وكانت النتيجة عدم تمكن القائمة من إحراز مقعد واحد بما فيها مقعد الجلبي نفسه وربما يكون قد حلم الراحل بلعب دور وطني مستقل ذي مسحة ليبرالية بعيداً عن التحالف الشيعي الذي لعب هو دوراً في تأسيسه غير أنه بعد تلك الإنتخابات راجع حساباته وعاد إلى سربه .. وتخلى عن فكرة أن يلبس ثوباً غير ثوبه، وما يجدر الأشارة إليه أن الراحل وعند تشكيل أول حكومة عراقية بعد الاحتلال طلب الأمريكيون من كل عضو من أعضاء مجلس الحكم أن يرشح وزيراً واحداً وجرت العادة أن يرشح العضو فرداً من أبناء طائفته ولكن الجلبي خالف التوقعات ورشح شخصية سنية هو المرحوم كامل كيلاني لمنصب وزارة المالية. انتقد الكثيرون الجلبي واعتبر نيته بتأسيس (البيت الشيعي) من بدايات الممارسات الطائفية المبكرة في السياسة العراقية بعد عام ٢٠٠٣ ولكن الواقع هو أن الراحل كان يهدف لتأسيس مرجعية سياسية للشيعة تعمل مع المرجعية الدينية على رعاية المشروع الشيعي في العراق وضبط إيقاعه ومنع تنافر مكوناته كما أن الراحل لم يفعل سوى أن (سمى الأشياء بمسمياتها الحقيقية) وعندما تشكل (التحالف الوطني العراقي) لنفس الأهداف توقف الجلبي عن هذه الجهود لتحقق المطلوب.. إذا كان المرحوم أحمد الجلبي شخصاً اختلف على سيرته السياسية ما بين متعاطف وساخط .. وإذا كان الرجل قد تعرض للجحود والخذلان من قبل حلفائه وشركائه .. أو أصابه الظلم في العديد من مواقفه ومحطات حياته فإنه اليوم في رحاب الحاكم العادل الذي لا يظلم عنده أحد ،وفي الموقف الذي قال الله سبحانه وتعالى فيه (يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من آتى الله بقلب سليم..).

علي غالب بابان

١٣ نوفمبر ٢٠١٥

مع الرئيس الإيراني السابق السيد محمد خاتمي

مع سدنة الكاظمية

مع فؤاد معصوم

مع جلال الطالباني, بغداد

مجلس الحكم ٢٠٠٣

مع كوفي عنان الأمين العام للأمم المتحدة ٢٠٠٣

كوردستان العراق ٢٠٠٣

مع المرحوم فؤاد عجمي في زيارة للنجف ٢٠٠٤

في مضيف ال فرعون مع الشهيد عماد ال فرعون

مع الشيخ همام الحمودي

مع أياد علاوي ,بغداد

مع آية الله العظمى سماحة الشيخ اسحاق الفياض

مع السيد حسين الصدر ,بغداد

مع عدنان الباجهجي وعقيلة الهاشمي ٢٠٠٣

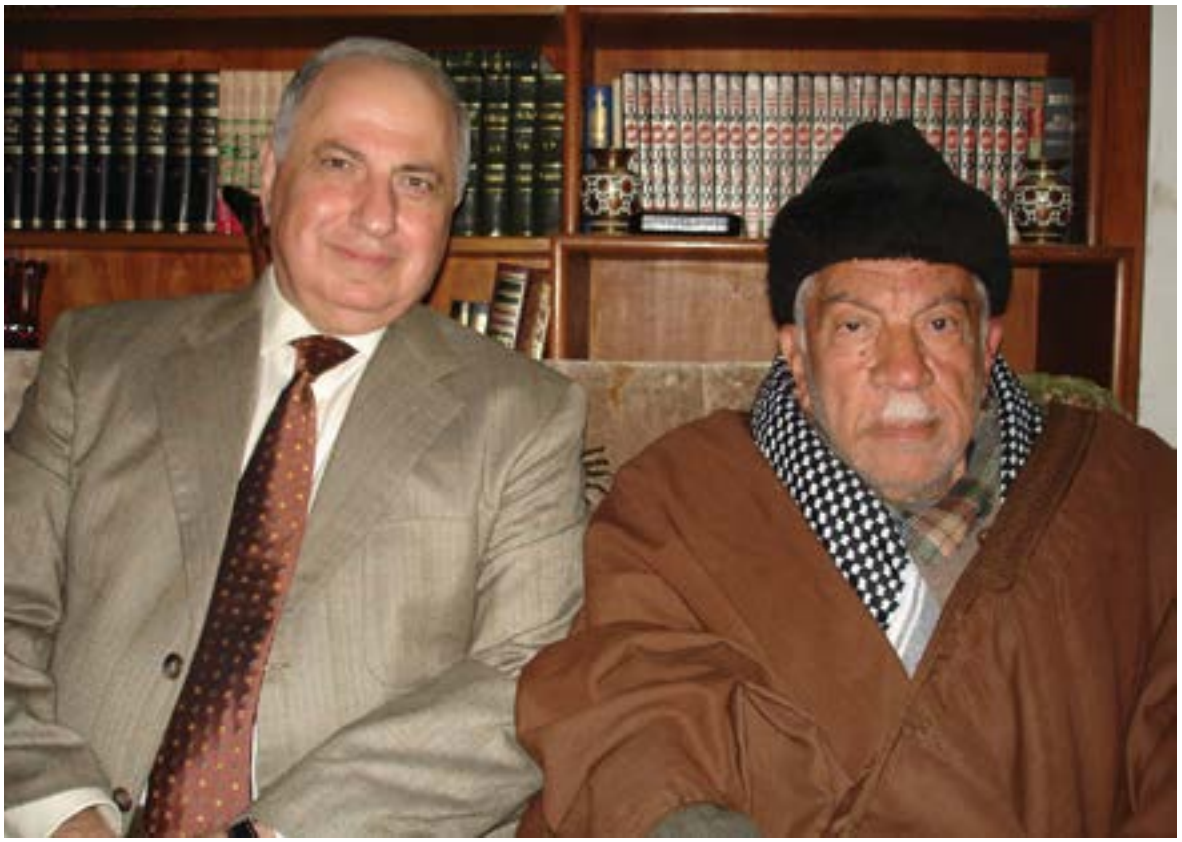

مع المؤرخ حسين محفوظ ,بغداد ٢٠٠٥

مع كلود هانكس
دوكان ٢٠٠٤

مع الشيخ جلال الحنفي
بغداد ٢٠٠٥

مع جلال الطالباني
وحسن الجلبي ٢٠١١

مع الرئيس الأمريكي جورج بوش
٢٠٠٤

وفد نسائي ,بغداد

متحف الفن الحديث
طهران ,٢٠٠٥

أثناء إفتتاح
أحد المعارض الثقافية ,بغداد

مع المرحوم سماحة السيد عبد العزيز الحكيم

مع العالم السيخ شري شري رافي شنكر ,بغداد ٢٠٠٨

مع السفير خليلزاد ,بغداد

رئيس لجنة الخدمات في زيارة الى بيجي ,٢٠٠٧

مع كولن باول ,نيويورك ٢٠٠٣

مع الشيخ الدويدي والشهيد علي اللامي ,بغداد

مع إبراهيم الجعفري ,بغداد

مع أمير الأهوار الشيخ عبد الكريم ماهود المحمداوي ,العمارة ٢٠٠٥

حاشية على أحمد الجلبي

في نوفمبر من عام ٢٠٠٥، وقف أحمد الجلبي أمام جمع في معهد أمريكان إنتربرايز بالعاصمة واشنطن ملقياً كلمة قصيرة عن الطريقة التي يقضي بها يومه. كان يرتدي سترة مفصلة وترتسم على وجهه ابتسامة محايدة. في ذلك الوقت، كان الجلبي يعد في العالم كله تقريبا شرير المغامرة الأمريكية الكارثية في العراق. كان البلد يشتعل، وآلاف من الأمريكيين موتى، والجلبي كان يعتبر الشخص الذي يتحمل أكبر قدر من المسؤولية عن تقديم المعلومات المخابراتية الملفقة التي ساهمت في شنِّ الحرب.

واقفاً أمام ذلك الجمع، تساءل الجلبي إن كان أحد الحاضرين يود أن يطرح سؤالاً، ومن المؤكد أنه تلقى سؤالا: هل يود الجلبي أن ينتهز الفرصة ليعتذر للشعب الأمريكي عن تضليله إدارة بوش بشأن أسلحة الدمار الشامل في العراق؟

ولم يتردد الجلبي في الجواب فقال «هذه أسطورة من أساطير المدينة».

وذهل الحاضرون.

لم يكن جواب الجلبي كذبة بالضبط ـ وسأتناول هذا حالاً ـ ولكنه لم يقل الحقيقة أيضاً. لقد كان الجلبي ـ الذي توفي الثلاثاء الماضي عن إحدى وسبعين سنة ـ كثيرا ما يدلي بإجابات من هذا النوع. كان شديد الفطنة والذكاء، بل كان في الغالب أذكى قليلاً مما ينبغي ـ كما كان مراوغا بصورة محبطة. وسيحتفظ به التاريخ بوصفه الرجل الذي دفع أمريكا ـ عبر معلومات زائفة ـ إلى حرب رهيبة. لكن في حين أعتقد أن الجلبي يستحق أن يتحمل قدراً لا بأس به من المسؤولية عن الكارثة التي وقعت، أقول إن كثيراً من السخط عليه هو في غير موضعه.

إلتقيت بالجلبي للمرة الأولى في بغداد، في أبريل من عام ٢٠٠٣ بعد الإطاحة بصدام حسين. وبحلول ذلك الوقت، أي بعد أسبوع واحد من الاحتلال الأمريكي، كان العراق قد هوى بالفعل إلى أتون الفوضى. على مدار السنوات الأربع التالية، وبوصفي مراسلاً للنيويورك تايمز، كنت أرى الجلبي بانتظام (وكتبت تعريفا به لمجلة تايم في ٢٠٠٦). لم أكن أعرف الجلبي في فترة ما قبل الحرب، ولكنني كنت أعرف أيضاً بحلول صيف عام ٢٠٠٣ أن الجلبي هو مصدر عدد من مقالات تايمز حول برامج صدام التسليحية المفترضة التي تبيّن أنها إما زائفة أو مليئة بالمبالغات.

كنت عادة ما أنتقل بسيارتي في آخر الليل إلى المجمع السكني المسلح الذي يقيم فيه الجلبي، عندما يبدأ تيار الضيوف وأصحاب الحاجات في الانحسار. كنا في بعض الأحيان نصعد إلى مكتبه الشخصي فيضع في الاستريو شيئاً لفيفالدي أو باخ. وكانت توجد في العادة كتب على المنضدة، فأتذكر أنني رأيت سيرة فيكرام سيث «حياتان». كان الأثاث من طراز فرانك لويد رايت الذي زار الجلبي بيته وهو طالب في جامعة شيكاغو. ولد

الجلبي لعائلة من نخبة العراق الصغيرة، وهرب من بلده بعد سقوط الملك فيصل، وبعدها درس الرياضيات في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا. حصل على درجة الدكتوراه من جامعة شيكاغو (وكان عنوان أطروحته هو "Jacobson Radical of Group Algebras Over Fields Characteristic p."). في بعض الأحيان كان عقله يتحرك في اتجاهات تصعب عليَّ متابعتها. ذات مرة استغرق هو وزميلي جيمس جلانز ـ الحاصل على درجة الدكتوراه في الفيزياء ـ في مناقشة تفصيلية للغز الفلسفي المعروف بمفارقة زينو.

كنت أرى الجلبي فذاً زئبقياً ساحراً وفي نهاية المطاف عصياً على المعرفة. رجع إلى العراق بعد الغزو الأمريكي سنة ٢٠٠٣ وارتقى حتى أصبح نائب رئيس الوزراء وبقي في العراق طويلاً بعد رجوع أغلب رفاقه في المنفى إلى حيواتهم الرغدة في لندن وواشنطن. وغالباً ما كان يبدو كمن يلعب الشطرنج ثلاثي الأبعاد: أي على مستويات كثيرة، موازناً بين خيارات كثيرة، مبدلاً بين الأصدقاء والخصوم. قال لي أحد زملاء الجلبي سنة ٢٠٠٥ إن «مشكلة أحمد هي أنه عادة ما يكون أذكى شخص في الغرفة، وأنه يتصور أن بوسعه السيطرة على ما يحدث».

ومع ذلك، على مدار السنوات الأربع التي قضيتها في العراق، ثم في الوقت التالي لها (وقد حاورته السنة الماضية في بغداد) لم أضبطه مرة يكذب عليّ، ولا مرة واحدة. ولكنه أيضاً لم يكن يتبرع بتقديم معلومات مزعجة عن نفسه، من قبيل علاقته بالنظام الحاكم في إيران الذي كان يدعم أثناء الحرب ميلشيات تقتل الجنود الأمريكيين. (في ٢٠٠٤، بعد عام على الاحتلال، أغارت عناصر أمريكية وعراقية على منزله واتهموه بتسريب معلومات أمريكية سرية إلى الإيرانيين). لقد كانت تدابيره السياسية في بعض الأحيان تستعصي على الأفهام، لكنها في العادة كانت تنطوي في جوهرها على ما يبررها. بعد خمسة وأربعين عاماً في المنفى، رجع الجلبي إلى بلد لم يكن يفهمه، لكنه أثبت أنه قادر على إتقان أي عادة، وابتلاع أي خصم، من أجل أن يحافظ على قوته.

وهذا ما يصل بنا إلى السؤال الكبير حول دوره في ما قبل غزو العراق. عندما قال الجلبي للحاضرين في معهد أمريكان إنتربرايز إن خداعه المزعوم لإدارة بوش كان «أسطورة من أساطير المدينة»، طلب منهم أيضا أن ينظروا في وثيقة حكومية تدلل على هذا. كان الجلبي يشير إلى الصفحة رقم ١٠٨ من تقرير روب سيلبرمان، وكان ذلك تحقيقاً رفيع المستوى أجري في ٢٠٠٥ حول أصول غزو العراق. إنتهى التقرير إلى أن المعلومات التي قدمها الجلبي وجماعته في المؤتمر الوطني العراقي لم تكن ذات شأن يذكر في تقديرات الحكومة الأمريكية بشأن قدرات صدام. قال التقرير إن «المصادر المرتبطة بالمؤتمر الوطني العراقي كان لها الحد الأدنى من التأثير على تقديرات ما قبل الحرب».

قال لي الجلبي بنفسه إنه وضع المنشقين العراقيين بين يدي المخابرات الأمريكية ـ وكانت لديهم حكايات بديعة يحكونها ـ لكنه لم يضمن مصداقيتهم قط. قال إن «مجتمع المخابرات كان يعتبر المؤتمر الوطني العراقي عديم النفع. فما الذي يجعل الحكومة تصدقنا؟»

كان تقرير روب سيلبرمان ـ بالنسبة للجلبي ـ بمثابة التبرئة. ولكن القصة أكثر تعقيدا من هذا. فهناك تقرير آخر مسهب أعدته لجنة المخابرات في مجلس الشيوخ سنة ٢٠٠٦، وقد انتهى هذا التقرير إلى أن المؤتمر الوطني العراقي قدَّم اثنين من المنشقين إلى المخابرات الأمريكية فكان لهما أثر مباشر على تقديرات أمريكا للقدرات العراقية. قال تقرير مجلس الشيوخ إن المؤتمر الوطني العراقي «حاول التأثير على سياسة الولايات المتحدة المتعلقة بالعراق بتقديم معلومات زائفة من خلال المنشقين تستهدف إقناع الولايات المتحدة بأن العراق يمتلك أسلحة دمار شامل ولديه صلات مع الإرهابيين».

لم ينته دور الجلبي بعلاقته مع المخابرات الأمريكية. فقد كان يتودد إلى الصحافة الأمريكية وقدّم لها معلومات جمعتها شبكة مخابراته الخاصة. وكان بعض هذه المعلومات ينطوي على مزاعم جامحة بشأن صدام، من بينها أنه تعاون في ٩/١١. وبعض هذه المعلومات وجد طريقه إلى صحف أمريكية ساهمت في الترويج لقضية الحرب.

ولعل الأهم هو أن الجلبي كان مسموع الكلمة لدى مسؤولين كبار في إدارة بوش ـ من أمثال نائب الرئيس ديك تشيني ونائب وزير الدفاع بول وولفيتز اللذين قاما بدور أساسي في اتخاذ قرار البدء بالغزو. لقد قال لي ديفيد كاي ـ كبير مفتشي الأسلحة في العراق ـ إن تأثير الجلبي داخل إدارة بوش كان حاسما، لا سيما في ما يتعلق بقرار المخابرات المركزية الأمريكية بأن صدام كان يسعى إلى امتلاك أسلحة دمار شامل. قال «في تقديري أن السبب الذي جعل جورج تينيت وكبار المسؤولين في الوكالة ينتهون إلى أن لدى العراق أسلحة دمار شامل هو أنهم كانوا يعرفون أن نائب الرئيس وولفيتز قد انتهيا إلى هذه النتيجة على أية حال».

قال «لقد كانا يحصلان على معلومات من الجلبي على مدار سنين».

وبسؤاله عن ذلك كله بعدما انحرف الغزو عن مساره لم يعتذر الجلبي بل قال لصحيفة ديلي تلغراف البريطانية إن «هذه أخطاء أبطال».

وهذه في تقديري نقطة حاسمة، يتحول عندها أغلب النقد المنصب على الجلبي إلى الزعيق والحدّة. لقد كان واضحا أن الرجل يدفع الأمريكيين إلى الحرب، وكان واضحاً أنه لا يجهد نفسه في التحقق من المعلومات التي ينقلها. ولكن الجلبي لم يكن مسؤولاً في الحكومة الأمريكية، بل كان مواطناً عراقياً، وله مصلحة معروفة في الإطاحة بصدام حسين. كان باختصار صاحب قضية واضحاً. ومسؤولية التحقق من المعلومات التي كان الجلبي يقدمها تقع على المسؤولين الأمريكيين. وبحسب الجلبي، كانت المخابرات الأمريكية هي التي سعت إليه بعد ٩/١١، طلباً لمعلومات تُبيّن أن صدام حسين يسعى إلى امتلاك أسلحة دمار شامل، وليس العكس.

ويبدو واضحاً أن الجلبي كان يقدم للمسؤولين الأمريكيين في إدارة بوش ما يريدونه، وما هم بحاجة إليه، ليبرروا الحرب. وبعد سنين حينما حاورت مسؤولين أمريكيين عن دور الجلبي في الحرب، قال لي بعضهم إنهم توصلوا إلى النتيجة نفسها. فقد قال لاري ويلكرسن مدير مكتب كولن باول وزير الخارجية الأمريكية آنذاك

«إنني أعتقد أن الجلبي ورجال المؤتمر الوطني العراقي كانوا في غاية اللؤم. أعتقد أن الجلبي فهم ما يريده الناس فأعطاهم إياه».

وتلك ـ في ما يبدو لي ـ كانت خطيئة الجلبي، أنه ساعد في تبرير قرار كان المسؤولون في إدارة بوش ميالين إلى اتخاذه على أي حال. وتلك تركة أسعدت الجلبي ـ بوصفه عراقياً، حتى وإن لم تسعد أصدقاءه الأمريكيين.

ديكستر فيلكنز
مجلة النيويوركر
٣ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

تلك البذور التي غرسها...

ضمن تراتبية أجيال العائلة، كان أحمد يحتل موقعاً ويبعث إلهاماً يصعب معهما تصنيفه. كانت منزلته متفردة في عيون الصغار والكبار على حد سواء، فهو أصغر من أن يخاطَب بـ»العم»، وأكبر من أن يعامَل كـ»ابن عم». وحين أفكر في أقدم ذكرياتي عنه، أعود إلى منتجعات بحمدون وعاليه الجبلية في لبنان. في ذلك المكان كان يلتئم شمل معظم فروع عائلتنا صيفاً هرباً من حر بيروت الخانق. أتذكر أنني التقيته وأنا في العاشرة أو الحادية عشرة. وكان هو في الحادية والعشرين. كان أحمد، شأنه شأن أخي وأولاد عمومتي الأكبر سناً، يرجع كل صيف من جامعته في الولايات المتحدة ليكون مع العائلة. ومع أنني كنت أناديه باسمه، فلم أعامله بنفس الألفة التي أتعامل بها مع أقرانه من أولاد العمومة الأكبر سناً. كان يبدو وكأنه يحمل همًّا ما، نظرة قوية في عينيه تميزه عن الآخرين. كانت نظرة آسرة، لكنها نائية في الوقت نفسه. كانت مبادرة التواصل تأتي منه دائما. ظاهريا، لم يكن يختلف كثيرا في هيئته أو تصرفاته عن أخي وأختي وأولاد عمومتي الأكبر. كان مثلهم، يتكلم بالإنجليزية أغلب الوقت. ومثلهم يجلب معه الأفكار والكتب والتسالي والأطايب من أمريكا وإنجلترا. بالنسبة لنا، أنا وأبناء عمومتي الأصغر سنا، كان قضاء الوقت مع أقاربنا القادمين من الخارج يثير حماسنا ويوسع آفاقنا. نتعرف على الدنيا ونلتهم كل ما هو جديد. ومع أنني كنت أصنف أحمد بين أبناء عمومتي الأكبر، فقد أدركت أنه ليس مجبولا من الطينة نفسها. كان لبنان في ستينيات القرن الماضي يزخر بالمباهج وأسباب اللهو المغرية إلى حد يصعب على الشاب اليافع مقاومته. كان أولاد عمومتي يعربدون في مرح، لكنه لم يشاركهم. كانوا يستمعون إلى الـ»بيتلز» والـ»رولينغ ستون» والـ»لوفين سبونفول». بينما هو يستمع إلى حمزة علاء الدين.

كذلك كان الشطرنج من الأنشطة التي نلجأ إليها لقضاء العصريات الطويلة في بيت جدنا. كنا نقيم المسابقات، الأعمام في مواجهة أولاد الأخوة. جواد يلعب بنية الخسارة، أو لنقل إنه يتوقع الخسارة. ومتعته أن يناول ورقة نضرة من فئة ٢٥ ليرة كجائزة لابن الأخ الغريم الذي يقول له «كش ملك». وطلال يلعب من أجل النصر. لا أحد يستطيع هزيمته. وحازم يلعب ليصقل مهاراته. أحمد أيضاً كان يلعب. ولكن يخسر بشكل غريب نصف المباريات أمام أبناء أخوته. لم أجد تفسيراً يبرر أن يخسر شخص يمتلك هذه القدرة على التفكير في عدة مستويات من المقدمات والنتائج أمام منافسين يصغرونه بأكثر من عشر سنوات. كانت تلك أول مرة أفطن إلى هذا الضعف الإنساني فيه. حتى هو يعاني من هذا الضعف.

في بعض الأوقات كنت أختلس النظر إلى غرفة نومه. أتذكر بعضاً من الكتب المكدسة على الطاولة المجاورة لفراشه. من بينها روايات لجورج أورويل، وفورستر، وألدوس هكسلي، وسومرست موجام، وديستوفسكي. ولا بد أن جلال بعض هذه الكتب، وربما كتب أخرى لا أتذكرها، قد زرع بذرة في عقلي الصغير. عقدت العزم على أن أبحث عنها عندما أصل إلى القدر الثقافي الذي يؤهلني لذلك. بعد سنوات بدأت أفهم التيمات التي

أثارت اهتمامه في هذه الكتب. وأنا مدين لهذه اللحظات المبكرة ببعض معارفي وأفكاري في موضوعات مثل تبعات الاستعمار، والقوة التحويلية والخطيرة للتكنولوجيا، وحتمية أن يعيش المرء حياة من التحديات، حياة ذات قصد. ذات مرة رآني أقرأ «عالم جديد شجاع» وأنا في الرابعة عشر. سألني بضعة أسئلة عن الكتاب والملاحظات التي خرجت بها. وأسعدته إجاباتي، فاستدار إلى أمي وقال «ترى هذا بدا يفتهِّم». وشعرت بالزهو. آخر كتاب نصحني بقراءته هو «الاستعمال البشري للكائنات البشرية»، لنوربرت وينر. والذي سبقه كتاب فيكرام سيث «ولد مناسب». لم يثبط عزمه كون الرواية تزيد عن ألف صفحة. أصر على أن أقرأها. قال إنني سأستمتع بها وأتعرف على شخصياتها. لم أعده وقتها أنني سأقرأها. لكن ها أنا أعده الآن. هذان الكتابان كانا الأخيرين بين سلسلة من التوصيات، التي كان يقترحها بحماسة، تعود إلى سنوات مضت. بدأت بـ»أبلوموف»، الرواية الحافلة بذلك النوع من الشخصيات الذي يطيب له.

لم يجمعنا فقط حب الكتب الخيالية وغير الخيالية الثقيلة. بل جمعنا أيضاً حب كتب «تان تان» والافتنان بها. بداية من منتصف العمر، وبعد زمن طويل من قراءته لآخر قصة لتان تان، كان يسلي نفسه بامتحاني في أسماء الشخصيات، والأماكن، والسفن. وقد استمرت اختبارات تان تان حتى النهاية. كان دائماً ما ينفجر في نوبة ضحك عاصفة كلما تذكر إحدى الشخصيات المغمورة. قصة «تان تان والأذن المكسورة» هي قصته المفضلة. أمريكا الجنوبية تفتنه. ويحب أن ينصت إلى تجربتي في العمل والسفر إلى هناك بقدر ما كنت أستمتع بأن أقصها عليه مرة بعد مرة. أعتقد أنه يتخيل درجة قرابة بالناس في أمريكا اللاتينية. لا بد وأنه لاحظ أنساقاً مألوفة من الأمل، والكفاح، والانفصام عن المكان كان يتماهى معها. كان، مثلي، يتعاطف مع المجتمعات في طور التكون، المتحررين من السخط الذي يستجلبه الموروث التاريخي الذي كان هو متصلاً به بشكل شخصي.

كنت في الخامسة عشر أو السادسة عشر عندما قضيت أطول مدة مع أحمد. حدث ذلك في صيف ١٩٧٠ أو ١٩٧١ في لندن. وتصادف أنه هناك. وكانت سينما جديدة قد فُتحت تعرض أفلاماً كلاسيكية من العقود الماضية. بخلاف أيامنا هذه، كانت تلك الأفلام صعبة المنال في ذلك الوقت. صحبني أنا وجعفر لمشاهدة عدد منها، من بينها أفلام Metropolis، وM، وThe Maltese Falcon، وDr.Strangelove («لا يمكنكم العراك هنا، فهذه غرفة عمليات حربية»)، إضافة إلى فيلمه المفضل على الإطلاق، «كازابلانكا». من ذلك الفيلم الأخير كان قادراً على إلقاء مقولات عديدة بمجرد أن تعطيه المفتاح، ما يدل على قوة ذاكرته. كان ذلك قبل الزمن الذي صارت فيه هذه المقولات تافهة من فرط تكرارها. ظل سيدني جرينستريت، وبيتر لوري، وكلود رينز، رفقاء في مخيلته على مدار سنوات. وقد قادتني مشاهدة هذه الجواهر المبكرة، في نهاية المطاف، إلى أعمال ساتياجيت راي، وأنطونيوني. هذان الأستاذان في رأيي ليس لهما مثيل، في تعبيرهما عن صدق العلاقات الإنسانية. كذلك اصطحبنا أحمد، حتى لا أقول جرجرنا، لمشاهدة ملحمة فاغنر «حلقة نيبلونج»، في دار الأوبرا الملكية. كان لدى أحمد اهتمام واضح وكبير بإطلاع أبناء أخوته على وسائل التعبير الثقافية. في تلك الحالة تحديداً، أشك أنه

كان قادراً على إقناع أي شخص آخر بمشاركته الجلوس على مدار ساعات، بل وأيام، من العروض المتواصلة.

لكن اهتمامه بالبشر تجاوز كثيراً اهتمامه بالشخصيات الخيالية. كان يقدِّر مفارقات الناس من حوله وغرابة أطوارهم. يجد متعة في استثارتهم لكي يتكلموا. وكان أكثر من نكن له أعمق حب معاً هو و أبي. كان يحب أن يحكي قصصاً عن أفعال أبي وهواجسه، أشياء رآها بعينيه. بعضها كان مضحكاً، والآخر جادا، والبعض كان يقشعر له البدن. ذات مرة أشار إلى رشدي بوصفه رجلاً من «القرن الثامن عشر». استغرقت بعض الوقت لأفهم الربط مع هذا القرن تحديدا. هكذا كانت الحال مع أحمد دائماً. مرة أخرى يطلق فكرة أو يقول ملاحظة تزرع بذرة تساؤل في عقلي. تساءلت عن السمات المتعلقة بأبي في عقله. أكانت مبادئ فلسفة التنوير؟ كان أبي رجلاً مقتصداً في كلامه. مع ذلك، فقد كان يفصح أمامي بما يكفي لأدرك أنه كان ملكياً ذا عقلية إصلاحية، غير مقتنع بالنماذج الجمهورية للحكومة، مؤمنا بالليبرالية الاقتصادية وتقنين دور الدين في المجتمع. كانت معتقداته تنسجم مع معتقدات فولتير في هذا الصدد. لكنني لا أظن أن تلك هي الإحالة التي قصدها أحمد. ظلت الملاحظة معي لفترة. والآن، حين أنظر إلى الوراء، أظن أن أحمد كان يفكر في جين أوستن حين تحدث عن القرن الثامن عشر. في نهاية المطاف فهمت شيئا عن والدي لم يسبق وأن فكرت فيه من قبل. كان والدي يقدِّر الحياة المستقلة لـ«جنتلمان» الملّاك أكثر من أية حياة أخرى، أو بالأحرى العائلة صاحبة الأطيان، التي تعيش من خراج أراضيها، وتوفر الحياة لمئات العائلات الأخرى التي تعيش على الأرض نفسها، مثلما كان يفعل والده. أعرف الآن لماذا حرص أحمد على تذكيرنا بأن اقتصاد العراق ظل يقوم بالأساس على الزراعة حتى ستينيات القرن الماضي. ربما رغب أحمد في الشيء نفسه لنفسه وعائلته. كانت الغاية التي وضعها نصب عينيه في كل ما بذله في حياته من جهد هي تحرير بلده. عمل جاهداً من أجل حرية ووحدة شعبه. ويالها من آلام دفينة تلك التي لا بد وأنه تحملها في سنواته الأخيرة وهو يرى أبناء بلده يفشلون في الحفاظ على تماسكه. ولربما كانت الحياة المتخيلة لـ«جنتلمان» القرن الثامن عشر الملّاك تمثل نوعاً من التعويض بالنسبة له.

كان أحمد مغرماً بالمقالب. في عشرينياته، كان أحد أهدافه زوجة أخت له كانت تواظب على حمية غذائية دائمة أملاً في التخلص من الأرطال الزائدة غير المرغوب فيها. كانت ضعيفة أمام الشوكولاته الإنجليزية. وهكذا، كلما عاد من لندن يحضر معه قالب «كادبوري» كبيرا، يقدمه لها بوصفه «هدية»، مستثيراً غضبها وفرحتها في آن.

تعامل أحمد مع التكنولوجيا مبكراً. أتذكره يشتري كتبا من أمازون عام ١٩٩٥، قبل أن تصبح شركة التسويق الألكتروني إحدى كبريات الشركات في العالم بسنوات. وفي ١٩٩٨، شرح لي كيفية استخدام خدمة إنترنت تسمى «كوكل». وشرح لي الفارق الذي كان غامضاً وقتها بين مصطلحي «التصفح» و«محرك البحث». وقد مرت سنوات بعد ذلك قبل أن أبدأ في استيعاب هذه المفردات الجديدة. وقبل ذلك بعقد كامل كان أحد رواد تكنولوجيا سداد الأموال المتاحة للاستخدام أمام أي بنك في العالم. وشعرتُ بالفخر بها عندما اختارته مؤسسة

«فيـزا» العالميـة عضـواً في مجلـس إدارتهـا. لقـد اعترفـت هيئـة عالميـة بإسـهاماته في دمقرطـة عضويتهـا.

إلتقـى أطفـالي بأحمـد للمـرة الأولى في عـام ١٩٩٧. كان قـد جـاء إلى نيويـورك لـكي يقابـل بعـض أصحابـه وأقـام لبعـض الوقـت في فنـدق في جـادة لكسـنجتون. ذهبـت مـع زوجتـي لزيارتـه في جناحـه. واصطحبنـا معنـا ابنتنـا ليـلى وهـي في الخامسـة مـن عمرهـا تقريبـاً. فـور دخولنـا الغرفـة، أمسـك بيـد ليـلى ليريهـا شـيئاً عـلى الكمبيوتـر. قادهـا بحركـة بهـا قـدر طبيعـي مـن النفـوذ، وكأنهـا ابنتـه هـو. أجلسـها عـلى حجـره وأحاطهـا بذراعيـه، فاستسـلمت تمامـاً لحمايتـه. بعدهـا بأربعـة عـشر عامـا لاحظـت تلـك الحركـة ثانيـة، وهـو يمسـك بيـد ابنتـه ويقودهـا عـبر صالـون الاسـتقبال إلى حفـل زفافهـا. كان أحمـد يحـب ابنـي باسـل أيضـاً. لم يكـن يمـل أبـداً مـن السـؤال حـول آخـر شـقاوات باسـل.

كان أحمـد عـماً لي. وفي بعـض الأحيـان أخـاً، أبـاً، وصديقـاً. في أحيـان أخـرى كان معلـماً مرشـداً وبطـلاً. كان أحـد الذيـن شـاركوا في صنـع الأحـداث العالميـة. كان رجـلاً يرفـض الاعـتراف بالمسـتحيل. وفي أحـد ايميلاتـه الإلكترونيـة الأخـيرة حـول موضـوع أو آخـر، إختتـم الرسـالة بالسـؤال عـما إذا كان هنـاك أي شيء يمكـن أن يفعلـه مـن أجـلي. أجبتـه بـأدب «لا. لا شيء. أشـكرك». وفـور أن ضغطـت عـلى زر الإرسـال، ندمـت. تمنيـت بـدلاً مـن ذلـك لـو كتبـت «نعـم، أريـد شـيئاً. إعـتنِ بنفسـك». خزنـت الإجابـة في عقـلي مـن أجـل فرصـة أخـرى. لكـن تلـك الفرصـة لم تـأتِ أبـداً.

محمد رشدي الجلبي
٢٨ آب ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

في رثاء أحمد الجلبي

توفي أحمد الجلبي بسكتة قلبية صباح اليوم في بيته في بغداد. كتب عن الجلبي الكثير، فقليل منه إيجابي وأكثره يصور الرجل شريراً كرتونياً. ولقد كان الجلبي عبقرياً ومتغطرسا معا، ولكنه لم يكن شريراً بقدر ما كان كبش فداء.

وقبل كل شيء، وفي المقام الأكبر، كان عراقياً وطنياً.

إلتقيت الجلبي للمرة الأولى في صيف ٢٠٠١ بعد عودتي من التدريس لسنة دراسية في كردستان العراق. وعلى الفور أثار الجلبي استيائي: كان صلفاً متغطرساً، ولكنه في الوقت نفسه مستفز عبقري. لم يكن لديه صبر على الأدب الدبلوماسي. فكان إذا رأى في فكرة غباء، يقول ما يراه. وكان جلدياً سميكاً، ولكن كثيراً من المسؤولين الأمريكيين ليسوا كذلك، فأثار الرجل عداوات لا داعي لها. وفي النهاية، ما الذي يجعلنا نحتمل إهانات الجلبي، بينما لدينا قريبه ومنافسه إياد علاوي يوزع الأقراط الذهبية ويقيم حفلات العشاء السخية مثلما كان يفعل مع بعض الدبلوماسيين؟ كان الجلبي يستطيب النقاش، ويمنحه قدر ما يستطيع، وكان صاحب معرفة موسوعية بالعراق. بل إنني قد أقول غير هازل إنه كان قادراً أن يجعل [المؤرخ الفلسطيني] الراحل حنّا بطاطو يبدو مبتدئا في ما يتعلق بشؤون العراق. والحق أن كثيرا من صفاقته كان يوعز إلى ضيق واضح بالمسؤولين، كبارهم وصغارهم، ممن كانوا يفدون على العراق بغير معرفة به. كنت أمر على الجلبي مرة أو اثنتين في السنة إذا مررت ببغداد، وإن كنت أعترف أن سنتين قد مضتا أو ثلاثاً منذ رأيته وذلك لأن وجود ابنتين في حياة المرء يعني أن تصبح الرحلات إلى المنطقة أقصر. ومع ذلك كان أي لقاء بالجلبي غالباً ما يعني قراءات جديدة لمئات الصفحات من أجل فهم بعض الإشارات التي تتوزع في حديثه.

قبل فترة قصيرة من بدء عملية تحرير العراق، إنضممت إلى البنتاجون بوصفي زميل مجلس العلاقات الخارجية للشؤون الدولية، وبعد أن بدأت الحرب تطوعت للعمل في بغداد. كانت وظيفتي تستوجب مني العمل عن قرب مع الجلبي، لكنني لم أره غير مرتين أو ثلاثاً خلال الشهور التي قضيتها هناك. كان محبطاً بشدة مما يراه في بغداد. وكان المسؤولون الأمريكيون يزدادون ضيقاً منه لعدم قوله لهم ما كانوا يريدون أن يسمعوه. والحق أن من أوائل التعليقات التي كان يكرّرها الجلبي قوله إن أي احتلال طويل كفيل بتحويل شهر العسل إلى كابوس. ثم حدث أن بدأت كوندليزا رايس مستشارة الأمن الوطني آنذاك ـ ومعها نائبها ستيفن هادلي ورايـن كروكر كبير المختصين بالشؤون العراقية آنذاك في الخارجية الأمريكية ـ في المناصرة العنيفة ـ والخاطئة ـ لفكرة أن الولايات المتحدة قد تعظّم مكاسبها إن هي أخَّرت تشكيل الحكومة شهوراً عديدة لحساب الاحتلال الموقت. وانتصر رأيهم على حساب الانتصار في الحرب. فالأغلبية الساحقة من الدماء واستنزاف الخزانة وقعت أثناء التجربة الفاشلة في بناء الدولة لا في عملية الإطاحة بصدام. والحق أنه باستثناء

مثير الفتن الشيعي مقتدى الصدر، لم يظهر من السياسيين لقيادة العراق إلا الذين كانوا من قبل الحرب يعملون مع الولايات المتحدة.

ارتكب الجلبي الكثير من الأخطاء. وأساء الكثير من المقربين منه استغلال ثقته وتورطوا في سلوكيات انعكست عليه بالسلب، حتى إذا كان غيره من السياسيين ومساعديه قد ارتكبوا ما هو أنكى وأضل. ولقد تكبّد الجلبي في نهاية المطاف ثمناً كبيراً بسبب ولاءاته الشخصية. هل كان الجلبي يناصر الإطاحة بحزب البعث؟ نعم، ولم يكلّ من ذلك، ولم يعتذر عنه. وخلافاً للزعيم الكردي مسعود برزاني وجلال طالباني الذي انضم إليه في معارضة صدام، لم يحاول الجلبي أن يجمع بين المعارضة والعمل التجاري مع الزعامة في العراق. وخلافاً لعلاوي، لم يعمل قط مع حزب البعث.

لكن هل كان الجلبي مسؤولاً عن المعلومات الزائفة التي ساعدت في تكوين الرأي السياسي العام المحابي للحرب؟ ربما كان مسؤولاً عن بعضها، لكن ليس عن القدر الكبير الذي يعتقد كثير من الأمريكيين أنه مسؤول عنه، وبالقطع لا توازي مسؤوليته مسؤولية الاتحاد الكردستاني الوطني التابع لطالباني الذي كان مصدر كثير من المعلومات المنسوبة إلى الجلبي (وكان الاتحاد الكردستاني الوطني جزءاً من المؤتمر الوطني العراقي). ولكن السبب الذي يحمل المنتقدين على التحامل على الجلبي هو أنه كان أشهر ساسة المعارضة العراقية. وكان من القلة التي يدينها صدام حسين صراحة، فحينما كان العراقيون يفرون من عراق صدام ونظامه الوحشي الذي كان يقيمه بالرعب هو وولداه، كانوا غالباً ما يسعون إلى الجلبي أو ممثليه. وكان الجلبي بدوره يوجّه كل العراقيين ذوي الشأن أو الزاعمين أنهم ذوو شأن إما إلى المخابرات المركزية الأمريكية أو وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع. وكانت تلك الجهتان هما المخولتين بالتحقق من المنشقين لتحديد ما إذا كانوا مخادعين أو لتقييم معلوماتهم. فإن قبلت الجهتان روايات المنشقين، وهو ما كان يحدث في بعض الأوقات ـ فالخطأ في هذه الحالة هو خطأ المحللين، وليس خطأ الشخص الذي وجَّه أولئك المنشقين كما ينبغي إلى من يتحقق من أمرهم. ها هنا تكمن مشكلة معلومات الولايات المتحدة عن العراق: أن كثيراً من المنشقين كانوا يصدقون ما قالوه للمخابرات المركزية الأمريكية ووكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع ومن ثم لم يكتشف أنهم مخادعون. المشكلة أن صدام حسين أوهم بعض كبار مساعديه فصدقوا أو حملوا مساعديهم على تصديق مزاعم صدام بامتلاك أسلحة دمار شامل. ولذلك كانت معلومات البرقيات غالباً ما تؤيد روايات المنشقين. وهذه مشكلة لا يزال على أجهزة مخابرات تتجاوز ميزانياتها بلايين الدولارات أن تحلها. ولكن الأسهل من ذلك كان التضحية بالجلبي الذي كان لوقت طويل يستعدي المخابرات المركزية الأمريكية بقوله إن بعض خططها لن تنجح (ولم تنجح فعلاً).

ببساطة، تفاقمت الأساطير. والذين كانوا يعارضون العمل العسكري للإطاحة بصدام انتهزوا فرصة المؤامرة، وتنامى النيل من الجلبي. وتأملوا هذا التصويب الذي نشرته نيويورك تايمز في ٢٠٠٤ في ما يتعلق باسم المنشق الشفري كيرفربول:

«مقالتنا يوم الاثنين عن تقرير لجنة المخابرات بمجلس الشيوخ بشأن معلومات ما قبل الحرب وعلاقة العراق المغلوطة بالمنشق المعروف (كيرفربول) والمؤتمر الوطني العراقي. لا وجود لمعلومات بأن كيرفبول الذي عمل مع المخابرات الألمانية ـ قد رُشِّح لأداء تلك الخدمة من قبل المؤتمر الوطني العراقي بقيادة أحمد الجلبي. (مقالات ٢ يونيو و٤ يونيو وصفت أيضاً هذه الرابطة، ونسبت المعلومات إلى مسؤولين في المخابرات الأمريكية أدلوا بتعليقاتهم مشترطين عدم الإفصاح عن هوياتهم. يقول هؤلاء المسؤولون الآن إنه لم تكن هناك معلومات عن هذه العلاقة). ولقد أنكر المؤتمر الوطني العراقي أي علاقة من أي نوع مع كيرفربول ولم يصف تقرير لجنة المخابرات بمجلس الشيوخ الصادر في ٩ يوليو هذه العلاقة.»

لقد تلاعبت المخابرات المركزية الأمريكية عملياً، بنيويورك تايمز، ومارست على صحفيين أمريكيين عملية تأثير غير شرعية. وفي رأيي أن تلك فضيحة كان ينبغي أن تثير غضباً عارماً، لا أن يكون مصيرها التجاهل وكأن شيئا لم يكن. والحق أن كثيرا للغاية من النقد المنصب على الجلبي كان نتيجة لصحفيين أكدوا شائعات صحفيين آخرين دونما مبالاة على الإطلاق بالتثبت منها عبر تعقب المصادر الثانوية إلى المصدر الرئيسي.

وببلادة أيضا قبلت الصحافة روايات زائفة أخرى بدون أن تتحقق مطلقاً من المعلومات. وانظروا إلى نعي واشنطن بوست اليوم الذي كتبته لافداي موريس. لقد كتبت تقول «بعد سنين في المنفى في الولايات المتحدة وبريطانيا، رجع الجلبي إلى العراق بعد سقوط صدام، ليصبح وزيراً موقتاً للنفط». وهذا زيف. فقد كان للجلبي بيت في بيروت وآخر في لندن، لكنه كان يعيش بالدرجة الأساسية في كردستان العراقية بعد أن حررت انتفاضة ١٩٩١ المنطقة من صدام حسين. وحينما اندلعت الحرب، كان موجوداً في العراق منذ ١٢ عاماً وكان ضمن قلة من السياسيين الذين عاشوا خارج المنطقة الخضراء غداة الحرب.

هل كان الجلبي فاسداً؟ إنه لم يختلس ملايين مثلما فعل الرئيس الإقليمي الكردستاني مسعود برزاني وهيرو خان زوجة جلال طلباني حسبما يقال. لقد كان رجل أعمال، وربما كانت تختلط عليه في بعض الأحيان الخطوط فيتداخل الموقف السياسي والفرصة التجارية. وهو في هذا لم يكن يختلف في شيء عن سفير أمريكي مثل زلماي خليل زادة أو السفير السابق بيتر جولبريث اللذين حققا ثروات ـ بصورة شرعية وإن أثارت الدهشة حول القضاء ـ من جراء الفترة التي قضياها في العراق، حيث كان جولبريث مبعوثاً لمجلس الشيوخ. عندما أصدر بول بريمر رئيس سلطة الاحتلال الموقتة أوامره بالإغارة على بيت الجلبي، لم يعثر هناك إلا على ثلاثة دولارات كانت عبارة عن عينات بنكية، وليس على الثروات الطائلة التي كانت المخابرات الأمريكية تعتقد خطأ أن الجلبي يمتلكها. كما لم يبد بيت الجلبي شديد الفخامة. فأغلب ما فيه كان ملكا لعائلته منذ أجيال. فمن أين إذن تنبع اتهامات الفساد؟ قد يعيد المؤرخون يوماً ما النظر في ما يكمن في قلب فضيحة بنك البتراء في الأردن. لقد فرض صدام حسين ضغوطاً هائلة على الملك حسين عاهل الأردن ليخرس الجلبي، وكان بنك البتراء وسيلة نافعة لتحقيق ذلك. لقد نسي الكثيرون أن ملك الأردن كان يعمل عن قرب مع صدام في ثمانينيات القرن الماضي وتسعينياته. ثم إنه ما من شك في أن ما تحتفظ به الأذهان أهم مما يقطع به

الواقع، ولافتة الفساد التي تضرب جذورها في دعاية صدام حسين باتت السائدة اليوم في أذهان العراقيين.

وفي مثل هشاشة هذا الزعم، زعم آخر حول كون الجلبي مزروعاً من قبل إيران وأنه ظل حتى قرابة نهاية مسيرته يتبنى سياسات أكثر طائفية. لا تتصوروا خطأ أن الجلبي لم يأثم بتحوله إلى إيران، ولكنه شأن كثير من الساسة العراقيين فعل ذلك بعدما رفضته الولايات المتحدة. غريب حقاً أن ساسة أمريكيين مثل وزير الخارجية جون كيري قد يكونون مناصرين لشيء ثم ينقلبون عليه، لكنهم لا يفهمون أن يكون نظراؤهم في البلاد الأخرى في مثل انتهازيتهم. ثم إن الجلبي كان في موقع يسمح له أن يكون الأكثر دراية: فالتشكك الكامن في انتهاء اعتناقه لعراق أكثر علمانية أدى بالكثيرين عن حق إلى التساؤل عما لو أن السلطة دائماً ما تغير المبادئ. ثم إن الجلبي قد يذهب إلى أن التحول إلى شهيد لليبرالية العلمانية على طريقة «مثال الألوسي» أمر لا نفع فيه للعراق. وهذه بالطبع قراءة تهكمية، لأن استعداد رجال السياسة للتحول مع الريح بدلاً من الوقوف مع المبادئ يمنع دائماً تكون الكتلة الحرجة. ربما لم تكن للألوسي سلطة، لكنه قادر أن يمتلك وعياً واضحاً بتلك القضية.

كثير من الخبراء الأمريكيين مرتبكون إزاء جذور الشعبية في العراق. فغالباً ما يعكس التصويت في الانتخابات المناصرة أكثر مما يعكس القبول الأيديولوجي الحقيقي. ولأن الولايات المتحدة دأبت على السعي إلى قمع الجلبي، فإنه لم يستطع أن ينال من الدعم الشعبي مثل ما نال برزاني وطلباني والمالكي وحكيم. ومع ذلك لم يستسلم الجلبي قط وظل يقاتل من وراء الستار دافعاً العراق إلى الاتجاه الصحيح. وفي حين أنني بالغت في تقدير شعبيته في مقالة سابقة قبل انتخابات ٢٠٠٥، فإن ما عدا ذلك يبقى صحيحاً: لقد كان بالفعل أحد قلة من المسؤولين العراقيين ـ وكان جلال طلباني وجهه الآخر إلى أن أضعفه المرض ـ القادرين على الحديث إلى الجميع بلا استثناء تقريباً ومن جميع الفصائل بغض النظر عن الطائفة أو العرق، والقادرين على الحديث مع الأمريكيين والإيرانيين على السواء. لقد كانت تلك القدرة على بناء التحالفات هي التي أعادت العراق من حافة الهاوية مرات ومرات. وفي هذا الصدد تحديداً ربما نستشعر وفاة الجلبي أكثر مما في سواها.

يا أحمد الجلبي أرقد في سلام.

مايكل روبن
مجلة كومنتاري
٣ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

وداعاً يا صديقي

نفتقدك أستاذاً في الإنسانية

نفتقدك علَماً بالفنّ والذوق

نفتقدك عالماً بالموسيقى

نفتقدك رائداً في السياسة

وحُجةً في التحليل

وسيداً في الموقف

نفتقدك فقيهاُ في الشرع

وبارعاً في الاستراتيجيا

وقائداً في النضال

وفارساً في التحدي والمنافسة والمبارزات الشريفة

نفتقدك بليغاً في الرياضيات والعلوم وجميع أنواع المعارف.

لم أعهدك مرّة إلاّ ذلك الفارس المناضل الحرّ الذي ما كفّ عن السعي لفكّ أسر العراق.

وقفتَ، وما كان في مواقفك أدنى شك.

أغدقوا عليك التهم، ولم تبالِ

تابعت المسيرة

لم تعرف الكلل ولا الملل،

تقتدي بك البطولة والشهامة،

خطوك المجد

قال غيرك، أما أنتَ ففعلت، يوم تخلّى العالم عن العراق،

وسكتت الأفواه وسقطت الأيدي، تحرّكتَ وحدك ذات يوم، تنقضّ على الظلم في العراق،

الجهاد والمقاومة، دائماً وأبداً، جعلتَ من الضعف قوّة، هكذا كانت حياتك،

أتعبتَ من سيجيء بعدك!

غير أنهم تآمروا عليك، لأنك أخفتهم، أرعبتهم، أسكنتهم في دهاليز حقدهم وحسدهم.

تآمر عليك الأقربون والأبعدون لكنهم قهروا جميعاً عن بلوغ أدنى مراميك،

ما كنتَ إلاّ الأوّل شهامةً وعزّاً وموقفاً ونُبلاً وعطاءًا.

لقد ملأتَ الحياة بحضورك الباذخ البديع،

لأنك عرفت حركة الشعوب والتاريخ.

أيها العَلَمُ الواسع والكفُّ النظيفة، والسيف المسلّط على الظلم.

كم أخفتَ أعداء العراق.

يصعبُ عليّ يا صديقي، ونسيبي وسليل الشرف، أن يكبو بك الجواد والتاريخ ما زال يُكتب.

يا معجم التاريخ في أرض العراق والمنطقة

يا رفيع القدر والقيمة.

لقد آن لك أن تستريح،

وآن لنا أن نمسحَ بدموع الفخر والفقد كلّ إنجازاتك الباهرة.

رحمك الله يا أبا هاشم

رحمك الله يا أحمد العراق في زمنٍ قلّ فيه السادة والحامدون.

علي عادل عسيران
جريدة النهار
١٣ نوفمبر ٢٠١٥

الاوادم تسوي الفلوس، بس الفلوس ما تسوي اوادم

من الكاظمية الى عمّان

تاريخ الصلة العائلية بالراحل أحمد الجلبي يعود الى فترة طويلة وقبل أن أرى النور، فلقد كان لجدي الحاج علوان حمادي (الدليمي المقيم في الكاظمية) علاقة مع والده المغفور له عبد الهادي الچلبي، وقد أطرى على هذه الآصرة شقيقه المرحوم رشدي الچلبي أثناء زيارتي له عام ١٩٨٤.

لكن الآصرة من زاويتي الشخصية ولدت بعد أن انتقلت الى الاردن للدراسة عام ١٩٨٠ وتسلمت ادارة فرع اقليمي هناك لشركة اسستها عائلتي (نقليات الاقتصاد عبر الصحراء) التي اعتبرت رائدة في عالم النقل لربطها عواصم المنطقة يومذاك بشبكة حافلات عملاقة ومبردة صالحة لقطع الصحراء.

وقد حظيت في عمان برعاية وعناية أصدقاء أسرتي وشركائها بالعمل وعلى رأسهم المرحوم رجب احمد الخشمان (ابو النمر)، حيث كان بمثابة الوالد الثاني لي، وتطرق الراحل الچلبي عن شخصيته في لقاء جمعنا قبل ٤٨ ساعة من مغادرته لهذه الحياة .

عراقيو الاردن

كان أمراً طبيعياً ان نرى الجلبي في عمان خلال المناسبات خصوصاً داخل الجالية العراقية هناك والتي كانت تتكون من بيوتات محدودة آنذاك أمثال عائلة احمد دگلة، الشيخ طالب السهيل، الدكتور حكمت الكاظمي (وزوج الدكتورة لامعة الطالباني)، والدكتور عبد الحسين العطية، والدكتور عباس الصراف، والدكتور حمدي التكمچي واخرين.

وفي عام ١٩٨٢ إلتقيت الراحل الجلبي صدفة في مكتبة شعشاعة في منطقة جبل عمان، فألقيت عليه التحية وعرفت بنفسي، وبذاكرته الحاضرة دائماً كما يعرف الجميع، عرفني بسرعة وأسمعني بضعة كلمات من عباراته القصيرة المشهورة.

في دار الخشمان

بعد ذلك بأسابيع حصل لقاء آخر في مأدبة (منسف أردني) أقامها الراحل رجب الخشمان في دار ولده نائل في حي الجندول، وكانت دعوة كبرى على شرف الجلبي حضرها العديد من الشخصيات الاردنية مثل المغفور له معالي رياض المفلح، ومعالي عبد الرحمن خليفة، ودولة زيد الرفاعي، صلاح ابو زيد، ومجموعة كبيرة من الوجهاء.

دخل الجلبي واستقر في مكان مخصص له من قبل المضيف، وسرعان ما لمحني ونادى علي بالاسم وبطريقته المعهودة ودعاني لأجلس الى جانبه! ثم حصلت مناسبة أخرى لأكون أكثر قرباً اليه في إطار تعاملي مع بنك البتراء الذي اسسه الجلبي هناك، فقد تطور عملي الخاص اضافة الى إدارة عمل العائلة وبات ذلك يتطلب أن

ينقل حسابي من فرع البنك في المدينة الطبية الى الفرع الرئيسي في وادي صقرة، في المبنى الذي شيده الراحل ليكون معلماً عمرانياً.

كان الجلبي اثناء لقاءاتنا قرب اجواء العمل، يبعث في نفسي كما مع الآخرين، الطاقة للانتاج والتطلع الى المستقبل، بالرغم من اجواء الحرب الدائرة في العراق، وكان يشجعنا بمجرد نظرة احيانا، او كلمة او بالعبارة السحرية التي لا تفارقه : «الاوادم تسوي الفلوس، بس الفلوس متسوي اوادم ..».

علي كمال والملا مصطفى البارزاني

بعد خطبتي لأم الأولاد بفترة قصيرة، فاجأني الدكتور أحمد على هامش أحد لقاءاتنا وهو يردد: تهانينا ثائر! على ماذا دكتور؟ قال: سمعت أنك تقدم لخطبة الانسة رُلى صباح حفيدة الجنرال العراقي علي كمال، وراح يكشف لي بانه هو ولي امرها في عمان وهو من أدخلها إلى الجامعة، وأن جدها علي كمال عبد الرحمن ابن السليمانية، والضابط الكردي في تنظيم الضباط الشريفيين مع نوري السعيد، شخصية قريبة الى نفسه، ثم روى لي وقائع تاريخية مهمة وكيف انه رافق علي كمال في اول عمل سياسي بالنسبة للجلبي عندما كان بعمر ٢٤ عاما.

قال الجلبي: يومها قرر شقيقي الاكبر رشدي الچلبي والدكتور حسن الچلبي وشخصيات سياسية عراقية اخرى ان نذهب الى كوردستان ليجمعنا علي كمال، مع الراحل المُلا مصطفى البرازاني عام ١٩٦٩ بغية التعاون من اجل التخطيط لتقويض سلطة البعث في بغداد.

صورته في عمان

ظلت شخصية الراحل تأسر من حوله وهو النجم ذائع الصيت في العاصمة الاردنية، وبحكم عملي في مجال الصناعة (النسيج) والنقل، كنت أختلط مع شريحة كبيرة من الناس و اسمع من هذا و ذاك و من علية القوم ايضا ، وكنت اجد دائما اسماً يلهج به الجميع هو أحمد الچلبي، تارة تسمعه بين العوائل المتنفذة وأخرى بين من اتخذ من الاردن ملجأ سياسياً، وحتى في اروقة السفارة العراقية التي تجد فيه اسماً عراقياً تفتخر به ولكن تخاف من بطش النظام لعدم فهم مواقفه تجاه صدام حسين، فتحاول جمع اكبر كم من المعلومات حوله.

ولم يقتصر الأمر على نبلاء القوم، فقد كان الجلبي القريب ممن تقطعت بهم السبل خصوصاً الذين تجنى عليهم نظام الصنم ببدعة التبعية الايرانية وصودرت أملاكهم وتركوا على الحدود العراقية او شردوا في عواصم العالم بلا هوية او عنوان، او من فروا من بطش النظام، حيث ظل يسهل لهم توفير ملاذات آمنة وفرص عمل او تقديم المساعدات المالية لمن يمر بمحنة.

كان الجلبي الصديق القريب لسمو الأمير الحسن بن طلال، وهو القريب من المفكر المتخصص في تاريخ الحضارة الاسلامية الدكتور محمد عدنان البخيت، وكان راعياً نادراً للفن.

وخلال الآصرة التي استمرت حتى آخر يوم من حياته، كنت اجد فيه مصدرا للطاقة الانسانية والارادة الحرة بالرغم من التحديات الصعبة التي رافقت مسيرته، والهجمات الشرسة التي كنت اعايشها، او المضايقات التي تحملها، وتحملتها معه خاصة في بعض العواصم العربية، نتيجة قربي منه، ولكن لمعرفتي بما يتمتع به من نقاء سريرة وصدق في التعامل، كنت أجد نفسي و بدون أخذ الحيطة والحذر، أنخرط في الدفاع عن مواقفه وكشف المستور من الخفايا والتي كانت تتسرب أحياناً (خصوصاً و أن الساحة ملغومة بالمخابرات العراقية و المتعاونين معها من ضعاف النفوس) .

مقتل عدنان خير الله

كمعارض لنظام الدكتاتور العراقي المخلوع، وكما يتذكر كل من له علاقة قريبة به، كان الجلبي يتابع ويحيط بتفاصيل الحرب العراقية الايرانية وما يدور في الدهاليز سواء في المنطقة او عواصم القرار، وكان يكرر القول بأن الحرب مغامرة كبيرة ستقصم ظهر العراق، وسببها مهاترة يخوضها شخص نرجسي من أجل الفوز بلقب «بطل الامة العربية»، وكان يتابع ويحلل كل ما يدور، وبأسلوب قل نظيره، ولا أنسى يوم أعطاني نسخة مصورة لمقالة أمريكية نشرت في نيسان ١٩٨٩ تفترض بان انتهاء الحرب العراقية الايرانية «سيدعو صدام للتخلص ممن يشكلون خطرا عليه وقد يفكرون بالاستيلاء على السلطة، وخصوصاً وزير الدفاع وشقيق زوجة صدام، عدنان خيرالله طلفاح». وبعد حوالى أسبوع على ذلك سمعنا بخبر سقوط الطائرة بالفريق الركن طلفاح. وجعلني ذلك أفكر بجدية في خطوات صدام اللاحقة لتصفية وإضعاف خصومه.

معلومات من الكويت

أما المفارقة الأخرى التي لا تنسى لغرابتها، فقد حدثت قبل ذلك بقليل نهاية سنة ١٩٨٨ خلال زيارتي الكويت حيث التقيت صدفة البروفسور سهام المدفعي و زوجته (تربطنا علاقة عائلية قديمة بهم) و الذي كان يعمل في منظمة الأسكوا في بغداد. وأثناء تناولنا الفطور في فندق الشيراتون بادرني بالسؤال عن الاردن ثم استفسر عن شخص أردني من أصل فلسطيني اسمه محمد سعيد النابلسي. اجبت بأنني أعرف بيت النابلسي لكنني لم أسمع بهذا الشخص! فمن يكون يا ترى؟ قال إن النابلسي رئيس منظمة الأسكوا وتربطه علاقات مميزة مع كبار البعثيين والمخابرات العراقية و منهم فاروق حجازي! مع أن طبيعة عمل الأسكوا بعيدة كل البعد عن السياسة، فهي مؤسسة مهمتها علمية بحتة، حسب البروفيسور.

ثم سرعان ما بدأت المعلومات تتكامل في الاردن حول مهمة هذا الرجل، فبعد بضعة أشهر ومطلع عام ١٩٨٩ دعيت وزوجتي الى عرس في فندق الإنتركونتيننتال وجلسنا على طاولة تضم زميلة لنا من أيام الدراسة في الجامعة الاردنية تدعى سمر النابلسي، فعرفتنا على زوجها علي بدرخان (عراقي)، ثم عرفت أثناء الحديث أن زميلتنا سمر النابلسي تعمل في بنك القاهرة عمان، وسألتني: لماذا لا تفتح حسابا عندنا في البنك؟

أجبتها: سيري أيتها الغمامة فأنّى أمطرت جاءني خراجك. ذلك ان حسابي لدى بنك البتراء، وهو يمتلك حصة

كبيرة في بنك القاهرة عمان، ويحتل منصباً في مجلس الادارة.

هنا علقت الزميلة بالقول: وهل يخفى دور أحمد الچلبي في القطاع المصرفي الاردني الى جانب تطلعاته السياسية! ثم اضافت جملة غريبة «لكن سوف لن يدوم ذلك بعد الان»!

بابا سيكسر رأس الجلبي

هنا استغربت وتملكني شعور بان هذه البنت تخفي شيئا، ثم بادرتها بسؤال استفزازي: كيف لك ان تتكلمي بهذه الطريقة عن من هو بمثابة رئيسك في العمل؟

فقالت الزميلة النابلسي بأسلوب انتقامي: لا يهم، والدي سوف يستلم قريبا منصب محافظ البنك المركزي الاردني و سوف يكسر رأس الجلبي!

هنا خيم الوجوم على كل جلساء الطاولة، ومنهم زوجها العراقي علي بدرخان.

فتساءلت: ومن يكون السيد الوالد، فقالت: انه محمد سعيد النابلسي! وهنا تذكرت استفسار البروفيسور سهام المدفعي «لتربط القصة».

ثم قلت لها لاتأكد: ولكن والدك كما سمعت مدير منظمة الأسكوا في العراق الان؟

ردت: نعم و لكنه يحاول الآن الانفكاك من العمل، ليشغل هذا المنصب، وربما يكون ذلك في غضون شهر او اثنين.

وقد بقيت طوال الليل أنتظر أن يشق الصباح أنواره كي أصل الى الراحل الدكتور أحمد الچلبي رحمه الله، و فعلاً ذهبت اليه و كالعادة كانت سكرتيرته (الشهيرة) دنيس تادروس (وهي أشهر من نار على علم في الاردن، امرأة بألف رجل) متوثبة على مكتبها بنظراتها الحادة وصوتها المميز تبادرني: أهلين ثائر، خيرك عَل هل الصبح، وبدون موعد؟

أجبت خير ان شاء الله، ولكن هذه المرة لن يتحمل الموضوع تحديد موعد وعليه يجب ان أقابله فوراً. سألتني: هل لديك إشكال في البنك فيمكن ان احله لك لأن الدكتور لديه اجتماع مجلس إدارة؟ فقلت لا و الموضوع لا يتحمل التاخير بتاتاً، أرجوك إذهبي له الان و أخبريه بأني أحتاجه دقيقتين فقط.

الجلبي يتحدث عن النابلسي

دخلت دنيس غرفة الاجتماع و بعد برهة أخرج الراحل رأسه من خلف الباب (بدون أن يفتحها على مصراعيها) وقال: ها ثائر خير، أكو شي؟

أخبرته باختصار شديد عن ما سمعته من سمر النابلسي، فطلب مني أن لا أغادر لأنه سوف يعود إلي بعد قليل .

وبعد عشر دقائق خرج وسحبني الى غرفة استراحة خاصة من الجهة الثانية لمكتبه، وعندها أطلعته على كامل التفاصيل من الكويت الى حفلة العرس في عمان.

سألني: ما هو رأيك؟

قلت: عندما تتفوه بنت شابة بأخبار يفترض انها بعيدة عن مجالها، فهذا دليل على ان الأحاديث تدور بشكل تفصيلي في البيت أمامها!

ثم حاولت أن أضيف ملاحظة، وذكرت للراحل المقالة التي تنبأت بقرب نهاية عدنان خير الله قبل فترة لا تتجاوز الشهر، فالكاتب كان يتنبأ بأن صدام سوف يبدأ محاولات للتخلص من مناوئيه، وبالاشارة الى مكانة الجلبي على الساحة الإقليمية فضلاً عن بعض صفقات الأسلحة المشبوهة التي كشفها، فان الجلبي قد يكون مصدر قلق لصدام.

ملاحظتي الأخرى كانت تتعلق باسم مخطط مهم قريب من صدام، اذ لو لم يذكر البروفيسور سهام المدفعي في الكويت، اسم فاروق حجازي وصلته بالمصرفي النابلسي، لكنت اعتبرت الموضوع بسيطاً، اما وأنه ذكر فهو تخطيط ستراتيجي باعتبار حجازي أحد العقول التي يعتمد عليها النظام.

علق الراحل بالقول: لدي بعض المؤشرات على ذلك.

ثم طرحت عليه السؤال التالي: من هو محمد سعيد النابلسي؟

فأجاب الراحل : من اسمه هو من نابلس، ينحدر من عائلة بسيطة وبعد ١٩٤٨، ذهب للدراسة في الجامعة الامريكية في بيروت لكنه لم يستطع أن يكمل لضيق الحال، فانتقل الى سوريا و درس هناك وانخرط في حزب البعث، جناح صلاح جديد حيث تخرج عام ١٩٥٢ من كلية الحقوق وبقي يعمل ويكمل دراسته في الاقتصاد، حتى انتقل الى الاردن عام ١٩٧٢ بعد الانشقاق الحاصل في حزب البعث واستيلاء حافظ الأسد على السلطة.

مناوئ معروف للاستثمار الأجنبي

اكمل الجلبي: بعدها شغل النابلسي منصب محافظ البنك المركزي الاردني بدعم من دولة احمد عبيدات، نظراً لتوجهاته القومية والتي تعارض الاستثمار الأجنبي في قطاع البنوك والتامين، فقد قام بسن مشروع قانون يهدف الى «أردنة» المصارف والاستحواذ عليها بطريقة مشابهة للتأميم ، وعليه تم الاستغناء عن خدماته بكتاب من دولة رئيس الوزراء زيد الرفاعي عام ١٩٨٥. (علماً أن عدد البنوك الأجنبية العاملة في الاردن يومذاك هو ٤ فقط).

عملية البتراء.. اهم بنوك المنطقة

بعد نقاشنا هذا ببضعة شهور، تحقق الأمر واحتل محمد سعيد النابلسي منصب محافظ البنك المركزي الاردني، و ما هي الا أسابيع حتى أصدر قراره الشهير بوضع البتراء احد اكبر البنوك الاردنية، تحت الوصاية.

وقد كان هذا البنك اكثر المصارف في المنطقة مساهمة في تحديث العمليات المصرفية وتطويرها، فقد ساهم في انشاء العديد من المعالم العلمية و الثقافية ودعم الصناعات الكبرى وعمل على تأجير المعدات الثقيلة التي ساهمت في بناء الاردن الحديث، وساعد بهذا في إنشاء مدارس البكلوريا المعروفة ، مصانع رم ، مصانع الكلورين ، اول سوق حديث سيفوي في المنطقة ، البتراء للورق ، البتراء لتأجير الآليات ، مصانع پينار ، ولأول مرة يعرف الشرق الأوسط بطاقة الفيزا كارد من خلال مبادرات الراحل الدكتور أحمد الچلبي، الى آخر المشاريع و التي لا حصر لها.

تواريخ مهمة :

١٩٨٩/٥/٤ : إنفجرت طائرة عدنان خير طلفاح (وزير دفاع ، طيار عسكري محترف) .

١٩٨٩/٥/٢٠ : صدور قرار تعيين محمد سعيد النابلسي محافظاً للبنك المركزي الاردني (إلتحق بالعمل بعد شهر و نصف او شهرين، حيث صدر القرار و هو ما يزال يشغل منصبه في مقر الأسكوا ببغداد!) .

١٩٨٩/٨/٢ : قرار محمد سعيد النابلسي (من خلال لجنة الأمن الاقتصادي التي أدارها) بحل بنك البتراء و وضعه تحت التصفية !

ومن المفارقات العجيبة، فإنه ولغاية اليوم وبعد مرور ٢٧ سنة على القرار، لا يزال لبنك البتراء ديون لدى الآخرين غير مسددة، و موجودات (أراض و عقارات) تحت التصفية، تنشر إعلاناتها القضائية في الصحف الاردنية.

١٩٩٨ : أصدر الراحل جلالة الملك الحسين بن طلال المغفور له بإذن الله ، قرارا بالعفو عن الراحل الدكتور احمد الچلبي بعد أن تجلت الحقيقة

بنك عملاق في العراق

تواصلت الأحلام في العراق بعد عام ٢٠٠٣ ولقاءاتنا أيام نادي الصيد في بغداد، والنقاشات التي كنت أحياناً أجد صعوبة بالغة في فهمها، وخصوصاً فيما يتعلق بالاستثمار وحديث الراحل عن ضرورة فتح الباب على مصراعيه للرساميل الأجنبية ، وكنت أعارضه بشدة لسبب يفهمه الراحل جيدا، فنظراً لضعف رؤوس الأموال العراقية و قلة الكفاءة الإدارية المحلية نتيجة تأخرها لعقود عن مسار التطور العالمي، نتيجة الحروب والحصار وما رافقه من تشوهات اقتصادية هائلة، لذا كنا نخشى ان فتح باب الاستثمار سوف يجعل الجهات الخارجية هي المسيطرة على سوق العمل العراقي مما سيجعل العراقيين (چايچية و حراس) و ليسوا أصحاب عمل و شركات.

جواب الجلبي كان مقتضباً و صريحاً : نحن سوف نعطي العراقيين رأس المال و الخبرة، والعراقيين سباع، و ردد العبارة أيضاً: الاوادم تسوي الفلوس ، بس الفلوس ماتسوي اوادم .

استغربت من الجواب، وخرجت غير مقتنع! ولكن لإيماني بإنسانيته خلال ٢٢ سنة مضت من هذا التاريخ و ذكائه وعشقه للعراق وأهله أدركت بأن هناك شيئاً في رأسه.

وفعلاً وبعد بضعة شهور ظهر «ما يشبه الأحلام من تحت الركام»، شيء اسمه «المصرف التجاري العراقي» او TBI بتنسيق مع ال جي بي مورغان، وبنك الكويت الوطني، وبحماية رأسماله من أية مطالبات او حجوزات تقع عليه، تحت سلطة رئيس الولايات المتحدة الامريكية (راعية النظام المصرفي العالمي) .

عندها أدركت ما كان يعني!

لقد وفر هذا العملاق الاقتصادي الذي خرج من تحت ركام نظام فاشي كبل العراق بديون فاقت ١٣٥ مليار دولار ما أدى الى حجز على مصارف البلاد العريقة، الرافدين و الرشيد، فجمدت أنشطتها طوال عقود في عواصم العالم وأصبح اقتصاده يعتمد على عواصم دول الجوار لإدارة خدماته المصرفية، فنجح الجلبي في تأسيس بنك يعد بين الاكبر في المنطقة، وصار معترفاً به وباتت جميع المصارف الإقليمية والعالمية تحاول التقرب منه وفتح افاق تعاون معه لاستثمار الفرصة الجبارة التي توفرت في السوق العراقي الواعد .

وباشر البنك بخبرة الراحل وأفكاره يأخذ مكانه الطبيعي للتألق و تقديم الفرص للمستثمرين العراقيين، بتوفير رأس المال المطلوب لإنشاء المصالح الكبرى، مع احلام بخلق قوة اقتصادية محلية وطنية عراقية لموازنة نفوذ الاستثمار الخارجي.

و هنا كانت المأساة الحقيقية من ناحيتين:

الأولى: بروز غيرة المنافسين السياسيين من تفوق الجلبي بالإبداع الخلاق الذي يخشاه الجهلاء والمدعون . وهو أمر أودى بهذا الحلم الى التهلكة من خلال «مسرحية سياسية» انتهت بتدمير الادارة العلمية السابقة ونقلها الى إدارة فاشلة لا تعي الفكرة الاستراتيجية لهذا الكيان المصرفي الحديث، بحيث عادت به الى أساليب مصارف النظام السابق الرافدين و الرشيد، بالإدارة والأسلوب التقليدي، المحاط بالدعاية والاعلام الكاذب.

الناحية الثانية: فات الراحل ان القلب الطيب الذي تحلى به دائماً، وحسن ظنه بالناس، لا ينفعان في الزمن السيء، حيث يقال: إن ساء الزمن فسوء الظن من حسن الفطن.

ولكن بقيت نظريته صحيحة وبقي الناس يرددونها حتى الآن خصوصاً في الاردن : الاوادم تسوي الفلوس، ولكن الفلوس ما تسوي اوادم. (الصالحون يصنعون المال، والمال لا يصنع الصالحين) .

سيبقى له الذكر الطيب و سيكتشف الباحثون بموضوعية أنه بحق أمة في رجل.

ثائر الدليمي
١٣ أيلول ٢٠١٦

د. أحمد الجلبي الذي عرفته

ترجع علاقتي بشؤون الشرق الأوسط إلى خمسة وأربعين عاماً بدأت بدوري في روبرت فليمنج Robert Fleming حينما أصبح ريتشارد فليمنج Richard Fleming أحد ثلاثة مستشارين سياسيين لـ سما Sama بطلب من الملك فيصل عاهل العربية السعودية.

قبل نحو ثلاثين عاماً إلتقيت للمرة الأولى بـ د. أحمد الجلبي في بيت سان جورج بقصر وندسور في ملتقى الأديان الأول برئاسة صاحب السمو الملكي دوق إدنبره والأمير الحسن من الأردن.

في ذلك الوقت كنت رئيس اللجنة الإدارية لشركة برايس ووتر هاوس في العالم كله.

كانت الدعوة قد وجِّهت إلى د. الجلبي باقتراح من الأمير الحسن. ولم يكن د. الجلبي آنذاك مجرد مصرفي رائد في الأردن ورئيس مجلس إدارة بنك البتراء (وكانت برايس ووتر هاوس تقوم بأعمال التدقيق لبنك البتراء في ذلك الوقت)، بل كان صاحب فهم لافت لشؤون الشرق الأوسط وسليل إحدى العوائل الشيعية العريقة في العراق، علاوة على ما كان يحظى به من ألمعية وعقلية أكاديمية فذة لا نظير لها من واقع تجربتي.

كما كان د. الجلبي أبرز منتقدي صدام حسين وأعلاهم صوتاً في الأردن. وسيأتي اعتماد الأردن لاحقاً على صدام حسين من الناحية الاقتصادية وما كان هناك من غيرة بسبب مكانته في الأردن لتفضي إلى مطالبة صدام حسين برأس د. الجلبي وتحطيم ما له من مكانة في الأردن. وكان في الأردن الكثيرون للغاية من المستعدين للانصياع بمن فيهم محافظ البنك المركزي في ذلك الوقت سعيد النابلسي الذي كان ألعوبة صدام حسين. ولما حدث بناء على اقتراح من الأمير الحسن وطلب من عاهل الأردن الراحل الملك حسين أن قبلت رئاسة اللجنة الاستشارية الاقتصادية الاستراتيجية للأردن، حدث أن قال عضو لجنتي د. فريتس لويتفيلر (الرئيس السابق للبنك الوطني السويسري ورئيس البنك الدولي للتسويات) ـ بعد أول لقاء له مع المحافظ النابلسي ـ إنه يرجو أن لا يقابل مثل هذا الشخص المتغطرس عديم الكفاءة مرة أخرى.

ولما أصبح د. الجلبي بعد سنين نائباً لرئيس الوزراء في العراق سنة ٢٠٠٥، أراد الأردن أن يحل مشكلة الظلم الرهيب الذي وقع والوصمة التي لحقت بالأردن. طلب مني د. الجلبي أن أتفاوض بالنيابة عنه مع الأردن في محاولة التوصل إلى حل لهذا الأمر.

في لقاءاتي مع الملك ورئيس الوزراء ورئيس المخابرات في الأردن بدا واضحاً أنهم في مأزق بسبب ما حدث واستقر في الماضي. كان التشابك المالي والقانوني في تلك القضية شديد التعقيد فباتت الأصول المملوكة لبنك البتراء والأصول المملوكة لـ د. الجلبي موزعة بصورة طبيعية بين كثيرين بغطاء من القانون العسكري الذي حال دون أي دفاع عن النفس في محكمة خاضعة لسيادة القانون. وكان البنك المركزي قد استولى على بيت د. الجلبي السابق.

حكمة أحمد الجلبي وعمق فهمه لديناميكيات الشرق الأوسط وجميع مكوناته كانا في غاية الدقة منذ أول لقاء لي به وحتى وفاته. حتى أنني أشرت إلى رؤاه في المحاضرة السنوية لبيت سان جورج في قلعة وندسور سنة ٢٠١٤ فقلت إنه «لا يمكن الوصول إلى حلٍّ بدون حكمة الفهم».

في أعقاب الحرب الإيرانية العراقية سنة ١٩٨٩ طلب مني د. الجلبي وأعضاء آخرون من المعارضة العراقية في المنفى أن أقابل الحكومة البريطانية والحكومة الأمريكية لمناقشتهما في أنهما إن توقفتا علناً عن دعم العراق فإن الجيش العراقي مستعد للإطاحة بصدام حسين بعد فشل الحرب الإيرانية العراقية، وإن معتدلين من الشيعة والأكراد مستعدون لتشكيل حكومة ائتلافية. وفي الوقت المناسب التقيت بمسؤولين حكوميين مهمين في واشنطن مثل ديك وولترز سفير الولايات المتحدة في الأمم المتحدة وصاحب العلاقات الرسمية مع المخابرات المركزية الأمريكية. ورفضوا ما قلته ومن ضمنه الإشارة العبثية التي أشرت إليها بنصيحة من د. الجلبي إذ قلت إن صدام حسين قد يغزو الكويت لو لم يتم إيقافه. ولما أوضح السفير وولترز أنه يفهم الشرق الأوسط خيراً مما يفهمه أي شخص آخر فقد اعتذرت له عن تضييعي وقته.

هذا النقص الذي تعاني منه واشنطن ولندن في فهم ديناميكيات الشرق الأوسط هو من بين جذور المشكلات التي نعاني منها اليوم.

عندما أقمت عشاء لـ د. الجلبي في لندن قبل فترة من الإطاحة بصدام حضرته رئيسة الوزراء البريطانية الراحلة مارجريت تاتشر، ذكَّر د. الجلبي الضيوف أثناء حديثه بتلك الفرصة المهدرة.

لقد كانت علاقتي بـ د. الجلبي قائمة على الاحترام المتبادل. كنا لا نلتقي إلا للمناقشة في أمور مهمة. فلم يسنح لنا وقت قط لثرثرات من أي نوع.

وفور تحرير العراق الذي أصبح في واقع الأمر «احتلال بريمر» خلافاً لنصيحة الجنرال جارنر للرئيس بوش، قمت بزيارة العراق.

ووافقت على أن أكشف بالنيابة عن العراق الفساد المشين في فضيحة الأمم المتحدة المتعلقة بالنفط مقابل الغذاء وطولبت بالشهادة أمام الكونجرس. وهو ما أدى إلى تقرير فولكر.

وجاء فشل الحكومات العراقية الأخيرة في تعقب الأطراف المذنبة ـ سواء بصورة مهنية أو بصورة كافية ـ ليخذل الشعب العراقي مرة أخرى.

لقد قمت بكل ما قمت به من سفر ودعم لهذا الجهد ومن عمل في شركات القانون والمحاسبة الدولية مثل باتُن بوجز وكيه إم بي جي من أجل شعب العراق ومن أجل تحقيق العدالة وفضح الفساد لا في ما يتعلق بالأمم المتحدة وحدها بل وبألفي شركة عالمية.

لقد عملت مع الكثيرين في أعلى المستويات وأضخمها حول العالم، فلم أصادف بين كل من عرفت شخصاً

مثل أحمد الجلبي في فهمه للاقتصاد والتاريخ علاوة على نصوع الصفحة وبراعة المقدرة.

وبسبب التزام أحمد الجلبي التام بتحقيق مستقبل أفضل للعراق وشعبه وللشرق الأوسط كنت مستعداً لتقديم أي مساعدة أستطيع تقديمها.

خلال أيام احتلال أمريكا للعراق في ظل حكم السيد بريمر، تكلمت أمام مجموعة مختارة من ثلاثمائة شخص ذوي نفوذ في أمريكا عن العراق، وجعلت محاضرتي تحت عنوان «السلطة وتبعاتها». وذكَّرت جمهوري بدور أمريكا في الإطاحة بمصدق في إيران سنة ١٩٥٣ (ووجدت أن قليلين منهم هم الذين سمعوا به).

لقد كان ثمن ذلك الفعل وعواقبه الوخيمة من جذور مشكلات إيران وتصور أمريكا عن الشيعة وخوفها العبثي منهم.

وإنني على يقين من أن المؤرخين في يوم ما من المستقبل سوف يفهمون دور أمريكا وبريطانيا في منع د. الجلبي من تولي منصب رئاسة الوزراء. لقد كانت المشكلة الكبرى للجميع تتمثَّل في أن د. الجلبي هو دائماً رجل نفسه لا رجل إيران بالقطع أو رجل أمريكا أو رجل بريطانيا. لقد كان د. الجلبي يتصرف دائما منطلقاً من مصلحة العراق ومصلحة العراق وحده.

كان د. الجلبي دائماً أكثر اطلاعاً على المعلومات فكان الكثيرون يتخوفون من مقدرته واستقلاليته. وواقع الأمر ببساطة أنه كان رجلاً يفوق كل من تعامل معهم. ولقد عانت مارجريت تاتشر من المشكلة نفسها.

ولقد كان موقفي، ولم يزل، أن د. الجلبي هو الوحيد، ولا أحد غيره، القادر على أن يخلق للعراق المستقبل الجدير به. ولكن حاله كحال كمصدق مع القوى التي لم تمتلك حكمة الفهم.

فقد اختارت بدلاً منه نوري المالكي. والعالم كله والعراق يدفعان الثمن وسوف يبقيان يدفعانه طوال عقود.

عمل د. الجلبي من أجل العراق والتزم طوال حياته تجاهه وتجاه شعبه ومستقبله. كان يحظى باحترام مطلق في العراق ولقد شهدت هذا بنفسي حينما زرت العراق وفي لقاءاتي مع أنماط كثيرة ومختلفة من الناس والمواطنين والموظفين والساسة وزعماء القبائل والوزراء وغيرهم.

ولست أعرف في العراق شخصاً آخر حقق ذلك طاهرَ اليد مضحياً بكل شيء من أجل العراق بدون أي مكسب شخصي.

حينما كان نائب رئيس الوزراء قلَّص الفساد بنسبة ٩٥٪ في العراق. والحكومة البريطانية رأت هذا وتعرفه شأنها شأن أمريكا.

وكان ذلك بمثابة انتحار سياسي من د. الجلبي. فقد خسر دعم أغلبية أهل السلطة في العراق إذ حرمهم من القدرة على سرقة الشعب العراقي وتحقيق ثروات لأنفسهم لا يصدقها عقل.

في آخر لقاء بيننا تناقشنا في أمر أولئك المسؤولين عن سرقة مئات البلايين من الشعب العراقي وكيف يتسنى تقديمهم للعدالة.

لقد كانت جريمة ضد الإنسانية ارتكبت تحت سمع أمريكا وبصرها.

كما أصبح العراق مركز غسيل الأموال في العالم بما هيّأ للقاعدة والدولة الإسلامية أن تدبرا التمويل اللازم لكلتيهما ناهيكم عن الهرب من العقوبات.

كانت المدفوعات في أغلبها تمر من خلال البنك العراقي المركزي الذي كان يمرّر كل مدفوعاته الدولارية من خلال بنك الاحتياطي الفدرالي الأمريكي.

ومن الملائم أن يكون د. الجلبي قد أنهى قبيل وفاته بأيام تقريراً مفصلاً بالأدلة على الفساد التي أتيحت له بوصفه رئيس اللجنة البرلمانية المختصة بالموازنة والشؤون المالية.

والأدلة متاحة لمن يريد أن يراها.

وسيفهم جميع أفراد عائلة د. الجلبي وأصدقائه العبء الرهيب الذي تحمله ذلك الرجل العظيم وهو يرى بلده الحبيب يتحطم مرة ثانية بسرطان الفساد والسلطة لدرجة لم يتمكن من احتمالها.

لقد وهب الرجل حياته للعراق وشعبه مضحياً من أجلهما بكل شيء.

فأوتي جنازة رسمية، ودفن في مقبرة عائلية بمقابر مقدسة في الكاظمية.

وكان ذلك تكريماً من شعب العراق واعترافاً من الجميع بما قدّمه.

إنه رجل عظيم، وبطل حقيقي من أبطال العراق.

تحياتي لك يا أحمد.

السير كلود هانكرز ، الحاصل على لقب قائد الفرسان من البلاط البريطاني
١٢ أيلول ٢٠١٦
(مترجمة عن الإنكليزية)

إنتصار الجلبي الأخير في العراق

كثير جداً ذلك الذي نعرفه عن حياة رجل، حينما يتردد على نطاق واسع في غضون ساعات من وفاته، أنه غيّر مسار التاريخ برغم أنه لم يكن يوماً رئيس دولة.

رحل أحمد الجلبي الإنسان، لكن لروحه من القوة ما يجعل حتى الكثيرين من منتقديه يكنون على مضض إعجاباً به لما كان له من عقل خرافي ونشاط محموم. ولا عجب، فها هنا رجل قهر حواجز أزلية أمام توحيد المعارضة العراقية في تسعينيات القرن الماضي، واستطاع تهدئة التوترات من أجل إنهاء الحرب الأهلية الكردية، ووازن بين العلاقات مع الديمقراطيين والجمهوريين برغم ما كان لكليهما من سياسات شديدة الاختلاف في أغلب الحالات تجاه العراق.

في تلك الفترة، إستولى شك عميق على السياسات الأمريكية في ما يتعلق بما إذا كان من الممكن القيام بأي شيء إزاء طغيان صدام حسين، فكان في واشنطن من يصغون لحكومات في المنطقة تدعم صدام لأغراض تكتيكية حتى بعد غزوه الكويت. لكن الجلبي استطاع الترويج لقضيته ـ بمهارة وتصميم عظيمين مقيما الحجة من أجل إنهاء نظام حكم وحشي إبادي. وسياسته، وإن كانت بارعة، لم تكن بالضرورة خداعاً بارعاً.

حتى سكوت ريتر مفتش الأسلحة السابق الذي وقف في نهاية المطاف ضد الحرب ـسلّم بأن الجلبي كانت له «شبكة يعتمد عليها» وفَّرت معلومات «ذات قيمة معتبرة» للمفوضية الخاصة التابعة للأمم المتحدة. وهو ما يثير سؤالا حول بعض المزاعم المتعلقة بـ «فبركة» الجلبي في ضوء أن ريتر لم يكن مجرد خبير أسلحة، بل كان أيضاً مناهضاً للحرب.

يظل المؤرخون منقسمين حول دور الجلبي في ما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل، ولكن هذا الأمر ينطوي على الكثير من المبالغة ـ فلماذا لم يكتب أحد باستثناء هانز بليكس كبير مفتشي الأسلحة التابعين للأمم المتحدة عن أن هناك ثغرات أساسية في ما يتعلق بأسلحة الدمار الشامل؟ اليوم لا يبدي العراقيون اهتماماً كبيراً بالفروق الطفيفة في الجدال حول أسلحة الدمار الشامل لأن أبشع هذه الأسلحة في العراق كان في حقيقة الأمر هو صدام المجنون الإبادي شخصياً.

برغم هذه التعقيدات التاريخية، لا يزال كثيرون يحاولون تصوير الجلبي بوصفه محرك دمى مكيافيلياً بامتياز. ولكن، ليس هذا هو الشخص الباقي في ذاكرتي.

هذه صورة قائمة على قراءة اختزالية للتاريخ تبدأ بالرئيس جورج دبليو بوش و٩/١١ ومقدمات ٢٠٠٣. وتتجاهل تماماً ١٢ عاماً من التاريخ العراقي الدموي بعد حرب الخليج لا بديل عنها لمن يريد أن يفهم عواقب تغيير النظام الحاكم.

يتبيَّن للتحليل الأعمق أن هناك رجلا رأى فرصة للقيام بما قد يقوم به أي راشد في مواجهة الطغيان، فقام

بالفعل العنيف اللازم للتعجيل بسقوطه. ولكن مع ظهور الفوضى التي أعقبت انهيار العراق في ٢٠٠٣، نُسيَت إلى حد كبير أيام العراق السوداء في تسعينيات القرن الماضي.

من المؤكد بطبيعة الحال أن العراق مرّ ببعض فصول الرعب المظلمة، حتى قبل الصراع مع ما يسمى بالدولة الإسلامية (المعروفة اختصاراً بداعش) والحرب الأهلية الفوضوية في ما بين ٢٠٠٥ و٢٠٠٧.

لكننا لا يمكن أن ننسى دوافع المعارضة التي كانت تسعى إلى القضاء على صدام: وهي تحقيق العدالة لـ ٢٠٠٠٠٠ عربي شيعي تعرَّضوا للقتل بين فبراير ومايو سنة ١٩٩١ في المحافظات الجنوبية أثناء انتفاضة العراق (وكانت تلك هي الثورة الشعبية الأولى ضد الدكتاتورية قبل كل ثورات الربيع العربي بعقدين من الزمن)، و١٨٠٠٠٠ كردي تعرَّضوا لمجزرة في الثمانينيات أثناء «حملة الأنفال»، والتعذيب الرهيب الذي مارسته أسوأ الدول البوليسية سمعة في العصر الحديث.

لا شك أن رجالاً كالجلبي ممن دعوا إلى الحرب على صدام قد ارتكبوا أخطاء كثيرة، ولكن غياب الوضوح الأخلاقي في مواجهة الطغيان لم يكن من تلك الأخطاء.

ذلك الوضوح هو الذي منحه القوة على العمل وسط فوضى عارمة من الأجندات المتعارضة. لقد كان من المنضمين إلى مؤتمره الوطني العراقي المدير السابق للمخابرات العسكرية العراقية وفيق السامرائي، وكذلك أصدقاء قادرون على إسقاط الطاغية لكنهم كانوا منقسمين إلى فصائل (كالأكراد العراقيين)، وحلفاء آخرون كانوا زعامات دينية ورعة، وممثلون للمخابرات المركزية الأمريكية يملؤهم الشك، ومسؤولون شديدو السذاجة من البنتاغون، وأتباع للمخابرات الإيرانية. كل هؤلاء كانوا يدعمون إسقاط الطاغية، لكن من منهم يمكن الوثوق به؟

حقق الجلبي نجاحاً لافتاً في إدارة هؤلاء الحلفاء برغم عقبات كأداء، وفي حالات كثيرة كان أعضاء مؤتمره الوطني العراقي يعدّون صناع سلام يجمعون بين الفرقاء الأكراد المتنافسين في أعقاب القتال الكردي الداخلي المرير في أواسط تسعينيات القرن الماضي.

في عام ١٩٩٥ كان الوضع أسوأ كثيراً، إذ انسحب الحزب الديمقراطي الكردستاني من محاولة للهجوم على النظام في الدقيقة الأخيرة. وبعد سنة ناصر الحزب الديمقراطي الكردستاني صدام في كارثة شهدت فقدان المخابرات المركزية الأمريكية إيمانها بالجلبي ووفاة المئات من مقاتلي المؤتمر الوطني العراقي في المنطقة الكردية من العراق.

المذهل أن الجلبي وثب راجعاً إلى واشنطن، معيداً بناء الزخم السياسي اللازم للتأثير على الرئيس بيل كلينتن لتمرير قانون تحرير العراق سنة ١٩٩٨ مرسّخاً بذلك دعماً للمؤتمر الوطني العراقي. ولكن ذلك كله لم يكن كافياً بعد لزعزعة أسس طغيان صدام.

خلال هذه الفترة رأت شخصيات المعارضة العراقية شعبها يمر بمعاناة ودمار هائلين (ناهيكم عن العقوبات

الرهيبة). يقول البعض إن الجلبي ساعد في دفع الولايات المتحدة إلى الحرب. ولكن الجلبي كان بالفعل يخوض منذ فترة طويلة حربا مع صدام، وهي حرب ساندتها الولايات المتحدة في التسعينيات، وإن كانت مساندة بالقول أكثر بكثير منها بالفعل.

لقد علم الجلبي أن إقامة علاقات مع الجمهوريين أمر جوهري لا من أجل الإطاحة بصدام وحسب، بل لأنه لا بقاء لمشروع المعارضة برمته إلا عن هذا الطريق. وكان البقاء هو الحل: فقد اكتشف في العراق ما يصل إلى ٥٠٠ مقبرة جماعية بعد ٢٠٠٣.

لكن هل تلاعب الجلبي بإدارة بوش كلها؟ بول وولفتز الشخصية المحورية الدافعة إلى عمل أكثر صلابة ضد صدام كان صديقاً شخصياً لمعارضين عراقيين بارزين والكاتب كنعان مكية، والمفكر المناصر للحرب كرستوفر هيتشنز ـ هؤلاء الرجال ما كانوا بحاجة إلى معارضين وقصص عن أسلحة الدمار الشامل حتى يعرفوا أن في العراق طاغية وحشيا ينبغي أن يطاح به. تلك كانت سياسة أمريكية منذ عام ١٩٩١ عندما طلب بوش الأب من المخابرات المركزية الأمريكية أن «تهيىء الظروف للإطاحة بصدام». إذن فصورة «المخادع البارع» فيها أيضا الكثير من المبالغة.

لكن بوصفه مركز المعارضة العراقية، وبعد كثير من تذبذب إدارة كلينتن، أصبح الجلبي ركنا أساسيا في تيسير المشروع. ولولا دوره، لكان صدام وولداه المخبولان لا يزالون في بغداد.

تخيلوا أنفسكم أمام مهمة من هذا النوع، وأنتم مقيمون على بعد مجرد أميال قليلة من طاغية سبق له أن سمَّم المنطقة الكردية بالأسلحة الكيميائية. لقد كان على الجلبي أن يهدئ مخاوف الضباط البعثيين وجماعات المعارضة الكردية والشيعية المنقسمين الذين كانوا على علم بأن الولايات المتحدة قد تخلت عنهم وتركتهم لآلة القتل التي يحملها صدام.

لكن بينما كان معاصرو الجلبي في تلك الفترة السوداء يحيكون خططهم، وبينما كان مسعود برزاني زعيم الحزب الديمقراطي الكردي ينضم موقتاً بقواته إلى صدام، كان هدف الجلبي واحداً لا ثاني له: القضاء على النظام الحاكم الذي اغتال مئات الآلاف من البشر، وتسبب في إحدى أكثر الحروب دموية في ما بعد الحرب العالمية الثانية وهي حربه مع إيران التي أسفرت عن مليوني قتيل ومصاب، وأرغم ثلاثة ملايين على اللجوء إلى المنافي، وفي مرحلة معينة خطّط لإطلاق صواريخ VX الكيميائية على طهران والتي كان من شأنها أن تزهق أرواح عشرات آلاف المدنيين.

حقق الجلبي هدفه، ولكن سرعان ما شعر أنه يتعرض للخيانة، إذ رأى الولايات المتحدة تتنكّر لوعدها بتسليم السلطة للعراقيين من خلال انتخابات ديمقراطية تجريها بأسرع ما يمكن. وجد الجلبي نفسه بلا حيلة تقريبا في مجلس الحكم الانتقالي، بينما يهيل بول بريمر سلسلة من الأخطاء المؤسفة على الشعب العراقي. ومثلما كان يمكن أن يفعل الكثيرون لو كانوا في مكانه، وثَّق الجلبي علاقاته مع إيران، دون أن يتخلي

مطلقا عن أمله في عراق ديمقراطي موحد.

برغم الاقتراب من حلبة السياسة في ٢٠٠٦، لعب الجلبي في السياسات العراقية دورا تصالحيا يفوق كثيرا ما ينسب إليه الفضل فيه، فجمع الجماعات الشيعية المختلفة في «التحالف الوطني» (الذي يضم «جبهة الاتفاق العراقي السني» و«التحالف الكردي») فبثّ الطاقة في العراقيين للتصويت في انتخابات ٢٠٠٥.

وهو ما يأخذنا إلى رؤية تاريخية أخرى منقسمة حول الرجل: صورة الجلبي بوصفه المناصر الطائفي للقضاء على البعث. وهو اتهام غريب، نظراً للطبيعة شبه الفاشية لحزب البعث الذي غرس نفسه في مؤسسات العراق عبر عقود من القهر والدعاية الكثيفة. ومثلما حدث في ألمانيا ما بعد الحرب العالمية الثانية من قضاء على النازية واقتلاع لجذورها بوصفها أيديولوجية نظام الحكم السابق، كان لا بد من إصلاح مؤسسات العراق. ولم تكن غلطة الجلبي أن تعرض المشروع في نهاية المطاف للسطو والتسييس وانتهى إلى صيد ساحرات مسيَّس.

برغم اتهامات الطائفية، كان الجلبي هو الذي اصطحب السنة إلى ضريح الإمام علي المقدس لدى الشيعة في ذروة العنف الطائفي سنة ٢٠٠٦.

ويستمر الخلط، ويصبح الجلبي «مداناً بالاحتيال» في أعقاب فضيحة بنك البتراء مع تجاهل تام لحقيقة أن «المحكمة» التي حاكمته كانت محكمة عسكرية. لقد كانت قضية خلافية للغاية عامرة بالأسباب التي تحمل على الظن بوجود دوافع سياسية وراء الاتهامات.

تتعارض هذه المزاعم مع دور الجلبي الأخير في العراق، إذ تعقّب الفساد بشدة أثناء دوره النشط في البرلمان ثم كرئيس للجنة المالية برغم الخطر الهائل في مثل هذه الوظيفة بتسريب معلومات عن الفضائح إلى الصحافة المحلية والدولية.

هذا هو الجلبي الباقي في ذاكرتي: في لقاءاتنا كان دائماً عميق الاهتمام بالفساد وسوء الإدارة في العراق وانتهاكات مزادات الدولار. كان يتكلم عن الإدارات السابقة التي أهدرت فرصة ارتفاع أسعار النفط وفشلت في تنويع اقتصاد العراق ومصادر دخله.

خلال حوارنا الهاتفي الأخير في أكتوبر، سألني النصيحة بشأن ديون العراق لشركات النفط وبشأن التنبؤات السوقية أثناء عمله على ميزانية ٢٠١٦. وبرغم التحديات المالية والأمنية الجسام التي كان يواجهها العراق، كان يتكلم دائماً بإيمان عميق عن «يوم ما، يصبح بلدنا فيه دولة مدنية يرأسها تكنوقراط أكفاء وتتولى أمورها إدارات مسؤولة». لقد ظل الجلبي مؤثراً حتى النهاية، عميق الحماس لبلده.

وما من شك في أن المؤرخين سوف يستمرون في جدالهم حول حلقات حياته المعقدة، ولكن عراقيين كثيرين مغرمون بالرجل، ويبدو أن أسطورته سوف تستمر في النمو بعد وفاته. فما حصل عليه الرجل لم يكن أقل من جنازة رسمية، والمدهش أنه حصل أيضاً على مثوى أخير في الحضرة الكاظمية، في ما قد يكون اعترافا

أخـيرا مـن المؤسسـة المرجعيـة الدينيـة العراقيـة، وتلـك نهايـة لائقـة بحيـاة ملحميـة. فهـذا شرف غـير مسـبوق لأي سـياسي عراقـي ليـبرالي وضـع حجـر الأسـاس لدولـة عراقيـة ديمقراطيـة مدنيـة. لقـد خـاض الجلبـي معـارك كثـيرة، ولكـن ذلـك كان انتصـاره الأخـير.

لؤي الخطيب
موقع الـ «هفنجتون بوست»
٩ نوفمبر ٢٠١٥
(مترجمة عن الإنكليزية)

الذي غادرنا دونما وداع

كل نفس ذائقة الموت، والبقاء لله وحده، وتلك سنة الهية لا استثناء لاحد منها، ومع ايماننا بهذه الحقيقة، لكن تعلق المرء أحيانا ومحبته لاصدقائه الاعزاء تمنعه من ان يتقبل خبر رحليهم للوهلة الاولى، فلم اكاد اصدق بنبأ رحيل الدكتور احمد الجلبي الى بارئه الأعلى عندما هاتفني مرافقه ليفجعني بالخبر وكنت حينها في طريقى الى مجلس النواب، فهرعت مباشرة الى (السيف)، ووصلته الساعة الحادية عشر صباحا يوم الثالث من تشرين الثاني عام ٢٠١٦، فرأيت الوجوه دامعة والحزن يخيم على جدران القصر من مدخله الى ديوانيته، والوجوم والذهول يلف جميع محبيه، فالاشارات كانت السبيل للسؤال، كنت من أوائل الأصدقاء والمحبين الذين وصلوا (السيف) وجثمان للفقيد لازال في غرفة النوم منذ الساعة التاسعة صباحا التي تم اكتشاف وفاته، لم يحول نشيج البكاء من التوجه نحو الغرفة، فما ان فتحت الباب، حتى تسمرت النظرات على وجه الأخ الكبير وهو لازال على كرسيه، حينها تيقنت ان القدر اختطف صديقنا العزيز، فما كان منا الا نقله من الكرسي الى سرير قريب ليسجى عليه الجثمان ويوجه نحو القبلة، واثناء تغطيتي لجثمانه الطاهر برداء ابيض، استذكرت يوم السابع من نيسان عام ٢٠١٦، كنت مع الاخوة والأحباء نمسح عن وجوهنا لوعة خسارة رحيل رفيق نضاله ضد الديكتاتورية سماحة المرحوم السيد بحر العلوم، نعم ..فجعنا في هذا العام بخسارة لا تعوض، فقد التحق السيد بحر العلوم والدكتور الجلبي ببارئهما، اما الجلبي فقد غادرنا بدون وداع!!!

التقيت المرحوم الجلبي قبل الوداع الأخير في احد صباحات خريف بغداد، كان ذلك في منتصف الفصل التشريعي الثاني لمجلس النواب في دورته الثالثة، ولربما في نهاية الشهر العاشر من عام ٢٠١٥ اثناء دخوله قاعة البرلمان، وكان الوقت مبكرا وقبل بداية الجلسة ولعلنا كنا الوحيدين في القاعة، ومن غير عادة الجلبي ان يتواجد في مثل هذا الوقت المبكر، فاستوقفته عند منصة الرئاسة، وتبادلنا الحديث حول الوضع السياسي وبرامج الإصلاح التي ينوي رئيس الوزراء العبادي الشروع بها، فرأيته وعلى غير العادة، يصرخ بوجهي: « أكول (أقول) لك، لا تنفع كل هذه المحاولات، المشكلة تكمن في الفساد، لابد من ضرب أعمدة الفساد، وبدون ذلك لا تنفع برامج الإصلاح، واستدرك قائلا: « وهذا يعني مواجهة مع الكبار، فاردت ان استفزه اكثر، تعني المواجهة مع «الهوامير»، قال: نعم «، كان يتحدث وعيونه شاخصة وجاحضة، وتجاعيد وجهه تحكي الما عميقا، وحركة يديه تشير الى انه قرر دخول معركة كبيرة، وتيقنت ان المرحوم الجلبي دخل حلبة الصراع وبدون قفازات واقية في معركة مع الفساد من اجل اصلاح الوضع. وادعي القول انني خبرت المرحوم الجلبي وعلى مدى ثلاثة عقود من الزمن فكرا وسلوكا وأداءا، وكنت اقرأ في هذه اللحظات ملامح شجاعة القرار وقوة الإصرار والى جنبها كنت استشعر قلة العدد والعدة. استذكرت هذا الموقف مع المرحوم الجلبي وانا اغطي جثمانه بالرداء الأبيض عندما سجيناه على السرير باتجاه القبلة.

في ربيع ٢٠١٣ استضفنا المرحوم الدكتور الجلبي في (ملتقى الثلاثاء الشهري) ببغداد، في موسمه الأول ٢٠١٢-٢٠١٣، ضمن برنامج سياسي شهري استمر على مدى عام ونصف العام للبحث في (الازمة السياسية العراقية) مع القادة السياسيين. كانت نقاشات صريحة وواعية لخطورة المرحلة، وكانت رؤى القادة السياسيين متباينة في تشخيصهم للازمة، كان البعض منهم يعزوها لغياب (المشروع الوطني) بينما اخر يرى ان سببها غياب (حملة) المشروع الوطني، ويرى البعض ان اس المشكلة (ثقافي تأريخي مزمن)، ولابد من معالجة واقعية لها، ويتصور بعض السياسيين ان الازمة تكمن في (دستور العراق لعام ٢٠٠٥) والثغرات المسكونة فيه، واخر يعتقد ان (غياب التخطيط والإدارة في إدارة البلاد) هما السبب الأساس في تعقيد الازمة العراقية. اما (غياب ضمانات إدارة الدولة بين المكونات) يجدها البعض سببا رئيسيا في استمرار الازمة بينما اخر يرى (غياب الثقة بين الأطراف السياسية) عامل محوري في ديمومتها.

اما المرحوم الجلبي فقد تحدث بكل صراحة متناهية وبدون مجاملة في الملتقى وبحضور شخصيات سياسية واكاديمية وثقافية متميزة، وأشار بوضوح وقناعة ان (الازمة السياسية مركبة والمال جوهر الصراع)، وطرح رؤية متكاملة في هذا الشأن. فكان يرى ان الصراع على السلطة في حقيقته صراع على المال، وازمتنا السياسية مركبة ومن السهل تحويلها الى ازمة طائفية او الى صراع قومي، وأشار في حديثه « لا اريد الدخول في احصاءات مالية ونقدية، هناك اشارات كبيرة و واضحة الى وجود فساد وغسيل اموال هائل في العراق، هذه ارقام مخيفة، وهذا يعزز ما قلته ان الصراع على المال وان قدرات الحكومة على حل الازمات تتضاءل لا بل تم استبدالها بالعنف والابتزاز كبدائل عن الحوار السياسي».

في خريف ٢٠٠٩، واثناء الاستعداد لخوض الانتخابات التشريعية الثانية لمجلس النواب، كانت الأجواء السياسية إيجابية لحد ما مع وجود ميل وتنافس بين الكتل السياسية لصياغة برنامج انتخابي لحل ازماته، وكان (الائتلاف الوطني) احد الدعائم الأساسية للنظام السياسي الجديد، وشاركنا وبكل حماس في وضع رؤية عصرية تستند الى الواقع وتتطلع لرسم ملامح المستقبل املا ان يصبح ذلك برنامجا انتخابيا لكسب ثقة المواطن ويعتمد لاحقا كبرنامج للحكومة اذا ما حظي بثقة مجلس النواب، فكلفت الهيئة السياسية للائتلاف الوطني المرحوم الدكتور الجلبي وكاتب هذه الاسطر لكتابة البرنامج بالاستعانة بكوادر الائتلاف والخبراء العراقيين في اعداده، وبالفعل شكلت غرفة عمليات، احداها في المنصور بمكتب المرحوم الجلبي، والأخرى بمكتبنا بالجادرية، وتقاسمنا العمل، فكانت حصة المرحوم الجلبي كتابة (برنامج الإصلاح الاقتصادي والمالي والمصارف وأزمة السكن والكهرباء)، وكانت حصتنا كتابة البرنامج الإصلاح السياسي والسياسة النفطية والصناعة والمياه، والصحة وغيرها). وبالفعل وعلى مدى شهري تشرين الأول والثاني ٢٠٠٩، نجح الائتلاف الوطني في صياغة برنامج انتخابي للحكومة المقبلة بمساعدة مائة خبير عراقي ومشاركة العشرات من السياسيين وأصحاب الكفاءة والخبرة في وضع التصورات لمعالجة امهات المشاكل التي يعاني منها العراق.

يقول المرحوم الجلبي، في معرض رده على من يقول ليس لديكم مشروع وطني في (ملتقى بحر العلوم

للحوار) « قامت مجموعة من القادة والمفكرين بصياغة مشروع على شكل بيان انتخابي وهو يصلح ان يكون مشروعا للحكومة تطرحه على مجلس النواب عندما تطلب الثقة، وتطرق هذا المشروع الى معظم القضايا الملتهبة، فيما يتعلق بموضوعة السيادة العراقية وخروج العراق من قرارات مجلس الامن ومن ضمنها التي اتخذت ضمن الفصل السابع من ميثاق الامم المتحدة، كما عالج قضية المصارف والبنك المركزي، عالج قضية النهوض بالصناعة والنهوض بالزراعة، وركز على مشروع اسكان قابل للتنفيذ، وتطرق الى السياسة النفطية وطريقة استفادة العراق من الثروات النفطية، وتطرق ايضا الى علاقات العراق الخارجية وطريقة تنميتها وكان في ١٣٤ صفحة، فعندما تأسس التحالف الوطني (الائتلاف الوطني زائدا دولة القانون)، طلبنا ان يكون هذا المشروع جزءا من المشروع الحكومي، ولكن طلبنا ذهب في مهب الريح بعد تأليف الحكومة، اقول لكم هذا لاني اريد ان اوضح ان العراق لا يخلو من مفكرين يستطيعون وضع مشروع لقيادة الدولة، ولو ان هذا المشروع اخذ طريقه الى التنفيذ لتفادينا الكثير من الازمات».

بالرغم من الملكات والقدرات التي يمتلكها الدكتور الجلبي في إدارة ملفات الدولة، لم يفسح له المجال طوال السنوات الثلاث عشر من استثمارها بالشكل المناسب، فالفرصة الوحيدة التي منحت للمرحوم الدكتور الجلبي لممارسة دوره التنفيذي في الحكومات المتعاقبة بعد التغيير، كان في عام ٢٠٠٥-٢٠٠٦ اثناء حكومة الدكتور الجعفري، فقد انتخب نائبا لرئيس الوزراء ورئيسا للجنة المركزية للعقود، وكان دوره مميزا رغم قصر الفترة التي لم تزد عن سنة واحدة، وكنت حينها اشغل منصب وزير النفط من أيار ٢٠٠٥ وحتى ٢٨ كانون الأول ٢٠٠٥ ، حيث قدمت استقالتي احتجاجا على قرار الحكومة بزيادة أسعار المشتقات النفطية بشكل مضاعف ومرهق للمواطن، وكان المرحوم الجلبي على خلاف مع موقفي بهذا الشأن، وكنت على تماس بتفاصيل عمل مجلس الوزراء والوزارات ذات العلاقة، أقول للتأريخ كان أداء المرحوم الجلبي سواء على مستوى المناقشات في مجلس الوزراء او على مستوى اللجان الوزارية كرجل دولة بأمتياز، يمتلك الرؤية والجرأة في اتخاذ القرار ولا يتردد في اتخاذ ما يلزم لانجاح القرار، كان مؤمنا بان الكوادر العراقية اذا ما تهيأت لها فرصة التدريب والتطوير فستكون قادرة على العطاء بالشكل الذي يؤمن مسيرة الدولة، كان يؤمن بان الشعب فقيرا وكل الموارد محتكرة من قبل الدولة، لذلك معظم اطروحاته كانت تدفع باتجاه تمكين الشعب من ثرواته، واخذت منا مسالة تمليك الشعب لثرواته النفطية وقتا غير قليل من النقاشات على مستويات مختلفة. كان يعول على شريحة الشباب ليأخذوا دورهم في بناء العراق وليجدوا من يحتضنهم ويوجههم الى مستقبل افضل.

ومن النقاط الجديرة بالذكر والتي كانت موضع اعتزاز وافتخار المرحوم الجلبي خاصة وحكومة السيد الجعفري بشكل عام، هو تدني مؤشرات الفساد في العقود والمناقصات الحكومية، ومرد ذلك اشرافه المباشر ومتابعته الحثيثة لكافة تفاصيل العقود الحكومية بما لا يفسح بوجود ثغرات، والواقع فقد تميزت تلك الفترة بأعتبارها من افضل الفترات في مجال مكافحة الفساد قياسا للفترات اللاحقة.

لقد استشعرنا بخسارة كبرى برحيله، حيث ترك فراغا لا اظن ان سده سهلا ويسيرا، فالمرحوم الجلبي احد ابرز رجالات السياسة والاقتصاد، لعب دورا محوريا في فترة المعارضة ضد النظام البائد وخاصة في التسعينات من القرن الماضي، وشارك بعد التغيير بفاعلية في وضع لبنات النظام السياسي الجديد، ويمتلك المرحوم الجلبي خبرة واسعة في مجال الاقتصاد والبنوك ومع الأسف لم تستثمر هذه الطاقة العراقية استثمارا تتناسب مع امكانياتها، وسيبقى هذا السؤال يلاحق المتصدين للاجابة عليه اجلا ام عاجلا.

وكما هو المألوف في عالم السياسة، فالاجتهاد في الرؤى السياسية تؤدي الى تقاطعات، فهناك من كان يتفق مع أفكار واطروحات ومواقف الدكتور الجلبي، واخرون يقفون بالضد منه، لكن من المؤكد وعبر حصيلة عقود ثلاثة، كانت خطواته جريئة ومبتكرة لذلك كانت شخصيته مثار الجدل السياسي.

استذكر في هذا الصدد، ربيع عام ٢٠٠٩ عندما كرم سيدنا الكبير المرحوم السيد بحر العلوم، شقيق المرحوم الجلبي الأكبر، شيخ القانونيين الدكتور حسن الجلبي، ابرز أساتذة القانون الدولي على الصعيد الوطني والعربي، ورئيس الجامعة الإسلامية في بيروت، وذلك في معهد العلمين للدراسات العليا في النجف الذي كان يتراس عمادته حينذاك احد زملائه المرحوم الدكتور عصام العطية احد اساتذة القانون الدولي البارزين، تحدثت عن الجلبي القانوني بما يتناسب والمكانة العلمية والانجازات التي طرحها طوال نصف قرن من الزمن. ولابد ان اعرج في نهاية حديثي في ذلك الوقت على دور هذه الاسرة مبتدئا بزعيم العائلة الحاج عبد الحسين الجلبي الذي تولى وزارة المعارف بعد استقالة الشيخ الشبيبي عام ١٩٢٤ ومرورا بالحاج عبد الهادي الجلبي الشخصية السياسية والاجتماعية المعروفة التي تقلدت مواقع وزارية متعددة وابنائه الوزير المرحوم رشدي الجلبي، والمرحوم جواد الجلبي، والدكتور حسن والسيدين حازم و طلال.

وانتهيت بأصغر ابنائه وهو المرحوم احمد الجلبي. فقلت في حديثي « اما احمد الجلبي -الابن الأصغر- ما فتأت مسيرته السياسية طوال ربع القرن الاخيرالا وكانت حركته مثار جدل سياسي. وبغض النظر عن ماهية الجدل السياسي بيد ان المرحوم الجلبي بقي رقما صعبا في المعادلة السياسية العراقية قبل التغير وبعده، كان المأمول ان يكون دوره بعد التغيير مضاهيا لدوره قبل التغيير ولكن نتذكر قول الشاعر النجفي:

حتى اذا نضج الشواء وقيل حسبك يالـــهب

جاؤوا ولست بعارف من هم يزكون التعب

لقد امتاز المرحوم الجلبي بعقلية رياضية منحته القدرة على التخطيط والمرونة في الحركة، وتميز بعطاء وحيوية لا تفتر وبذاكرة لا تهرم وبعزم لا يكل، والجلبي لا يؤمن بالسكون فهو يتجه نحو الحركة دوما، فاذا اتته فبها واذا لم تأته يبحث عنها، فهو يمتلك الديناميكية، ولعلي لست مبالغا كان الفقيد من السياسيين القلائل الذين يؤمن بضرورة مزاوجة العمل بالحركة الميدانية في نشاطاته سواء على المستوى التنفيذي او التشريعي.

لم يكن المرحوم الجلبي ارتجاليا في حركته، فهو صاحب رؤية، يعرف ماذا يريد ومتى وكيف يتحرك، كان صاحب هم وطني، ويخطأ من يظن ان حركته كانت دوما تسير وفق مصالح معينة، كان في الاعم الاغلب يفكر في المصلحة العامة لانجاح المشروع الوطني، نعم كان براغماتيا في مواقفه، عندما يستشعر ان المصلحة حسب تقديره تتطلب منه حركة باتجاه معين، يتحرك فورا وبدون النظر للتوازنات والتاريخ، وليس بالضرورة ان تكون خطواته واضحة المعالم للاخرين، بل ان قناعاته كانت كافية لتحديد اتجاه الحركة، مما سببت له الكثير من الإشكالات مع رفقائه. لكنه بقي المرحوم الدكتور أبو هاشم السهل الممتنع في التعامل، لا يصر على ارائه، ولا يريد ان يتوقف عند الجزئيات ويبتعد عن المجاملات، يفاجأ الخصوم بمواقف غير متوقعة من اجل المصلحة العامة، يخسر شركاءه أحيانا بسبب عدم المشورة في الموقف، ويتصرف بما يعتقده ويراه ضروريا.

ان مساهمة المرحوم الجلبي الفاعلة مع ثلة من ابناء العراق المخلصين في التحشيد السياسي والاعلامي للاطاحة بنظام صدام تحتاج الى حديث مفصل، واذا تناسى البعض هذه الأدوار في خضم هوس السلطة وامتيازاتها، فسوف لن ينسى التأريخ ذلك، انا شاهد على بعض مفاصل تلك المرحلة في الثمانينات والتسعينات، وتمكنت هذه الثلة من تعشيق المعارضة العراقية وتوحيدها في المنافي ونجحت في ايصال مظلومية الشعب العراقي الى الاروقة الدولية، وان تكون صدى للداخل العراقي، وتمكنت ان تسجل مواقع متقدمة في كردستان ومواقع اخرى. وكان المرحوم احمد الجلبي احد رموزها، ولنا حديث اخر في هذا السياق.

امن الدكتور الجلبي بمحورية النجف ومرجعيتها واعتبارها بوصلة للتحرك سواء في زمن المعارضة او بعد التغيير، لذا تواصل مع مراجعها وحوزتها ومؤسساتها، وامن بدورها في التغيير.

رحمك الله يا ابا هاشم، اخا وصديقا ومناضلا ومفكرا، كنت تجد حلمك في العراق، ولكن (اخوة يوسف) اضاعوا ذلك الحلم، فلم يزدك جفاءهم الا قربا للعراق والعراقيين، وتعازينا الى ابنائك واخوانك واسرتك ومحبيك.

إبراهيم بحر العلوم
١٥ أيلول ٢٠١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

في البدء، أود أن أشكر كل من ساهم في نثر هذه الكلمات في هذا الكتاب المتواضع، الذي يسرد قصة حياة رجل، عاشرته وعرفتموه، الدكتور احمد الجلبي، هذا الرجل كان معلماً وعالماً بأمور كثيرة.

إن هذا الكتاب يضم مواقف ونصوصاً أمينة لمجموعة من الشخصيات التي واكبت حياة أحمد الجلبي، وعاصرت تفاصيلها الصغيرة والكبيرة. شكراً لكل من قال كلمة صادقة بحق الراحل أحمد الجلبي، ورحمة الله عليك أبا هاشم.

أبدأ قصتي مع الجلبي، من اللقاء الاول عام ١٩٩٢، إلتقيته في صلاح الدين، واتفقنا على التعاون، عملت في حينها كمختص بالاتصالات، أي باختصار تأمين التواصل بين أطياف المعارضة. أذكر هذه المعلومة لأنها مهمة جداً، وستعرفون أهميتها عندما تنهون قراءة ما سأسرده والذي سأسعى قدر الامكان الى إيجازه.

تفاصيل كثيرة، ومشاهد، وشواهد، وحقائق، وربما أسرار لا يعرفها الكثير، عايشتها مع أحمد الجلبي، أتذكر مثلاً شجاعته، أذكر عنها، عندما أراد أن يسقط نظام الديكتاتور عام ١٩٩٥، في وقتها رفضت المخابرات الأمريكية أي عمل عسكري، وتدخلت لمنع تقدم الجلبي وقوى المعارضة لإسقاط صدام، في تلك الأيام وفي إحدى الليالي المظلمة، عندما كان الجلبي يتناول وجبته المسائية، التي كانت خفيفة كالعادة، وغالباً ما يكون هو مشاركاً في إعدادها. إلتقى الجلبي ببعض القيادات الأمريكية من المخابرات، واستمع الى رأيهم في مسالة الهجوم لإسقاط صدام، وأذكر في تلك الساعات تعابير وجه الجلبي الغاضبة وهو يستمع الى الكلام الأمريكي، ثم تفاجئت، كما تفاجأ الامريكيون، بقول الجلبي تحديداً اطلعو برا، مصير العراق يحدده العراقيون وليس أنتم». في تلك اللحظة، اختلطت عليي تفاصيل كثيرة، وصرت أتساءل، من هذا الرجل الذي يتحدى نظام المجرم صدام، وفي نفس الوقت لا يخشى دولة كبرى أمريكا. وهذا الموقف تكرر، بعد التحرير عام ٢٠٠٣. فقد اختلف الجلبي مع أمريكا، ولم يخشَ أن يقولها بوجههم « لقد نقضتم إتفاقكم الذي كان ينص على أنكم قوات تحرير فقط، وليس قوات احتلال. وهذا سبب ربما أبعد الجلبي عن الحكم.

مثال آخر، مهم، يكشف شخصية الجلبي، يخص تعامله مع الأسرى من الجنود العراقيين التابعين لصدام، كان يستمع الى كلامهم ويتناقش في همومهم ويتشارك معهم حتى الطعام. وهذا إن دل على شيء، فهو أن الجلبي لم يكره أحداً في حياته، بل كان محباً، وقد أحب العراق وشعبه المظلوم. وربما هذه الصفة التي جعلت الجلبي لا يريد أن يواجه كل من هاجمه من المواطنين أو من السياسيين او وسائل الإعلام، فالجلبي مؤمن بحرية التعبير، ومؤمن بأن المنطق له زوايا كثيرة، وكل إنسان يقرأ المنطق من زاويته الخاصة، لكن الجلبي أراد أن يصحح المعادلات وأن يقف ربما في بعض الأحيان بوجه المنطق، خصوصاً عندما تحدى نظام صدام حسين، وجعل دولاً متخاصمة تتفق ضمن تحالف لإنهاء الظلم الجائر على العراقيين. وهذا ليس كلامي فقط، فهي شهادة اعترفت بها دول كبرى كإيران وأمريكا.

عندما قلت في بداية حديثي إنني عملت في تأمين التواصل بين قوى المعارضة، قصدت من ذلك، أن أكون أميناً في نقل بعض الحوادث التي شهدتها إن كان عبر لقاءات او اتصالات هاتفية، وعن اللقاءات فهي كثيرة، لكن أكثرها تميزاً، تلك التي كانت تتم مع رجال الدين والمراجع، واللافت خصوصاً هو استمتاع رجال الدين في الدخول بنقاش عميق مع الجلبي في تفاصيل كثيرة، دينية وعلمية واقتصادية واجتماعية. لما كان يتمتع به من حنكة في شتى المجالات، وحب للثقافة ومد يد العون للآخرين، من هنا، أقولها صراحةً، لم أتفاجئ لحظة واحدة، عندما وصل نعشه إلى قلب مقام الإمام الكاظم عليه السلام.

و رغم أن هذه الصفحات المتواضعة لا يمكن أن تستوعب كل ما من شأنه أن يقال بحق هذا الرجل، إلا أنني أود أن أشير إلى أمر واحد سكن ثنايا القلب قد يثير استغراب البعض وامتعاض آخرين، وهو أنني وبكل صراحة، أعاتب الاقدار التي سرقت من حياتي متعة التواصل مع أحمد الجلبي، أعاتب والعبرة تختنق في صدري. ولكن، لا يسعني إلا أن أقول رحمك الله يا أبا هاشم وأسكنك فسيح جناته.

احمد حبيب كريم

كلمة هاني إدريس

في حياة الأمم والشعوب رجال يواعدهم القدر ويختارهم دون غيرهم ليساهموا في صنع وقيادة مرحلة التحول والتغير في بلدانهم، وليرفعوا الظلم والقهر والإضطهاد عن شعوبهم، وكان قدر الراحل أحمد الجلبي أن يكون واحداً من هؤلاء. وإذ كانت عظمة الرجال تقاس بقدر الفراغ الذي يخلفه رحيلهم.. فإن الدكتور أحمد الجلبي كان رجلاً عظيماً حقاً.

تعرفت عليه عن طريق مام جلال في تسعينيات القرن الماضي، وكان لقاؤنا الأول في (قره جولان) مقر زعيم الإتحاد الكردستاني جلال طالباني، ومنذ اللحظا ت الأولى للقاء أدركت أني أمام رجل يتمتع بالتواضع والذكاء وعمق البصيرة ونفاذ الرؤية في وسط الضباب السياسي الذي كان يلف المعارضة العراقية آنذاك.

ومنذ ذلك التاريخ توطدت العلاقة بيننا عمقاً واتساعاً ومتانة، ابتداءً من عملنا في صفوف المعارضة العراقية، ومروراً بالعمل سوية في مجلس الحكم السابق وقيادة الإئتلاف الوطني العراقي في عام ٢٠١٠ وانتهاءً بالأيام الأخيرة لرحيله.. لقد كان بحق صديقاً صدوقاً وأخاً حميماً.

كان الراحل أحمد الجلبي شخصية مثيرة للجدل ليس في أوساط النخب والقيادات السياسية العراقية فحسب، بل في أوساط القوى الدولية وخاصة في أوساط صانعي القرار في الولايات المتحدة الأميركية ومدى استجابة هؤلاء لتوقعات وأهداف الراحل.. كان البعض يؤيده.. والبعض يعترض عليه.. والبعض يشكك فيه.. وأياً كان نوع التأييد، وأياً كان حجم الإعتراض والتشكيك، إلا أن الأمر الذي لا جدال فيه هو عدم قدرة هؤلاء عن الإستغناء عن دوره، وخاصة عندما تتشابك وتتعقد الخطوط في موقف ما وتجد القيادات نفسها في وضع صعب، غالباً ما يحبسون خلافاتهم السياسية ويلجؤون إليه وذلك لما يتمتع به الراحل من إمكانيات عالية في إدارة المساومات، وما يمتلكه من قدرات على التعامل مع كل أنواع الأزمات، وإستخدامه الماهر للتوازن بين الأطراف المتصارعة. وعلى سبيل المثال: دوره الفاعل والمؤثر في النزاع المسلح الذي نشأ بين الحزبين الكرديين الاتحاد الوطني الكردستاني والحزب الديمقراطي الكردستاني، حيث عمل الراحل بجد وصبر في تهدئة الأوضاع والانتقال بالمناخ الداخلي الكردي من حالة المواجهة المسلحة إلى حالة الوفاق والسلام.

كان المرحوم أحمد الجلبي أمام العالم الخارجي تعبيراً ظاهراً عن رأي جميع أحرار العراق، وكان وجوده التاريخي قوياً وفاعلاً على المسرح الدولي طوال سنوات المعارضة، واضعاً قضية شعبه التي يناضل من أجلها في الاطار الأكثر ملائمة لفهمها ونجاحها بعد دراسة واعية وشجاعة لآثارها ونتائجها على الصعيد العالمي، بحيث لا تهمل هذه الدراسة أي معطية من معطيات الواقع العراقي المر وتسلسل مراحل تحقيق الهدف وأولويات العمل.

وفي الوقت الذي استطاع بذكائه الثاقب وقوة إرادته نسج شبكة من العلاقات مع القوة الغربية الكبرى

ومؤسساتها الفاعلة، فإنه بالمقابل استطاع أن يعطي صورة أكثر جاذبية للأغراض والأهداف المرغوب في فرضها على هذه القوى في محاولة لتشكيل قناعة موضوعية لديهم للمساهمة في إسقاط أكثر الأنظمة طغياناً في هذا العصر.. نظام الطاغية صدام حسين. وأشهد أنه نجح نجاحاً باهراً قل نظيره في هذا المجال، حيث استطاع انتزاع الفرصة واستثمارها من مخالب المستحيل.

لم يتحرك خارج إطار الظاهرة الوطنية ومفهوم المواطنة أو في مواجهتها، في وقت تصاعدت فيه الدعوات إلى التخندق والاستقطاب الطائفي والقومي وترجمته عملياً على أرض الواقع.

لقد كان الراحل يعتز بانتمائه المذهبي الذي ارتبط بالمظلومية التاريخية للطائفة الشيعية ونتيجة طبيعية لتطورها، ولكن هذا الانتماء والولاء لم يمنعانه من تعزيز علاقاته بالمكونات الدينية والمذهبية واللغوية الأخرى، وإقامة أفضل العلاقات معها والدفاع عن حقوقها وتطلعاتها، وحرص أن تأخذ هذه العلاقات طابع القوة والمتانة للعمل الوطني المشترك من أجل تأهيل البلاد سياسياً واجتماعياً واقتصادياً لقواعد الديمقراطية. وبالاستناد على هذه الرؤية إستطاع أن ينفذ بشخصيته إلى الجميع مترفعاً عن الصغائر، حاملاً هموم شعبه بكل مكوناته فوق كاهله، فلم يئن أو يشتكي، وأحب الشعب والوطن بكل خلجة من خلجات نفسه وبكل نبضة من نبضات قلبه الكبير الذي اتسع ليحتوي كل آمال وآلام الشعب.

ترى هل الصورة التي رسمتها لصفات الراحل أحمد الجلبي هي أكمل ما يكون.. وأشمل ما يكون.. وأدق ما يكون.. بل هذا ما استطاع قلمي أن يسجله في لحظة تضاءلت فيها الكلمات وتهاوت أمام ذكرى رحيل أعز وأغلى وأنبل الأصدقاء، الذي ختم حياته بصيحة الحق عندما أعلن الثورة على الفساد والفاسدين وعلى الزيف المقنع وراءه برداءٍ واهٍ. لقد كنت بحق الرجل الذي أعطى ولم يأخذ.

هاني إدريس
العضو المناوب في مجلس الحكم السابق

إلى مهندس الحرية

حرية الفكر والإنسان

إلى معلمي الدكتور أحمد الجلبي

أعترف بكل ألم أني فقدت أستاذاً ومعلماً وصديقاً، ذكراك لا تغيب عن ذاكرتي، فلي معك ذكريات ومواقف كثيرة، أذكر شجاعتك في مقارعة الدكتاتور وأذكر وقوفك الشجاع في وقف القتال بين الحزب الديمقراطي والإتحاد الوطني الكردستاني، وأذكر دخولنا إلى الناصرية وأذكر طيبتك في أحد التجمعات الإنتخابية حينما طلب شخص من الحضور ساعتك اليدوية فلم تتردد في إعطائها، وأذكر كلمة لا زالت ترن في أذني (العمل الجيد في العراق يستحق العقوبة الجيدة).

فسلام على روحك المناضلة وسلام لفكرك الخالد، بفقدك تعلمت أن من لم ينصفه البشر سينصفه رب البشر.

توفيق محمد (أحمد)

كلمة السيد حسن الصدر في ذكرى الأربعين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده بالسراء والضراء وحين البأس، والصلاة والسلام على الرسول المصطفى محمد، وعلى اهل بيته الطيبين الطاهرين، واصحابه الراضين المرضيين.

صعب علي أن أقف بينكم بهذا الحفل الحزين، لأتحدث عن شخصية استثنائية، إجتمعت فيها أبعاد عديدة، والبعد الواحد فيها يكفي لأن يجعلها شامخة مرموقة المكانة، أنا لا أدري عن أي جانب اتحدث هل أتحدث عن أحمد الجلبي بوصفه الانسان، ام أتحدث عن أحمد الجلبي بوصفه الوطني المناضل الذي عاش العراق بكل ذرة من ذرات وجوده وناضل وكافح حتى أشرقت شمس الحرية وسقط الصنم الكبير ام أتحدث عن مواهب وبراعات في مختلف العلوم والمجالات ام أتحدث عن أخ وصديق عزيز عليَ، صعب عليي أن أستوفي هذه الأبعاد كلها في حديث مختصر واحد.

هو الموت فصنع وي كما انت صانع .. ولابد يوماً أن ترد الودائع

نحن أمام الموت لا نملك إلا التسليم بيد الله، لأنه كما قال الشاعر:

سيف المنايا مرهف الحد ... يردي ولا نقوى على الرد

ليس لنا إلا التسليم بأمر الله وقضائه، وأنا هنا وإختصاراً للوقت أحب أن أقف عند نقطتين، الأولى أن شخصية استثنائية كفقيد العراق الغالي المرحوم الدكتور أحمد الجلبي عانت من ظلم مزدوج هذا الظلم المزدوج تمثل في أنه ظلم في حياته ثم ظلم بعد مماته، وهذه نقطة غريبة جداً، المتعارف عليه أن من يظلم في حياته ترفع الظلامة عنه بعد مماته، ولكن أحمد الجلبي لم ترفع الظلامة عنه حتى بعد مماته. قرأنا وسمعنا كلمات مغموسة بالحقد والضغائن والجهل والتطاول والالغاء لكل الحقائق والوثائق. غريب. والحقيقة أحمد الجلبي عانى من أصدقائه قبل أن يعاني من أعدائه، لأنني لا أذيع سراً إذا قلت أن أحمد الجلبي طاقة وموهبة وقدرة وخبرة وتجربة ولياقات كان يمكن للوطن العزيز أن يستفيد منها كثيراً، ولكنه أبعد، أبعد عن هذه المقامات كلها، وتكمن الروعة في أن هذا الابعاد لم يؤد الى ضيق النفس او انهزام عملي الى الساحة. ظل الى آخر لحظة من حياته يخطط ويعمل لخدمة البلد ولصالح البلد. من هنا فلا يعني الموت لشخص كأحمد الجلبي النهاية، صحيح أنه مات في جسده، ولكنه تاريخه لا يموت، إذا ما اختفى جسد في التراب فإن المناقب لا تختفي.

والنقطة الثانية التي أحببت أن أشير إليها، هي أنه ربما ساورته حالة شعر من خلالها أنه قريب من الرحيل عن سطح هذا الكوكب، فقام بايداع أخطر تقرير كتب عن النهب لثروة العراق الوطنية وقام هو

شخصياً بإعداده من خلال كونه رئيس اللجنة المالية النيابية في البرلمان العراقي وأودع نسخاً منه هنا وهناك، في الحقيقة هذا التقرير ليس تقريراً، هذا التقرير هو كوارث وفواجع فيما رآه العراق وما زال يراه ، من نهب منظم للثروة الوطنية العراقية والحيتان الكبرى للفساد تسرح وتمرح بعيداً عن المساءلة والحساب، أما صغار الموظفين وأما صغار المختلسين فهم الذين تلاحقهم المساءلات والمراقبات، سيلعننا التاريخ حينما يرانا منحازين إلى هذه الدرجة الى جانب القراصنة واللصوص الذين سرقوا ثروة البلاد واوصلوا العراق الى الهاوية. رحمك الله يا أبا هاشم، تقريرك هو الذي سوف يبقيك وهو الذي سوف يطلع الاجيال القادمة أنك لم تغفل لحظة واحدة عن التفكير بالعراق حاضره ومستقبله ومستقبل أبنائه. نستنطر الرحمة والغفران لفقيدنا الغالي الدكتور أحمد عبد الهادي الجلبي ونقدم خالص العزاء والمواساة لأسرته الكريمة ونخص بالذات الأستاذ الكبير الدكتور حسن الجلبي ونعزي الشعب العراقي عموماً بفقده هذه الشخصية العملاقة التي عملت من أجل الدين والشعب والوطن ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

السيد حسن الصدر

١٦ كانون الاول ٢٠١٥

كلمة محمد جعفري صحارودي في ذكرى الأربعين

بتكليف من رئيس مجلس الشورى الإسلامي الدكتور علي لاريجاني وبالنيابة عن كافة أعضاء المجلس أتقدّم من حكومة العراق وشعبه عموماً ومن عائلة المغفور له الدكتور أحمد الجلبي خصوصاً بأحر التعازي والمواساة.

على مدى عقود من الزمن تكبّد الشعب العراقي الشقيق وكبار شخصياته ورموزه أشدّ المعاناة وذاقوا الأمرّين خلال مسيرة النضال والجهاد ضد نظام صدام الدكتاتوري.

طوال العقود الثلاثة الماضية كنت أنا شخصياً شاهداً عن كثب على مسيرة جهاد هذا الشعب وتعرّفت على الكثير من شخصياته ونُخبه ممن لم يُوفّروا جهداً على درب التضحية والجهاد، وإذا ما أردت هنا أن أورد بعض الأسماء أخشى ربما تخونني الذاكرة وأنسى بعضها ولكن ثمة شخصية بارزة استثنائية بينها وأعني هنا الدكتور أحمد الجلبي.

ما يُميز الدكتور أحمد الجلبي ليس فقط أنه كان رجل نضال وجهاد وكانت مصلحة الشعب العراقي همّه الأوحد ليل نهار، فمثل هذه الخصال كانت متوافرة في الكثير من رجالات العراق ، ما كان يميّز الدكتور ويجعله استثنائياً هو أنه كان مطّلعاً بشكل دقيق على القضايا الدولية واستطاع أن يستثمرها بشكل جيد في إيجاد سبيل يحفظ للشعب العراقي مكانته ومصالحه.

إن القوى العالمية التي التزمت الصمت حيال ما تعرّضت له مدينة حلبجة من قصف كيمياوي والمقابر الجماعية التي كُشفت في المحافظات الجنوبية في العراق كان لابد من الاستفادة منها في مواجهة نظام صدام حسين، وهذا ما لم يكن يتحقق بانتهاج سياسة عادية بسيطة.

بفضل السياسة التي اعتمدها الدكتور أحمد الجلبي جعل من حُماة صدام وداعميه أعداءً له، بمعنى أنه أجبر الإدارة الأمريكية التي قدّمت الدعم الأكبر لنظام صدام في حربه ضد الجمهورية الإسلامية في إيران و أطلقت يدَي هذا النظام بعد الانتفاضة ليفعل ما يحلو له في أحداث الجنوب العراقي وكوردستان، أجبرها على مواجهة نظام صدام حسين والاطاحة به.

ونتيجة تنفيذ هذه السياسة واجه المرحوم الدكتور الجلبي تُهماً عديدة وافتراءات كثيرة طالته شخصياً، ولكنني ومن خلال اطلاعي عن كثب وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً على مساعي هذا الرجل وجهوده أستطيع أن أشهد بأن الدكتور الجلبي لم يكن هدفه ولا نيّته سوى تحرير الشعب العراقي والأخذ بيد العراق نحو الرقيّ والازدهار وإعادة الإعمار والدفع بالبلاد إلى مصاف الدول القويّة والمقتدرة إقليمياً ودولياً.

أتقـدّم مجـدداً مـن أسرة الفقيـد ومنكـم أيهـا الحضـور الكريـم ومـن الشـعب العراقـي عامّـة بأحـر التعـازي والمواسـاة بهـذا المصـاب الجلـل، والسـلام عليكـم ورحمـة اللـه وبركاتـه.

محمد جعفري صحرارودي
١٦ كانون الاول ٢٠١٥

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين، وصحبه المنتجبين.

بسم الله الرحمن الرحيم

من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر، وما بدلو تبديلا. صدق الله العلي العظيم.

كلمة عادل عبد المهدي في ذكرى الأربعين

طالَتْ ولو قَصُرَت يدُ الأعمارِ ... لرَمتْ سِواكَ عَظُمْتَ مِنْ مُختارِ

من صفوةٍ لو قيلَ أيٌّ فَذُّهُمْ ...لم تَعْدُ شَخْصَكَ أعينُ النُظَّار

لكن أرادتْ أن تحوزَ لنفسها ... عَينَ القِلادةِ فازدَرَتْ بنُثار

أصحاب السماحة، أصحاب السيادة، العائلة الكريمة، الأستاذ الكبير الدكتور حسن الجلبي عميد أسرة آل الجلبي، السيدة أم هاشم، الأعزة الأخوة والأخوات، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

علاقتي بأحمد وسأتكلم دائما بهذا العنوان، علاقة طفولة كان صديقاً ملازماً للمرحوم أخي هاشم، وكنت مع أخي هاشم أقرب الأصدقاء المتلازمين منه لعلاقات الأخوة المعروفة والطبيعية، كنت أتقدمهما بالعمر والدراسة عامين، لكننا كنا نذهب سوية لنفس المدرسة الابتدائية في السعدون، مدرسة مدام عادل، كان أحمد يتكلم دائماً عن شجاعة اللبنانية التي جاءت الى العراق في العشرينات والثلاثينات وافتتحت مدرسة ابتدائية نموذجية استقطبت في حينها أبناء كثير من الطبقة الغنية. سبقته الى المتوسطة في كلية بغداد والعلاقة بين عائلتينا من جهة الرجال والنساء كانت وثيقة، والدي السيد عبد المهدي كان من اوائل وزراء العهد الملكي ومجالسه التأسيسية والنيابية وكذلك الحاج المرحوم عبد الهادي الجلبي الذي ورث عن والده الحاج عبد الحسين الجلبي الزعامة الاقتصاديةو التجارية و السياسية.

علاقات العوائل والصداقة والدراسة جعلتنا نلتقي، وأحد أماكن اللقاءات كان في مزرعة السيف في الكاظمية، أي هنا في هذه المواقع، المزرعة، في الكاظمية حيث كان للوالد المرحوم مطحنة، كانت هنا مطحنة، حولها المرحوم أحمد لاحقاً الى دار سكن وقاعات ومقر لأعماله، وكانت هناك ولا تزال بركة كنا نسبح فيها سوية في أشهر الصيف.

كان أحمد ذكياً الى درجة لا تصدق فغالباً ما كان يعفى من الامتحانات النهائية وكان يقدم أحياناً صفاً إضافياً، إضطربت أوضاع أسر المرحلة الملكية بعد ١٤ تموز ١٩٥٨، وغادر العراق الكثير من آل الجلبي، أكمل

أحمد بقية دراسته الثانوية والجامعية في الخارج. المرحوم أحمد ليس رجلاً عادياً، لذلك خسارته حدث ليس عادياً ايضاً، فهو شخصية مركبة بمعنى عميقة. وبسيطة بمعنى متواضعة، يجمع هاتين الخاصيتين. شاهدته في مواقف عرفانية وصوفية مختليا بنفسه والكتب العرفانية محيطة به، وهو يستمع الى موسيقاهم وذكرهم وعندما اسس المؤتمر الوطني واستقر في صلاح الدين، في أربيل في بداية التسعينات، وكنت في حينها ممثل آية الله العظمى السيد محمد باقر الحكيم قدس سره، والمجلس الأعلى، في كوردستان، كنا نلتقي كثيراً في داره وقرأ لي مرة وقد يكون في كتاب الاسفار الاربعة لصدر المتألهين، فيلسوف العرفانيين الملا صدرا الشيرازي، يشرح فيها علاقة الرقم والوحدة، او هكذا أتذكر، فأنا لست كأحمد خريج الام اي تي لأدرك مثل هذه القضايا.

ذكر لي أن في هذا المقطع الذي قرأه من الأسفار الأربعة برهاناً للعلاقة بين الوحدة والرقم، والتي لم يبرهن عليها إلا في ستينات القرن العشرين، من قبل عالم الرياضيات و اسمه كواتييه في فرنسا، أتذكر ذلك لأنني درست في جامعة كواتييه.

المرحوم أحمد خزين معلومات وأحداث فهو قارئ ممتاز ومستمع من الطراز الاول، وذاكرته كنز من المعلومات الادبية، والفنية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والتاريخية، والأسماء والمواقع، لم أره يوماً يسجل محوراً او يكتب في دفتر كما نفعل نحن في الإجتماعات، لكنه كان يتذكر كل شيء بدقة متناهية لذلك يذكر أحمد المعلومة وكأنه يقرأها من كتاب محفور في ذهنه، وكان الجميع متفقا أن أحمد كومبيوتر بشري، أو بشر له ذهن كومبيوتري، قلت إن أحمد المرحوم، شخصية مركبة وبسيطة مقتدرة ومتواضعة، شخصية جامعة للمتضادات في وحدة خلاقة، فالمادية والروحية مجتمعتان لديه، بدون تكلف او ادعاءات، اقتصادي حر او رأسمالي، مدافع عن الشيوعيين، مسلم يقيم افضل العلاقات بالمسيحيين والايزيديين والصابئة ويقف ضد اضطهادهم وتأجيرهم واستعبادهم، عربي يقف مع الكوردي والشبك والفيلية وغيرهم في أحرج المواقف فكان متواصلاً كما ذكر أخي وزميلي الأستاذ هوشيار مع الثورة الكوردية وقياداتها وكذلك، مع الرئيس مسعود والرئيس جلال الطالباني واخوانهم. احمد لم يكن طائفيا كما يقول البعض، فهو عندما ترأس اجتثاث البعث، ورغم كل الاخطاء التي ارتكبت، لكنه كان يردد دائماً أن القانون هو لحماية جمهور البعثيين والاقتصاص من طغاتهم، وكان يردد ان البعثيين الشيعة لا يقل عددهم عن البعثيين السنة، إن لم يكن أكثر، وعلاقاته برجالات السنة وقواهم داخل العراق وخارجه واسعة ومشهورة ومعلومة سواء في لبنان او سوريا او الاردن، ويضم المؤتمر الوطني الذي أسسه، يضم في صفوفه من قيادات السنة العسكرية والمدنية ما لم تضمه أي قوة سياسية اخرى، ولأحمد مواقف في مجلس الحكم وفي كافة مراحل العمل في الدفاع عن المظالم التي أصابت المناطق السنية وأبناءها، لن أقف عندها فالكل يعرف ذلك، لكنني أذكر أن مرشحه لوزارة المالية، كان المرحوم كامل الكيلاني في الحكومة التي شكلها مجلس الحكم يومها.

أيها الحفل الكريم قلت إن أحمد بسيط ومركب، فرغم ثراء عائلته ونشأته في بيت من أغنى بيوتات العراق، لكن ذلك لم يؤثر على مواقف المرحوم أحمد، فلم يقف مرة مع ظالم ضد مظلوم، او مع ثري ضد

فقير، وقف مع حركة المحرومين للامام موسى الصدر في لبنان، ومع الثورة الاسلامية ويقول لي مرة، إنه ساعد في جلب دواء للامام الخميني قدس سره في مرضه الاخير، أما وقفاته مع المرجعية في العراق فأكثر من مشهورة، وكان دائم الاتصال بالمرجعية، يستشيرها وتستشيره في كافة الشؤون. دافع عن شيعة العراق فأصبحت له علاقات متميزة بالمرحوم مهدي الحكيم وسعد صالح جبر والسيد باقر الحكيم والسيد بحر العلوم وال الصدر وقادة المجلس الأعلى وحزب الدعوة ومنظمة العمل الإسلامي وغيرهم، وكانت له علاقات أيضاً وثيقة لاحقاً بالتيار الصدري وبالسيد مقتدى الصدر. فهو يفتخر بولائه لآل البيت عليهم السلام، كيف لا، فقد دفن في الصحن الكاظمي الشريف بعد أن كان جده قد دفن في الصحن الحيدري في النجف الأشرف ووالده في المقبرة الزينبية في دمشق. أما عمله الأكبر فهو وقوفه الصلب وبدون تردد مع الشعب العراقي ودوره الريادي في عملية إسقاط صدام حسين، وهو ما سبب له عداوات كثيرة طائفية واقليمية ودولية.

فالمرحوم أحمد كما أشدد بسيط ومركب، فأحمد لم يكن أمريكيا او بريطانياً او أردنياً او ايرانياً. عند الكلام عن المصالح والتوجهات أحمد ببساطة وطني عراقي صميم لم أشهد له موقفاً، إلا دفاعاً عن العراق، لم يدافع عن حق شخصي او إرث عائلي تعصبه الوحيد كان للشعب العراقي، ويغالط الحقيقة من يقول إن أحمد كان أداة لأحد فهو لم يقف الا بما يقوم به أي وطني لإنقاذ بلاده فعندما تحول صدام الى وبال وكارثة على السنة والشيعة والكورد وبقية أبناء الشعب العراقي بل على المنطقة والعالم تحرك المرحوم أحمد في أوضاع عزلة واحباط وفقدان بوصلة وضياع وتنصل من الأغلبية الساحقة. حرك وتحالف مع كل من كان يقف ضد صدام بل استطاع ببراعته أن يحول مواقف دول كبرى ومؤسسات عريقة كانت حليفة لصدام اصبحت مناهضة له، فالحقد لا يعرف طريقا الى قلب أحمد لكن أحمد عنيد، في مواقفه ومبادئه لا يتوانى بالوقوف ضد انقلاب حلفائه وارتكابهم الأخطاء، فهو رجل مفاوضات ووساطات ومشاريع وآداب لكنه رجل مبادئ واصرار وعناد، عندما تأتي للمظلوميات والمبادئ، ويمكن الوقوف طويلاً في هذه الخاصية سواء عند التعامل مع أحداث داخلية او إقليمية او دولية، لكنني سأقف عند واحدة من أهمها وهو كلام الاعلام المضاد ان احمد هو رجل امريكا في العراق دعوني أذكر هذه الشواهد وكلها في مرحلة مبكرة من الدخول الامريكي للعراق في ٢٠٠٣ – ٢٠٠٤ ، في شباط ٢٠٠٤ زرنا واشنطن وكان الوفد مؤلفاً من المرحوم عبد العزيز الحكيم قدس سره، والباجه جي والجلبي وهوشيار زيباري والداعي، وكان لدينا لقاء مع رامسفيلد وزير الدفاع انذاك، قلنا له انه بموجب اتفاق ١٥ تشرين ٢٠٠٣،فإننا يجب أن نصل الى اتفاق أمني حول وجود القوات قبل نهاية شباط فالتفت رامسفيلد الى السفير بريمر متسائلاً، هل هذا صحيح، فأجاب الأخير بالايجاب، وهنا قال رامسفيلد، اجلبوا لي ورقة وسأكتب الاتفاق خلال ربع ساعة، لم يتردد أحمد بالتعليق ساخراً موجهاً كلامه الى رامسفيلد، إذاً إجلب معك محاميك، أي إننا سنقاضيك، وسنقف ضدك، على هذا السلوك الاستهتاري، خلال ربع ساعة تكتب اتفاقاً مع دولة تريد استعادة السيادة، كانت العلاقات بينه وبين المسؤولين الامريكان متوترة ويعلم الجميع ان القوات الامريكية اقتحمت داره واخذت، اجهزته محاولة، اتهام أحمد بالعمالة لايران، بل عندما اشتدت اجراءاتهم عليه، وذهب للاستقرار بضيافة الرئيس السابق الطالباني في قلا جولان في السلمانية، هددت الأجهزة

الامريكية الاستخباراتية باختطافه، وذهب الأخ هوشيار زيباري لابلاغه بنية الامريكان هذه، فوصل الأمر الى حالة شديدة من التوتر بين الطرفين، في وقتها طلب مني بعض أفراد عائلته، أن أكلم أحمد للتخفيف من هذا التوتر نقلت لأحمد هذا الطلب، وقال سأحاول، وكان لديه يومها مقابلات صحفية مع سلسلة من الفضائيات الامريكية التي تنظم برامج واسعة في فترة الفطور الصباحي وقال لي سأحاول أن أفعل ذلك خلال تلك اللقاءات، أما ما جرى حقيقة فهو أنه عندما سأله الإعلامي ما هي مشكلة العراق، قال أحمد، مشكلة العراق هي ثلاث باءات، فقال له المراسل لم افهم، قال أحمد مشكلة العراق ... بوش ... وبلاكويل .. وبريمر ... رحم الله فقيدنا الغالي واحسن مثواه بجوار الامامين الكاظمين واسكنه فسيح جنانه وعزاؤنا لأسرته للدكتور حسن الجلبي ولحرمه وأولاده وإخوانه ومحبيه، عزاؤنا أن أحمد باق في ذاكرتنا باق في أعماله، باق في منجزاته وعلى من يؤمن بخط أحمد أن يواصل الدرب، فأحمد قد قدم كل ما يستطيع لهذا الشعب ومن حقه على هذا الشعب ان يفي لهذا الرجل الكبير العظيم . آخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته...

عادل عبد المهدي
١٦ كانون الاول ٢٠١٥

كلمة هوشيار زيباري في ذكرى الأربعين

لا أستطيع في دقائق أن أعطي لهذا الرجل قيمته وما حققه, ولكن أستطيع أن أقول وبكل أمانه أمامكم بأن رحيل أحمد الجلبي هو نهاية مرحلة , هذه المرحلة التي تأسست في عام ٢٠٠٣ بدماء شهداء العراق من كردستان إلى الجنوب إلى الوسط ,طُبعت هذه الرحلة كثيراً بقيادات, الدكتور أحمد الجلبي كان أحد هذه الرموز لم تحقق ما سعينا إليه , كانت أحلامنا وطموحتنا أكبر بكثير مما نحن عليه ويتذكر سيدنا بلقاءتنا وإجتماعاتنا وما هو العراق الذي كنا ننشده ونريد ان نعيش فيه , كان من أشد المدافعين والصامدين عن حقوق الانسان في العراق عن الديموقراطيه عن المؤسسات عن الدولة الإتحادية وأمام كل المحافل لم يغير من آرائه و أفكاره تحت أي ظرف من الظروف إطلاقاً وبقي وفياً لهذه الأفكار التي كان يؤمن بها , كان له دور محوري لتغيير النظام , كان له دور جمهوري لحشد الدعم الدولي لإسقاط صدام حسين ,كان حقيقة بطل قانون تحرير العراق في الوقت الذي كانت المعارضة والقوى الأخرى مصابه بحاله من اليأس والقنوط , تحرك بجهوده وقدرته الفذه والخلاقة والطاقة الحيوية التي لا تهدأ ليلاً ونهاراً , كان حقيقة له يد الطولى في فرض الحظر الجوي تحت خط ٣٢ في محافظات جنوب العراق .

أنا كرفيق درب وعمل معه في كل هذه التفاصيل أشير إلى بعض ما حققه هذا الرجل في حياته وكان هدفه الأول والأخير تحرير العراق , حرية العراق , تقدم العراق , مصالحةالعراق مع نفسه, وكان مؤمناً إيماناً قوياً بالقضية الكردية وبعدالة الثورة الكوردية وبالنظام الإتحادي وبوحدة المصير العربي الكردي في هذا العراق , وكان دائما يقول لكل المشككين « ترى كردستان قلعه لكل الاحرار العراق وستبقى كذلك. فأنا حقيقة من موقعي كرفيق وصديق عملت معه بالسياسة عملت معه في التعبئة الدبلوماسية وتوصلت معه رغم إختلاف مواقعنا .لكن هذا الإنسان ظُلم أيما ظلم ,خاصةً ظلم ذوي القربى الذي هو أشد مضاراً

في أيامه الأخيرة كنت ألتقيه وأتواصل معه يومياً، كان متألماً جداً، لكنه لم يتراجع إطلاقاً من الساحة كونه ديمقراطياً حقيقياً، لم يتراجع سواء في البرلمان أم في الحكومة أم في أي موقع آخر. كان يعتبر هذا المشروع لن ينتهي ولا زالت هناك حاجه لمساهمة الجميع. عملنا سوياً لتوحيد المعارضة العراقية وتأسيس المؤتمر الوطني العراقي عام ١٩٩١-١٩٩٢، في مؤتمرات فيينا وصلاح الدين ونيويورك ولندن لاحقاً قبل التغيير عملنا في الحقيقة كفريق عمل واحد دون أي تمايز، لأن الهدف كان واحداً، هو تغيير النظام، إسقاط النظام والإتيان بنظام ديمقراطي تعددي اتحادي. نحن لسنا أنبياء، كلنا نرتكب الأخطاء، لكننا كنا نتناقش ونتجادل على الدوام ولم تؤثر خلافاتنا على علاقتنا الشخصية إطلاقاً. إختلفنا كثيراً عند بعض المنعطفات، ولكن كان هناك هدف واحد يجمعنا. الإعلام المعادي لتغيير النظام عمل ضدنا، وإعلامنا الداخلي أيضا شوهَ صورت هذا الرجل بشكل كبير جداً، لكن أحمد لم يأبه لمثل هذه الحملات الإعلامية وظل صامداً أمامها. لو لم يكن

الإنسان صاحب قضية لما صمد، لكن هذا الرجل صمد لأنه صاحب قضية ولم يثنه عنها كل ما كان يدور حوله.

تعازيَ وتعازيقيادة ورئاسة وحكومة إقليم كوردستان إلى عائلة المرحوم وإلى عميد الأسرة الدكتور حسن الجلبي، والرحمة وألف رحمة إلى روح الإنسان الذي سوف نستفيد من نهجه على الدوام وسنبقى نتذكره، وسينصفه التاريخ وهو يخطَ المرحلة التي قضاها هذا الرجل في سبيل حرية العراق.

هوشيار زيباري
١٦ كانون الاول ٢٠١٥

في ذكرى الجلبي

هيهات، لا يأتي الزمان بمثله إن الزمان بمثله لبخيل

عرفت أحمد الجلبي منذ العام ١٩٦٣، وأصبحنا فوراً صديقين قريبين.

كل من عرف أحمد أو سمع أخباره حرّ في وصفه وفي ما يقوله عنه، وفي ما يصدقه أو يرفضه مما قيل عنه، أما أنا ....

عرفت أحمد يوم كان لايزال يدرس الرياضيات في M.I.T. ، حلم كل طالب متفوق، خاصة في الهندسة والفيزياء والرياضيات. وكنا نلتقي باستمرار عندما يعود الى لبنان.

انتقل من بوسطن الى شيكاغو للحصول على درجة دكتوراه في الرياضيات، وحصل على هذه الدرجة قبل أن يبلغ سنّه الإثنتين وعشرين سنة.

بالنسبة لي كانت الجلسة مع أحمد متعة، فقد ندر من قرأ ما قرأه أحمد سواء لجهة الحجم أو لجهة التنوع، وندر من استوعب وتذكر واستخدم في التحليل كل ما قرأه كما فعل أحمد، وندر من عامل أخطر المواضيع بجرأة وبسهولة كما فعل أحمد، مع ضحكة.

كان كمبيوتراً بشرياً، وحده الخالق يمكن أن يصنعه.

كان في بعض الأحيان طفلاً شقياً، وكان في أحيان أخرى كهلاً محافظاً.

ممنوع علينا أن نذكر شيئاً عن مغامرات أحمد عند لقائنا مع إبن شقيقته غازي علاوي، باعتبار أنه يتصرف معه باعتباره الخال، رغم أنهما في العمر نفسه تماماً.

غازي علاوي يقول لنا: هذا خالي مجنون. ذاهب الى شيكاغو، تنتظره شقة فخمة وسيارة فاخرة وخزانة مليئة بالثياب والنقود التي يريد وفاتنات شيكاغو جاهزات، ولا أحد يسأله أين ذهب وماذا فعل، وهو يبكي قبل السفر لأنه يريد أن يبقى مع والدته.

أول قضية كبرى أدهشني أحمد بها حصلت في أواخر أيار عام ١٩٦٧. يومها كان الشرق الأوسط يضج بالتحدي الذي أطلقه عبد الناصر بوجه اسرائيل. وكان الجميع، دون استثناء، يعتقدون ان اسرائيل أصبحت أمام أحد خيارين: اما الإستكانة او الدمار. كنا في جدال تحد حول الموضوع، فأصرّ أحمد علينا، ناصر الخليل وأنا، أن نذهب معه الى بيته. حيث أحضر محضراً منشوراً لإجتماع للجنة الخارجية أو الدفاع في مجلس

الشيوخ الأميركي، يومها لم يكن الحصول على معلومات عبر الكمبيوتر، أشار المحضر الى كلام الوزير، مع حذف كل ما قاله باعتبار أنه لا يجوز نشره. بعد ذلك تكلم أحد الشيوخ فأشار الى الحرب وسأل الوزير: بعد كل هذا أتبقى على إصرارك بأن إسرائيل ستهزم العرب مجتمعين وهي منفردة. أجابه الوزير : نعم. قال لنا أحمد: هذا يدلّ أن ما تم حذفه للسرية هو تفاصيل قوة اسرائيل ومقارنتها بقوة العرب. لم نقبل ما قاله أحمد وأخذنا نناقشه فقال : أتظنون أن عاطفتي ليست كعاطفتكما؟ ولكن هذا هو الواقع. في ٥ حزيران ثبت أن ما قاله أحمد هو الواقع.

بعد الدكتوراه دخل أحمد الجامعة الأميركية مدرساً للرياضيات. وبسرعة عجيبة، ونتيجة عمله الدؤوب في تجميع التبرعات لمشاريع الجامعة أصبح مساعداً للعميد. ثم تم اختياره رئيساً للجنة القبول. عندها رفض إدخال طلاب الواسطة في لائحة اللجنة. عند مناقشته في الموضوع سأله أحد المسؤولين: أليس من حق رئيس الجامعة أن يدخل من يشاء، فأجابه: نعم، ولكني لن أدخل من يشاء الرئيس في لائحة اللجنة، ليعط الرئيس اللجنة عدد الذين يحق لها قبولهم وليصدر وحده لائحة بمن اختارهم. هذا ما حصل حينذاك، وكان القبول عبر لائحة الرئيس وصمة للمقبول.

علمت بعد ذلك أن أحمد سيترك التدريس وسيتوجه مع ابن شقيقته، علي علاوي، لإنشاء مصرف في الأردن.

حزنت لهذا القرار وأبلغت شقيقه طلال بذلك، إلا أني لم أقل شيئاً لأحمد.

بسرعة غير طبيعية نما ذاك المصرف وتم فتح مصرفين شقيقين له في واشنطن وفي الخرطوم. وأدخل أحمد الكمبيوتر في العمل المصرفي ليكون الأول في الشرق الأوسط في هذا المجال. بعد ذلك علمت أن لجنة من شركة بوروز الأميركية قد أرسلت بعثة لدراسة كيفية تشغيل أحمد للجهاز المشترى منها، لأنه يحصل منه على ما يفوق ما أعد له أصلاً بكثير. وأخذ أحمد يتوسع في هذا المجال، وفجأة انهارت جميع المؤسسات التي يديرها وشقيقاتها. أحمد هرب من الأردن بعد أن أُبلغ أنه بالتأكيد سيتم تسليمه إلى صدام حسين. في حينه حصل بيني وبين أحمد واقعة لن أنساها، ولا يمكنني روايتها ، وهي تدل أن المتهم باختلاس ما يفوق مائتي مليون دولار، لم يكن يملك شيئاً على الإطلاق.كما علمت بقصة ثانية، لن أرويها أيضاً، تدل بوضوح على ذلك. دخل العمل المصرفي ثرياً وخرج منه مفلساً ومتهماً.

قناعته كانت أن الحكم في العراق هو وراء إفلاسه وأذكر أني قلت له يوماً: لو كنت محل الحكم في العراق سألاحقكم خارج العراق. أجابني: عندها سنتوقف عن الإستكانة وسيشهد الحكم ما يحصل له.

أحمد أساساً تقليدي في الرؤية السياسية، شيعي المذهب والهوى، وهكذا انطلق في حربه على صدام حسين. يقولون أنه كذب على الأميركان، ، ولا أصدق أن تركن الولايات المتحدة إلى قول شخص واحد. وأنا أقول أن الحاكمين في حينه في الولايات المتحدة أرادوا أن يبرروا نتيجة أرادوها. إصطدم أحمد بهم خلال مدة قصيرة من دخولهم العراق. هو يقول أنهم لا يفهمون، وأنا أقول إن غايتهم هي غير ما اعتقدها أحمد.

رحـم اللـه أحمـد، كان شـخصاً نـادراً مـن النواحـي جميعـاً ، وكنـت دائمـاً أحبـه وأسـتمع اليـه بشـغف لأني أكتسـب مـن كل كلمـة قالهـا. إلا أني كنـت أشـتُمُه، لأنـه اختـار بـدل أن يكـون منافسـاً للأسـماء العلميـة الكـبرى أن يكـون منافسـاً للـدوري والمالـكي واخواتهـما. كنـت أشـتُمُ جرأتـه التـي تجعلـه في كل لحظـة يغامـر بـكل وجـوده الشـخصي والعائـلي.

رحـل الحـاج أحمـد ونحـن قابعـون هنـا يلفنـا القهـر مـع أبي نـواس في شـكواه بـأن الـدور في بغـداد قـد عمـرت بمـن لا نحبـه وعمـرت بمـن نحـب المقابـر.

وأخيراً أسرق من قناة العربية ما ختمت به حلقة عن أحمد ببيتين من شعر أبي العلاء

أترومُ من زمنٍ وفاءً مرضياً   إنَ الزمانَ، كأهله، غَدار

تقفون، والفلك المسخّر دائر،   وتقدرون، فتضحك الأقدار

خالد لطفي

١٤ نوفمبر ٢٠١٥

مستقبل ديمقراطي من أجل العراق

مع اقتراب نهاية حرب الخليج، تنعقد الآمال على أن الغرب المنتصر- وبخاصة الولايات المتحدة- لن يترك الشعب العراقي الذي عانى طويلاً، وقد أصبح الآن ضحية لحرب صدام حسين بعد إذ كان طوال الوقت ضحية لديكتاتوريته، ليصبح ضحية للسلام. إذ إن استمرار الديكتاتورية سيكون- في آن واحد- ظلماً لهذا الشعب وقراراً غير حكيم من جانب الغرب. لا لأن العراقيين يستحقون فرصة للديمقراطية فحسب، بل أيضا لأن عراقاً ديمقراطياً سيكون من مصلحة الغرب على المدى البعيد.

وإذا كانت المعلومات المتوفرة عن المعارضة السياسية لصدام حسين قليلة، فإن ذلك يرجع جزئياً لكون الغرب يتجاهلها منذ زمن طويل. نابذاً إياها بوصفها غير مؤثرة وطائفية، ومفضلاً الاستقرار السياسي للدكتاتورية باعتباره أسهل في تسيير الأعمال. لقد كان صدام ماهراً في استغلال آمال الغرب في فرص استثمارية هائلة في العراق. وصور نفسه كحاكم عصري ناجح يباشر برنامج تنمية هائلاً يتيح للشركات الغربية توقيع تعاقدات مربحة للغاية. وأقنع الحكومات والبنوك الغربية بتمويل نفقاته الجامحة، واستطاع أن يجعل الحكومات الغربية تمرر انتهاكاته اللا إنسانية ضد شعب العراق من دون ردة فعل إلا قرصة الأذن الروتينية.

المخاوف من إيران

في الشرق الأوسط، لعب على المخاوف السعودية والكويتية من إيران الثورية واحتمالية تفوُّق الشيعة والأكراد في عراق ديمقراطي ليحث الدولتين على أن تدفعا له عشرات المليارات من الدولارات. أما في الداخل، فكانت الحرب سلاحه الأثير ضد المعارضة. ففي غضون أحد عشر عاماً هي فترة رئاسته، ظلت البلاد تحارب لتسعة أعوام، وكان أحد أسباب غزوه للكويت خوفه من تزايد المطالب من أجل الديمقراطية.

ورغم عقود من الديكتاتورية وتعاقب الحكومات العسكرية التي أعاقت المؤسسات المدنية في البلاد، لا تزال الديمقراطية في العراق ممكنة. أحد أسباب ذلك هو التنوع الذي يتمتع به المجتمع، وتعدد المجموعات الإثنية والدينية، وهو ما سوف يساعد الحكومة الديمقراطية ويحميها عبر الرقابة المتوازنة على مراكز القوى غير المسؤولة. هذه الرقابة التي سوف تقنن من خلال الترتيبات الدستورية.

عامل آخر يجعل العراق ناضجاً للديمقراطية هو طبقته الوسطى الكبيرة التي تلقت تعليماً جيداً، والتي ظلت تتزايد منذ نهاية الحرب العالمية الثانية. وتتضح قدراتها في القوة العسكرية المذهلة التي ظل صدام قادرا على حشدها. هذه الطبقة الوسطى، فور تحررها، سوف تكون الأساس الذي تقوم عليه الديمقراطية.

حتى الآن، ظل التطور الديمقراطي معطلاً على يد نظام سياسي ماكر، قام لكي يحافظ على الهيمنة السياسية لأقلية طائفية، العرب السنة. وظلت القضايا السياسية المشروعة تُمنع من المناقشة العلنية لكي تتمكن القوة

السنية من البقاء في مواجهة الأكراد والعرب الشيعة، اللذين يشكلان معاً ما يصل إلى ٨٠٪ من تعداد سكان العراق. وهكذا كانت الدعوات المطالبة بالقضاء على الطائفية توصف بأنها هدامة. واستُغلت القومية العربية لدى الشيعة، واستُخدمت في حروب التطهير العرقي ضد الأكراد.

ويعد العراق واحداً من البلدان القليلة في العالم التي بها قوانين سارية تخلق فئتين من المواطنة. وقد استخدم صدام تلك القوانين بكثرة لحرمان مئات الآلاف من الشيعة والأكراد العراقيين من مواطنتهم، ومصادرة ممتلكاتهم وترحيلهم. لكن هذا لا يعني أن العرب السنة في العراق لم يكن لهم نصيب من رعب صدام. لقد قتل وسجن وعذب بعضاً من أكثر الناس تحققاً واحتراماً في مجتمعهم. لكن جريمته الأسوأ ضد السنة أنه زرع فيهم خوفا من المستقبل. فمن خلال وحشيته تجاه أغلبية السكان، جعل فصيله نفسه خائفا من الانتقام. هذه الدائرة من الخوف في السياسة العراقية يجب أن تُكسر. والطريق الوحيد لذلك هو الديمقراطية.

لم يكن لصدام قط أي مبرر شرعي لحكم العراق. بل انتزع الطاعة عبر الإرهاب والرشوة. وهكذا فإن تدمير جهازه القمعي سوف يدمر أيضاً قدرته على السيطرة على البلاد. وتستطيع المعارضة الموحدة أن تنال شرعية حقيقية من خلال تعهدها بإجراء انتخابات حرة وصياغة دستور. على العكس من ذلك، فإن نجح أي شخص من الدائرة المحيطة بصدام في الإطاحة به، سوف يجد نفسه عاجزاً عن البقاء في السلطة في الأرض الخراب التي سيصبح عليها العراق.

لقد أصدر الأطراف الخمسة الأساسية للمعارضة في العراق (الإسلامية، القومية الكردية، الديمقراطية، الشيوعية، والقومية العربية) بيانا مشتركا في ٢٧ ديسمبر، وشكلت لجنة عمل لمتابعة تنفيذ البيان. ويدعو البيان إلى الإطاحة بالديكتاتورية في العراق، وإنشاء نظام دستوري برلماني وانتقال سلمي للسلطة عبر صناديق الاقتراع. كما يدعو أيضا إلى إرساء الحريات الديمقراطية وحماية حقوق الإنسان في العراق. وهذا أمر من الممكن تحقيقه عبر تشكيل حكومة انتقالية تمثيلية موسعة تضمن انتخابات حرة لجمعية تأسيسية من أجل صياغة دستور.

يمثل البيان لحظة مهمة في التاريخ السياسي للعراق. وقد اتفق الموقعون على إعلاء القيم الديمقراطية والدستورية للحريات الفردية وحقوق الإنسان فوق خلافاتهم الأيديولوجية. لقد وصل كل أطراف المعارضة إلى تفاهم بأن أحداً منهم لا يستطيع فرض أيديولوجيته على العراق.

العراق سيخرج من الحرب بدون بنية تحتية تقريباً. إذ إن أكثر من ٨٠٪ من قدرة التوليد الكهربي وشبكة الكهرباء دُمرت بالفعل. أغلب جسور البلاد خارج الخدمة والمطارات وشبكة الطرق متهالكة على نحو خطير. منظومة الاتصالات خربة، ومنظومتا تنقية المياه والصرف الصحي مضعضعة. والعراق أصبح يستورد منتجات النفط المكررة لأن معظم مصافي التكرير مدمرة. وبعد مرور سبعة أشهر من الحصار الاقتصادي الأكثر فاعلية في التاريخ، انخفض مخزون الطعام. فك تجميد الأصول العراقية سوف يستغرق سنوات. والمطالبات والقضايا

المتراكمة من ضحايا اعتداءات صدام سوف تحتجز ما يتبقى من السيولة النقدية العراقية لزمن طويل، بينما ديَّانة العراق يطالبون بسداد الديون المتأخرة التي بلغت ١٠٠ مليار دولار. سيصبح العراق تحت رحمة الآخرين كما لم يحدث من قبل قط.

الولايات المتحدة وأوروبا واليابان تمتلك موارد اقتصادية تمكنها من المساعدة، لكن الولايات المتحدة وحدها هي من يمتلك وجوداً عسكرياً وسياسياً يمكن استخدامه في المساعدة على تعزيز الديمقراطية. هكذا، يجب على الولايات المتحدة أن:

١-تصرح بدعمها غير المشروط لحكومة ديمقراطية في العراق. لا يكفي أن تعبر عن أمانيها بالإطاحة بصدام.

٢-تعرب عن دعمها الحفاظ على وحدة العراق الإقليمية ودمج العراق الديمقراطي في نظام أمني إقليمي.

٣--تعرب عن دعمها لجهود إغاثة العراق وإعادة إعماره وإعادة هيكلة ديونه.

كوارث لا تحصى:

لقد جلبت حروب صدام على الشعب العراقي كوارث لا تحصى. إذ تجاوز عدد ضحايا الحرب الإيرانية مليون شخص أي ٦٪ من إجمالي تعداد السكان و٢٠٪ من الذكور البالغين. وأهدر على الحرب ما يقرب من ٣٠٠ مليار دولار. وكلفة الخسائر البشرية في الحرب الحالية ستكون هائلة من دون شك. كل ذلك حدث من دون رضا الشعب العراقي. وإنه لأمر مناف للمنطق أن يصبح الشعب العراقي، وهو الذي عانى من صدام طويلاً، ضحية للحرب التي شنت لمعاقبة صدام وإخراجه من الكويت.

لقد أعلنت بريطانيا بالفعل عن دعمها للديمقراطية في العراق. والمتوقع أن تحذو بقية أوروبا حذوها قريباً. وتركيا بصدد تطوير نظرة جديدة شجاعة للأكراد ربما تجعل خوفها من دور كردي في حكومة عراقية يتراجع. وما تبقى من مخاوف عالقة لدى جيران العراق بشأن الديمقراطية في العراق يمكن أن تخففها منظومة أمنية إقليمية موثوق بها. إن «الاستقرار» في العراق لم يجلب السلام على المنطقة. لكن الديمقراطية قد تفعل ذلك.

السيد الجلبي رجل أعمال عراقي يعيش في لندن
أحمد الجلبي
جريدة الوول ستريت جورنال
٢٨ شباط ١٩٩١
(مترجمة عن الإنكليزية)

مع سماحة السيد عمار الحكيم

انتخابات ٢٠١٠

بغداد

مع أياد علاوي

نادي الصيد العراقي مع سالم الألوسي

مع آية الله العظمى سماحة الشيخ بشير النجفي

مع هوشيار زيباري

مع المرحوم
السيد محمد بحر العلوم

مع عادل عبد المهدي

مع أمير البهرة محمد برهان الدين

نصير الجادرجي ,بغداد ٢٠١٠

بابل ٢٠١٠

مع المرحوم فاخر بك ميران ,أربيل ٢٠١٠

مؤسسة عبد الهادي الجلبي الخيرية للأطراف الإصطناعية ,بغداد ٢٠١٠

شارع المتنبي ,بغداد ٢٠١٤

مع شبلي ملاط ,بغداد ٢٠١٤

مع وليد جنبلاط وشبلي ملاط ,لبنان ٢٠١٤

مع احمد كريم وكامران فاخر ,بغداد ٢٠١٤

انتخابات ٢٠١٤

مع آراس حبيب وباسم كربلائي ,بغداد ٢٠١٤

REUTERS
العربية

خطاب أحمد الجلبي

رئيس البعثة العراقية

جمهورية العراق

الذي ألقاه في اجتماع الجمعية العمومية للأمم المتحدة الـ ٥٨ في مدينة نيويورك

٢ أكتوبر ٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

سيدي الرئيس، أصحاب السعادة، السيدات والسادة

أقف أمامكم اليوم وأنا أمثل صوت المواطن العراقي الذي عانى طويلاً من القسوة داخل وخارج بلاده. داخل بلاده هناك من مارس عليه أسوأ أنواع التعذيب ، اعتدوا على شرفه وخذلوا عائلته ،أذلوه كما وقيدوه ورموه في حروب بائسة. إخوان هذا المواطن العراقي وأصدقاؤه في المنطقة لم يكونوا صامتين وجاهلين وعُمياً فحسب تجاه الكارثة التي يتعرض لها هذا المواطن، بل انتقدوه وأذلوه عندما تجرأ على رفع صوته. وفي كافة أنحاء العالم كان هناك من سعى للاستفادة من الوضع ، فعملوا وتاجروا مع جلاده.

هناك القلة ممن قالوا الحقيقة ودافعوا عنها. وقلة أخرى أدارت انتباهها لهذه الكارثة التي يعانيها هذا الإنسان واعتبرته ضحية. لم نسمع أي رد لنداءاتنا، فبقي العراقي تائهاً ومضطهداً مرتين : الأولى من قبل السيف الظالم الذي استخدمه نظام الطاغية في بلده للاعتداء عليه، والثانية من خلال الإنتقادات الموجهة له من الخارج والتي كانت المصيبة الاكبر. ولكن العراقي لم يستسلم، فكان مثابراً وصبوراً واستمر في نضاله من خلال فكره وكلماته وأفعاله حتى التحرير والتي كانت المرحلة المثالية التي كان يحلم بالوصول إليها.

أقف أمامكم اليوم للتعبير قدر الإمكان عن صوت الفرد العراقي، حيث نعلن سوياً نهاية الصمت. أطلب منكم الاستماع إليه فرداً فرداً.

أقدم لكم اليوم أربع حقائق مهمة لأبرهن من خلالها حقين أساسيين.

الحقيقة الأولى التي سأبدأ بها هي أنه قد تم إنهاء ليلة العراق الظلماء الطويلة. لقد انتهت تجربة الإذلال والألم والمأساة الأليمة التي عانى منها العراقيون لأكثر من ثلاثة عقود. لقد انتهت بفرار صدام حسين والمقربين منه وبسقوط الرموز التي غرزوها في بغداد وفي كافة أنحاء العراق.

أما بالنسبة للحقيقة الثانية، فهي أن تحرير العراق هو تحرير بالفعل ، لم يكن ممكناً دون عزم الرئيس جورج بوش الابن والتزام التحالف بعملية التحرير. الولايات المتحدة وبريطانيا هما في المقدمة. نحن ندعو

اليـوم الأصـواتَ المشـككة في نوايـا حكومتـي أمـيركا وبريطانيـا في السـعي نحـو التحريـر لزيـارة المقابـر الجماعيـة والأهـوار الجافـة وكذلـك لزيـارة مدينـة حلبجـة المعرضـة لهجـوم كيـماوي، والتمعـن في لائحـة المفقوديـن الذيـن سـلبهم النظـام حقهـم الأسـاس في العيـش.

الحقيقـة الثالثـة هـي أن التحريـر أتى تجسـيداً لإرادة عراقيـة وطنيـة وشـاملة. أتى التحريـر نتيجـة العمـل الـدؤوب للمعارضـة العراقيـة خـلال أعـوام طويلـة سـقط خلالهـا العديـد مـن الشـهداء. الشـهيد آيـة اللـه محمـد باقـر الحكيـم ورفاقـه لم يكونـوا آخـر الشـهداء الذيـن كانـوا قرابـين للعـراق، فليرحمهـم اللـه. هـم أضافـوا صفحـة جديـدة إلى سـجل الشـجاعة العراقيـة في ٢٩ أغسـطس الـذي أصبـح يـوم الشـهيد العراقـي. أيضـاً الشـهيدة عقيلـة الهاشـمي، والتـي كان مـن الممكـن أن تكـون معنـا في هـذه القاعـة اليـوم، لم تعـفَ مـن المـوت.

ليـس لدينـا أدنى شـك أن إزالـة نظـام صـدام جـاءت نتيجـة تراكـم الإرادة العراقيـة الوطنيـة والتـي كان لديهـا إصرار عـلى إزالـة ذاك الكابـوس مـن قلـب الوطـن. ومـن هنـا تظهـر الحقيقـة الرابعـة وهـي أن سـقوط النظـام هـو مجـرد بدايـة ولادة العـراق الجديـد. وهـذه الـولادة التـي حـضّر لهـا الكثـير مـن العراقيـين الأوفيـاء أصبحـت جاهـزة.

اليـوم نحـن نواجـه تجربـة فريـدة مـن نوعهـا في العـراق، والـذي سـيثبت نجاحنـا هـو إرادة الخـير ونـشر التطـور والحريـة. أقـف هنـا اليـوم لـكي أؤكـد أننـا في العـراق لـن نقبـل إلا النجـاح. لـن نسـمح لعصابـة تسـتخدم المرتزقـة والإرهابيـين بـأن تمنـع الفـرد أو المجتمـع أو الوطـن بأكملـه مـن غـد مـشرق.

بـلاد ذات النهريـن، مهـد الحضـارات في السـومرية، عقـاد، بابـل وآشـور، بـلاد السـلام، بـلاد الخليفـة وبيـت الحكمـة وطـن قانـون حمـورابي وموقـع العلـم المسـتمر والأدب والشـعر والإنجـازات الذهنيـة يعتمـد أولا وأخـيراً عـلى مصادره البشريـة قبـل مصـادره الطبيعيـة ومصـادره النفطيـة. وبنـاءً عـلى هـذا الغنـى البـشري، يمكـن للعـراق أن ينجـز صحـوة تأخـذه مـن قبضـة الشـمولية والخـوف إلى الإسـتقرار والإنتعـاش والمسـامحة. مـا يمكـن أن يدخلـه المجتمـع الـدولي في العـراق سـوف يعـود عليـه أضعافـاً مضاعفـة. ضعـوا ثقتكـم في العـراق، خـذوا منـه الإسـتقرار والإنتعـاش وسـوف تـرون أنـه سـيمتد إلى المنطقـة والعـالم بأكملـه.

العـراق الـذي نريـد هـو عـراق الفـرد اللامـع. أكـثر مـن ٦٠ في المئـة مـن الشـعب العراقـي هـو تحـت سـن العشريـن. أولويتنـا في تحضيرهـم للقـرن ال٢١ هـو إعطاؤهـم القيـم الثقافيـة والتربويـة التـي تسـمح لـكل واحـد منهـم إظهـار كرامتـه واحـترام الـذات.

في الفـترة الماضيـة عـانى العـراق كبعـض البلـدان الأخـرى مـن أسـوأ مـا قدمتـه العقائـد في القـرن ال٢١. كان الفـرد مقهـوراً مـن قبـل الجماهـير، والجماهـير مقهـورةً مـن قبـل الثـورة والثـورة مقهـورةً مـن قبـل الحـزب والحـزب مقهـوراً مـن قبـل القائـد. النتيجـة كانـت أن الفـرد كان مندرجـاً تحـت عـدة طبقـات مـن الإسـتضعاف التـي تمحـي فرديتـه وتجعلـه مـادة للإسـتهلاك في الدفـاع عـن الوطـن والإقتصـاد باسـم الثـورة أو لتقديمـه قربانـاً للقائـد. نحـن اليـوم نؤكـد أن همـوم العراقيـين لا تختلـف عـن همـوم الآخريـن في العـالم. عـراق الغـد يجـب أن ينطلـق مـن فكـرة

أن المواطن الفرد هو أساس السيادة ونقطة الإنطلاق للتشريع. حقوق الفرد هي الحقوق الأساسية، وحقوق المجموعة تتفرع من هذه الحقوق.

العراقيون كالآخرين مصرّون على نيل حقوقهم المتعلقة بالكرامة والحرية والعدالة والسلام. وتأكيد هذه الحقوق هو أساسات عراق الغد. إن كرامة الإنسان في العراق سوف تكون محمية دون أي إستثناء بسبب المستوى الإجتماعي أو الوضع المادي. لن نسلب أي متهم كرامته حتى وإن كان مداناً . نبدأ من الكرامة لأن النظام السابق كان يعمل على إقناع الفرد أن كرامته هي هبة من الحاكم. نحن اليوم نثبت أن كرامة الوطن تنبع من كرامة كل مواطن فيه.

كما الكرامة، الحرية أيضاً. الحرية ليست هدية من الحاكم أو الحكومة. هي مبدأ، وأساس وخلاصة الكائن البشري. الحرية المسؤولة والتي لا تؤثر سلباً على حريات الآخرين هي لبّ العُقد الإجتماعي. بالرغم من التجاوزات التي ألحقها الدخلاء والمتسللون مع سقوط النظام الظالم، فقد أثبت العراقيون لأنفسهم أن الحرية لا تعني الفوضى.

كما يسعي الفرد غريزياً للحرية فهو أيضاً لديه ميل لطلب العدل. العدل سوف يكون معتقداً أساسياً يثبت حيادية وإستقلالية السلطة القضائية. النظام السابق سلب العدل وجعل أجهزة الدولة وسائل للإضطهاد والسيطرة.

أخيراً وليس آخراً وبعد الحروب السيئة التي قتلت الناس ودمرت الأوطان وخلقت الكوارث، سوف يلتزم العراق الجديد بسياسة دفاع جديدة أُسسها السلام. العراق سوف يكون ناشطاً من أجل السلام في المنطقة والعالم.

نحن ذكرنا أن أول هذه المبادئ الأساسية هو الكرامة والحرية والعدالة والسلام لأنها تمثل أساس المستقبل السياسي. العراق الجديد سوف يدعم كل حقوق الإنسان، بدءاً من الإعلان العالمي لحقوق الإنسان بما فيها حق الإنسان بالعيش والملكية والسعي لإيجاد السعادة.

سنتحمل المسؤولية كي يكون العراق في قوانينه وتشريعه عادلاً لكل شعبه. لا أحد فوق القانون، وطبعاً لن يكون هناك أي تفرقة على أساس الدين، الطائفة، اللغة، العرق، الجنس، المستوى الإجتماعي أو القبيلة. النظام السابق قد دخل في عمق هذه الفوارق. ولكن العراق الجديد سوف يعتمد على العدالة والتساوي.

المرأة العراقية قادرة على أن تُنجز وتتفوّق، وبكرم روحها يمكنها تحمل كافة المسؤوليات الوطنية، ويبقى عمل المجتمع أن يزيل العوائق الإضافية التي تعيق تقدمها.

الحوار الدائم المطلوب بين الفرد العراقي والدولة التي تمثله وتخدمه سوف يكون على أساس النظام الديمقراطي والتمثيلي الصادق. هذا النظام يقوم على مبدأ فصل السلطات ويدعم الإنتخابات كحكم نهائي. لا يهمنا المظهر الديمقراطي بل يهمنا أمان النظام السياسي الذي يجسد الروح الديمقراطية. أساسات هذا

النظام هي: أولاً، فصل السلطات من خلال كتابة إطار دستوري يضمن عدم التداخل بين السلطات القضائية والتشريعية والتنفيذية. هذا يضع أساساً سليماً لمراقبة كل جهة عمل الآخر. ثانياً: تأكيد المساءلة بدءاً من الإشراف الذي ذكرناه أعلاه ثم الذهاب لإنتخابات تكون المدخل الأساس للفرد للمشاركة في السياسة وأخيراً الوصول إلى تمكين المجتمع المدني من خلال الصحافة الحرة والنقابات والمؤسسات المستقلة. هذه الجهات سوف تأخذ دور المراقب، الناقد والساعي نحو السلطة في كل أوجهها. الأساس الثالث هو الحفاظ على الشفافية التي تنبت من حقيقة أن مصدر السيادة هو المواطن. الدولة موجودة لكي تخدمه هو وتتم مساءلتها من قبله. حقه أن يستعلم عن أعمالها وليس من حق الدولة أن تخفي هذه المعلومات. رابعاً: أن يتم إحترام حقوق الأقلية مقابل الأكثرية. هنا من المهم التفرقة بين الأكثرية السياسية والأقلية السياسية والأكثرية الطائفية والأقلية الطائفية. الأكثرية أو الأقلية السياسية تظهر من خلال صندوق الإقتراع وليس من خلال إحصاءات سكنية وليس من خلال مقارنة العلاقة بينهم. ليس من حق أحد أن يطالب بحق سياسي على أساس أكثرية طائفية مفترضة. نحن لا نريد أي توزيع سياسي أو طائفي أو وطني في العراق. نظام تمثيلي فدرالي سياسي يمكن أن يعبر عن مصالح المواطنين العراقيين بمعزل عن دينهم وإعتقادهم وعرقهم أو لغتهم.

إذا كانت الفترة السابقة مثلت السلطة المحدودة التي أساءت إستخدام السلطة فإن عراق الغد سوف يستند على أساس السلطة المحلية ضمن إتحاد فدرالي. الفدرالية في المفهوم العراقي اليوم ليست بتقسيم الوطن، بل هي وسيلة تسليم السلطة وإعادة تأهيل المواطنين في المناطق المختلفة ليكونوا مسؤولين عن شؤونهم الخاصة بمناطقهم دون التدخل الدائم من قبل السلطة المركزية. نحن نعتمد على النظام الفدرالي، مثل النظام الديمقراطي نتيجة فهمنا الواضح للعلاقة بين المواطن العراقي والدولة. العلاقة ليست علاقة وصاية لأن المواطن العراقي ليس قاصراً ولا يحتاج إلى تدخل الدولة بكل شؤونه. همنا أن تكون العلاقة علاقة إهتمام حيث الدولة هي الخادم اليقظ لأمان المواطن، وأن تكون علاقة رعاية في بعض المناطق وخاصة للشباب من خلال تقديم الخدمات الإجتماعية والتربوية والصحية.

لإستكمال فهمنا للفدرالية، وعلى عكس التجاوزات القومية للنظام الفائت، نحن نعلن أن العراق هو دولة واحدة دائمة وكاملة. ولا يوجد ما يناقض أن العراقيين يستمرون في كونهم مع العرب والمسلمين. وهذا لا يتناقض مع الشعور الموجود لدى العراقيين بما يتعلق بثقافتهم وهويتهم. بل هذا يؤكد أن العراق في كل مناطقه، من جباله في أقصى الشمال إلى أهواره وخليجه في أقصى الجنوب، مروراً بالأنهر والسهول والصحارى هي وحدة متكاملة لا يمكن أن تقسم. عندما نعلن هذا الأمر فهذا لا يعني أننا نعبر عن وجهة نظر العراقيين فحسب، بل نعتبره إعتقاداً أساسياً.

نسعى لتقوية القانون ومؤسسات الدولة. هذا يعني، أن السلطة الممنوحة من المواطن تنبعث وتوزع ولا يتم الإستيلاء عليها من قبل مركز سياسي. أي موقع يجب أن يكون على أساس قانوني وليس على أساس الآراء والنزوات الخاصة بالشخص الموجود في ذلك الموقع. النظام السابق أطلق العديد من الأحكام والأنظمة

المجحفة المستندة الى نزعة رجل واحد. البديل في عراق الغد هو تطبيق نظام القانون من خلال السلطة التشريعية المشروعة التي تجسد إرادة الشعب العراقي من خلال سلطة قضائية مستقلة وتحت إشراف جسم قانوني مستقل.

أخيراً وليس آخراً، سوف نعمل على موضوع العلاقة بين الدين والدولة في العراق الجديد. الإسلام هو دين الأكثرية في العراق، بها يتم حفر هوية العراق والدولة وطبيعة الحكم.

في كل الأحوال فإن الإرث الحضاري والمستودع الثقافي القيم لحكم الإسلام هو بدون شك أحد أهم المدخرات في العراق. سوف نستفيد منه من خلال قضاء قائم على التساوي والتعددية. من المهم أن نلفت النظر إلى نقطة يتم تجاهلها عادة: في القرن الماضي كان يتم إستخدام الدين وأخذ ما يلائم رغبات الذين يستولون على السلطة منه. كانت تمحى إستقلالية المؤسسات والمراكز الدينية من خلال الإستيلاء على الأوقاف وفرض تعابير دينية مناسبة لمصالح ذاتية على حساب الآخرين. الدين في العراق هو أحد أهم الأصول للفرد والمجتمع ولن نتخلى عنه لا بمعانيه العدلية أو العقلية ولا معانيه اليومية.

هذه هي النقاط الأساسية لما نريده من أجل بلدنا. حقنا اليوم على العالم هو أن نطلب المساعدة والمؤازرة، ونشكر كل من وقف مع العراقيين في أسوأ ساعاتهم ونسامح اولئك الذين لم يقفوا معنا.

من المهم لكل بلاد العالم أن تعترف بأن المأساة التي قد حصلت في العراق في البارحة وإعادة الإعمار الذي يشهده اليوم يمثل حدثاً تاريخياً. على المجتمع الدولي أن يقف مع العراق في هذا الأمر.

هذا ما نريده من أنفسنا وما نريده منكم في طريقنا إلى عراق حر عادل يتسم بالسلام.

نريد عراقاً يعترف بأن الوحدة والتعددية هما وجهان لحقيقة واحدة.

نريد عراقاً يعيد السيادة إلى الفرد المواطن والإنسان وليس إلى القائد.

نريد عراقاً راسخاً في هويته الدينية والثقافية ولكنه متحاور دون قلق مع الإرث العالمي.

نريد عراقاً يستمر مع ماضيه ويتطلع للمستقبل.

نريد عراقاً يعيش في سلام مع نفسه وجيرانه والعالم. والسلام عليكم

سيدي الرئيس:

أقف أمام هذا التجمع كممثل لعراق حر. نشكر كل من ساعدنا في نضالنا للوصول إلى التحرير. إن تحرير بلدنا لم يكن ممكناً دون عزيمة الرئيس جورج بوش الإبن والتزام التحالف وفي مقدمته شعبا الولايات المتحدة و بريطانيا. لن ينسى العراقيون شجاعتكم وتضحياتكم من أجلنا.

أولئك الذين وقفوا مع الطاغية ولديهم شك في نوايا حكومتي أميركا وبريطانيا في السعي نحو التحرير

ندعوهم لزيارة المقابر الجماعية حيث دفن أكثر من نصف مليون من مواطنينا، تعالوا لزيارة الأهوار الجافة، وزيارة مدينة حلبجة حيث تم إنزال المواد الكيماوية على المدنيين، تعالوا وتمعنوا في لائحة المفقودين الذين سلب منهم صدام حسين حقهم الأساس في العيش. ونحن الشعب العراقي نسألكم لماذا قررتم الصمت.

نحن هنا اليوم لكي نعلن ولادة عراق جديد. عراق نضمن فيه الكرامة والعدالة وحقوق الإنسان لكل المواطنين. عراق يعيش في سلام مع شعبه وجيرانه والعالم. هذا العراق يقف بجهوزية لكي يستعيد مكانه الشرعي والحقيقي في المجتمع الدولي للبلاد الحرة والعزيزة.

أحمد الجلبي
رئيس البعثة العراقية
جمهورية العراق
نيويورك - ٢ أكتوبر ٢٠٠٣

بسم الله الرحمن الرحيم

البدر المفقود في ليلة الظلام

في آخر ليالي تشرين الأول من عام ١٩٤٤ رُزق الحاج عبد الهادي الچلبي والحاجّة بيبي حسن البصام بابنهما الأصغر أحمد، كانت عائلة الچلبي تسكن مدينة الكاظمية في بغداد، وكان أفرادها هم الحكام الاداريين لهذه المدينة المقدسة في العهد العثماني، كما كانوا يشكلون حلقة التواصل بين السكان من أهالي المدينة والحكام العثمانين آنذاك.

تسنم الحاج عبد الحسين الچلبي الذي هو جد الدكتور أحمد الچلبي عدة حقائب وزارية، كان من بينها حقيبة وزارة المعارف، وكان لابنه الحاج عبد الهادي الچلبي الأثر الكبير في تشكيل نواة الجيش العراقي وذلك بتعاونه مع جعفر باشا العسكري ومن خلال أهالي الكاظمية أنفسهم شُكّل فوج موسى الكاظم(ع).

وتزامناً مع ولادة (أحمد) انتخب والده عبد الهادي عضواً في مجلس النواب، وكانت هذه مرة من مرّات عدّة يُنتخب فيها عضواً في المجلس المذكور، الا انه وإلى جانب ذلك كان يطور اهتماماته التجارية لتشمل الأراضي الزراعية، وليكون بعد ذلك أحد أكبر المزارعين في العراق، وكان أول من استثمر الأجهزة الحديثة في الشرق الأوسط والمنطقة في مجال المطاحن، وكان الى ذلك أول من بنى المنازل المتطورة في ما كان يسمى بمدينة الهادي يومها وما يسمى اليوم بمدينة الحرية وهي عبارة عن مناطق سكنية لهم اقتُطعت من المزرعة الكبيرة التي كان يملكها عبد الهادي.

و قد أسس عبد الهادي الچلبي وطوّرعلاقات واسعة ومميزة مع مختلف الطوائف والأعراق والإثنيات في البلاد، كما كان يملك أفضل العلاقات مع العائلة المالكة في العراق حينها.

تربى أحمد في بيئة انفتح عليها كل أبناء الشعب العراقي، دون قيد أو تمييز ، فقد كان منزل عائلة أحمد الجلبي ملتقىً لشتى الطبقات، بمن فيها السياسيون والحكام ورجال الدولة.

بدأ أحمد مشواره الدراسي في مدرسة (مدام عادل) في بغداد، ومن ثم (كلية بغداد) التي كان يديرها اليسوعيون الاميركان . حين كان في الثالثة عشرة من عمره وقع انقلاب ١٤ تموز ١٩٥٨، الذي قلب نظام الحكم في البلاد من الملكي الهاشمي الى الجمهوري، وكان حينها الحاج عبدالهادي الچلبي في زيارة رسمية الى ايران، حيث كان يشغل منصب رئيس مجلس الاعيان في العراق. واضطّر أحمد يومها لمتابعة الدراسة في خارج العراق.

كانت تلك أولى أيام أحمد في المنفى، حيث التحق بمدرسة (سيفورد) Seaford College في بريطانيا. فظهر نبوغه وموهبته سريعاً في الرياضيات، الأمر الذي أدى الى إكمال فترة دراسته بسرعة كبيرة، وفي عام ١٩٦١ تابع

دراسة الرياضيات في (ماساتشوستس انستتيوت اوف تكنولوجي) Massachusetts Institute of Technology ، التي تُعدّ من أهم الجامعات الاميركية والعالمية في مجالات العلوم والرياضيات، وفي عام ١٩٦٥ قررأحمد زيارة العراق من جديد، فذهب الى النجف الأشرف، وتعرف على المرجع الديني الأعلى المرحوم السيد محسن الحكيم، وعلى ولديه الشهيدين: السيد مهدي الحكيم والسيد محمد باقر الحكيم (رحمهما الله)، وقد تعرف حينهاعلى واحد من أصدقاء عمره وهو المرحوم السيد محمد بحر العلوم. ومن خلال هذه الزيارة إنطلقت علاقته مع الشهيد السيد محمد باقر الصدر، حيث قام أحمد بإرسال عدة كتب له، تبحث في الرياضيات والمنطق، والتي كونت فيما بعد الجزء الأهم من كتاب «الأسس المنطقية للاستقراء» الذي ألفه الشهيد الصدر.

ومن ثم حصل على شهادة الدكتوراه في الرياضيات من جامعة شيكاغو وكان عنوان أطروحته:

Ring Theory in Group Algebra

لم تُغرِ العروض الكثيرة التي تلقاها الدكتورأحمد في أمريكا قبل عودته الى عائلته خاصّةً والى الشرق الاوسط عامّةً، وبعد عودة الدكتور،عيّن أستاذاً للرياضيات في الجامعة الاميركية في بيروت (AUB).

بدأ مشواره في النضال السياسي ضد نظام البعث في عام ١٩٦٩، حيث اصطحب أخاه الدكتور حسن الچلبي إلى طهران واجتمع مع أقطاب المعارضة حينذاك، ومن ضمنهم الملا مصطفى البرزاني، وهكذا بدأت علاقة الدكتور أحمد مع الأكراد، حيث سافر إلى منطقة حاج عمران واجتمع هناك من جديد مع الملا مصطفى البرزاني وولديه ادريس ومسعود.

واصل الدكتور أحمد تدريسه في الجامعة الاميركية في بيروت حتى عام ١٩٧٧، حينها طُلب منه أن يؤسس مصرف (البتراء) في الاردن، لِما كانت تربط أسرة الچلبي علاقات واسعة مع العائلة المالكة الهاشمية هناك.

اندلعت الحرب العراقية - الايرانية عام ١٩٨٠، وبدأ تدفق اللاجئين العراقيين الى الاردن، الذين راحوا يطلبون من الدكتور أحمد المساعدة، وأخذ يقدم لهم شتى أشكال المعونات، وراح يوسع من القاعدة المالية للمصرف، لاسيما في مشاريع البنى التحتية والمدارس، لكنه وضع يده على مخالفات مالية كبيرة لنظام صدام حسين فيه، منها اختلاسات في بنك Banca Nazionale di Lavoro (BNL)

وفي عام ١٩٨٩ أخذ الوضع الاقتصادي في الاردن يسوء بشكل كبير، وذلك لاعتماد الاردن على العراق اقتصادياً ، عندها قررت الحكومة الاردنية أن تفرض الحكم العسكري وأن تسيطر على بنك البتراء وتدمجه مع مصرف آخر. أمرت الحكومة الاردنية بوضع الدكتور أحمد تحت الاقامة الجبرية، وقد علم هو من مصادره الخاصة بتوجه أربعة ضباط من المخابرات العراقية لغرض اعتقاله، ثم نقله الى العراق بطلب شخصي من صدام حسين، يومذاك غادرالدكتور أحمد الاردن وأسقط بذلك مخطط اعتقاله، ليتفرغ لمواصلة مشواره النضالي الطويل.

مـارس الدكتـور الچلبـي دور المعـارض الـشرس الـذي لايـكل ولايهـدأ، واسـتعمل شـتى أسـاليب التحـضر والعلميـة لإقصـاء عـدوه ، فعلـم بمـا يمتلـك مـن مؤهـلات علميـة عاليـة أن منازلـة نظـام صـدام والبعـث في العـراق لاتكـون إلا مـن خـلال أسـاليب تفـوق تلـك التـي يعتمدهـا هـذا النظـام الفـاشي المتجـبر .

لقـد نجـح أولا في جمـع المعارضـة العراقيـة تحـت لـواء (المؤتمـر الوطنـي العراقـي) الـذي سـيتفرع منـه فيـما بعـد الفصيـل العنيـد في مقارعـة الدكتاتوريـة والـذي سـيقدم الشـهداء والمعتقلـين والـذي أطلـق عليـه الاسـم ذاتـه (المؤتمـر الوطنـي العراقـي) ليكـون زعيمـه الدكتـور أحمـد الچلبـي منـذ عـام ١٩٩٢.

وفي أواخـر عـام ١٩٩٢ إنتقـل الدكتـور الجلبـي إلى كوردسـتان العـراق ولعـب الـدور الرئيـس في نقـل المعارضـة العراقيـة مـن خـارج العـراق إلى داخـل الأراضي العراقيـة ، وبـدأ بتأسـيس مكاتـب للمعارضـة في صـلاح الديـن وأربيـل والسـليمانية . وفي تلـك الفـترة أخـذ يُضاعـف الضغـط عـلى النظـام البعثـي إعلاميـاً وعسـكرياً ، مـا دفـع بالنظـام إلى القيـام بمحـاولات اغتيـال عـدّة إسـتهدفت الدكتـور الجلبـي راح ضحيّتهـا عـشرات الشـهداء مـن المؤتمـر الوطنـي .

في تلـك الفـترة لعـب الدكتـور الجلبـي الـدور الـذي لعبـه أيضـاً بعـد عـام ٢٠٠٣ في إخـماد نـار الفتنـة والتناحـر بـين الأطـراف الكورديـة رغبـةً منـه في التركيـز عـلى الهـدف الأسـاس وهـو إطاحـة النظـام . وباعـتراف كثيريـن ومنهـم الإدارة الأمريكيـة بأنـه لـولا الدكتـور الجلبـي ودوره في تهدئـة الأوضـاع لـكان الوضـع في كوردسـتان العـراق شـهد تدهـوراً خطـيراً .

كـما أن الدكتـور وظّـف شـبكة علاقاتـه العالميـة الواسـعة لاسـتصدار عـدد مـن القـرارات الدوليـة التـي تديـن الاعـمال الاجراميـة القاسـية عـلى يـد عصابـة البعـث في البـلاد .

وبعـد جهـد أسـطوري عـبّر عنـه الدكتـور احمـد بمسـيرة الالـف ميـل ، والجهـد المضنـي الكبـير الـذي تمثّـل بعبـوره المحيـط الاطلـسي أكـثر مـن مائتـي مـرة كـما عـبّر عـن ذلـك بنفسـه ليقنـع الادارة الامريكيـة باسـقاط صـدام ، نجـح في ذلـك . ففـي عـام ١٩٩٨ أقـرّ الرئيـس الامريـكي بيـل كلنتـون (قانـون تحريـر العـراق) الـذي صـوت لصالحـه مجلـس النـواب ومجلـس الأعيـان في امريـكا, وأقـر خطـةً لانفـاق نحـو ٩٦ مليـون دولار لمسـاعدة المعارضـة العراقيـة, لغـرض الإطاحـة بنظـام صـدام حسـين، وهكـذا اصبحـت إطاحـة النظـام جـزءً مـن القوانـين الامريكيـة، وهـذا مـما يحسـب للجهـد الاسـتثنائي الـذي بذلـه الچلبـي.

يقـول الدكتورأحمـد : بعـد أن نجحنـا في اسـتصدار هـذا القانـون, قمـت بالإتصـال شـخصياً بـكل إخواننـا مـن شـتى مشـارب وتوجهـات المعارضـة العراقيـة. وكان اتصـالي الأول بسـماحة آيـة اللـه السـيد الشـهيد محمـد باقـر الحكيـم , ولم أنفـك عـن مواصلـة العمـل في سـبيل تطبيـق ماجـاء بهـذا القانـون.

وفي التاسـع عـشر مـن آذار مـن عـام ٢٠٠٣ إنطلقـت القـوات الامريكيـة والبريطانيـة باتجـاه اسـقاط نظـام صـدام , لم يكـن أحـد ليصـدق أن رجـلاً واحـداً ينجـح في جـر جيـوش جـرارة لغـرض الاقتصـاص مـن دكتاتـور بـلاده والانتصـار للمسـتضعفين فيهـا. كان الدكتـور احمـد يعـد صفحـة اسـقاط صـدام مرحلـة اولى مـن مجموعـة مراحـل سـتأتي لاحقـاً

و تتضمن إعادة إعمار البلاد ووضعها من جديد على سكة البناء العلمي والمنهجي والعصري , بعيداً عن حكام العشيرة والبدائية والنزقية التي هيمنت على البلاد عقوداً من الزمن .

وفي الثلاثين من كانون الثاني ٢٠٠٣ عبر الدكتورأحمد الحدود العراقية مشياً على الأقدام , وقد وصف هذه المرحلة (بمرحلة الحرية الممنوحة) امام ابناء الشعب العراقي , وجاء الى بغداد ليسكن في بيت عائلته وهو يحمل أفكاره المتحضرة في بناء الدولة , من أي المواقع كان , غير آبه بكل الترويجات التي كانت تشير الى حتمية أن يشغل هو المنصب الأول في الدولة الجديدة .

وفعلاً كانت لخطواته الأولى الأثر العظيم في إنجاح مسيرة التغيير , حيث كانت آراؤه محط اهتمام المرجعية الدينية في النجف الاشرف , ولاسيما اقتراحه المهم في ضرورة إقامة نظام حكم وطني عاجل في البلاد أو (حكومة ائتلافية موقتة) , الأمر الذي لم يرق كثيرا للبيت الابيض, فكانت بداية الخلاف الذي لم يلتفت الدكتور أحمد (رحمه الله) كثيراً لنتائجه في مقابل مواقفه الوطنية الأصيلة, فهو كان يعلم أن من يكسب المناصب العليا في البلاد لابد أن يبقى ضمن دائرة الرضا مع القوى الجديدة فيها , ولاسيما الولايات المتحدة الامريكية , لكنه يصر على اتخاذ المواقف الشجاعة حتى وأن لم تنل رضا هذه القوى, الأمر الذي لم يجرؤ أحد غيره على الحديث عنها , وهذه المواقف أشعلت نائرة الخلاف معه على مستوى بعض حكومات الدول الكبرى , مما يثبت ان الرجل عازم على الابتعاد عن المجاملة على حساب جراح أبناء وطنه , وإن كان ذلك لايؤسس للبناء الشخصي على مستوى الرغبة في الحصول على المناصب العليا في البلاد.

لقد عبّر بول بريمر عن خشيته من الدكتور أحمد مرات عديدة , وكان قد أوضح ذلك في كتابه (عام في العراق).

لقد نجح الدكتور أحمد في إقناع الأطراف المتعددة وبالتنسيق مع المرجعية العليا في النجف الاشرف بضرورة كتابة دستور للبلاد وإجراء انتخابات نيابية على مستوى العراق كله , وهذا الذي اسقط ما في يد الحاكم المدني الذي أذعن لذلك , ولاسيما أن الأمر صار مشفوعاً بطلب المرجعية الدينية في النجف الأشرف .

وبعيداً عن كل الآراء التي كانت تؤكد على ضرورة إشغال الدكتور الجلبي للمنصب الاول في البلاد , كان هو يمارس دور (مطفئ) الحرائق في البلاد نفسها , وكان منهمكاً في تأسيس القاعدة الرصينة لانطلاق عملية الإعمار في بلاد مابين النهرين , وقد تحققت رغبته في إجراء انتخابات عامة في العراق , فكانت الانتخابات الاولى منذ عقود طويلة في الثلاثين من كانون الثاني ٢٠٠٥ .

وبعد تحقيقه رغبته إشتغلت عجلة المؤامرات بشكل أكبر ضده, وجن جنون الخاسرين من نجاحه في بناء الديموقراطية في بلاده، فلم يتوقف الأمر على الخاسر الاكبر في المعركة والبعثيين ولا على بعض الدول العربية التي أسقط مشاريعها استنزاف المال العراقي أو حين أثار كثيراً من هواجس السراق فيها عندما تعاون في (تقديم معلومات دقيقة للجنة الأمم المتحدة برئاسة (بول فولكر Volcker)) Paul بفضح اسماء

المرتشين من عملية النفط مقابل الغذاء والدواء , بل إن Paul Volcerk الأمر اتسع هذه المرة لتدخل أمريكا في دائرة الخلاف الممزوج بالسعي للنيل من الدكتور أحمد والإطاحة به , فكانت أولى المحاولات عندما داهمت القوات الأمريكية داره ومكتبه في العشرين من أيار عام ٢٠٠٤ بحثا عن وثائق يزعم المهاجمون أنها خطرة, وحين لم تجد القوة المهاجمة شيئا انسحبت من الدار , غير أن رأياً واسعاً في امريكا لم يكن راضيا عن تصرف القوة الامريكية هذا , فقد كتبت صحيفة (نيويورك صن) مقالا تحت عنوان (كيف تخسر الأصدقاء) نقلت فيه ما قاله مراسلها الذي كان موجودا أثناء المداهمة, حيث قال للجنود المهاجمين : أن من تهاجمونهم الأن هم من الأصدقاء , فرد احد الجنود قائلا : بعد اليوم لن يكون هناك أصدقاء. ثم طُلب بعد ذلك من قائد العمليات في العراق الجنرال ركاردو سانشيز أن يقدم اعتذاراً رسمياً للدكتور أحمد , وفعلاً قام بذلك .

واستمر الدكتور أحمد بمواقفه العادلة والصادقة بعيداً عن التبريرية او الميكافيلية أو البراجماتية التي لو أراد لضمنت له الكثير من المكاسب على حساب مايؤمن به من مبادئ , فكان موقفه الصلب الرافض لضرب التيار الصدري في معركة النجف فآ اب عام ٢٠٠٤ وباقي المعارك التي كان يرى فيها (رحمه الله) أن الدم العراقي خط احمر , فكان لا يعبأ بالحواجز الأمنية والتهديدات الامريكية ليذهب بنفسه عائدا وزائراً ومداوياً الجرحى من أبناء جلدته في مدينة الصدر أثناء المعارك الدامية مع القوات الأميركية والجيش و قد هاله سقوأ أكثر من ألف شهيد في هذه المعركة , وكان يصرخ بالضمائر لتوقف آلة الموت تلك.

شغل الدكتور الچلبي منصب نائب رئيس الوزراء في حكومة الدكتور الجعفري بعد انتخابات ٢٠٠٥, فكانت الحكومة الأكثر نزاهة على امتداد سنوات مابعد ٢٠٠٣ ، ذلك أن الدكتور الچلبي أدرك حجم التداخل بين سياسات الدولة الفتية ، من محسوبية وغض الطرف عن الفساد والتساهل مع الفاسدين, ففرض القيود والضوابط التي تحول دون تسرب المال العام الى غير استحقاقاته , ومن جملة ما اتّخذه أنه أحال كل عقد تربو قيمته الى ثلاثة ملايين دولار الى لجنة العقود التي أسسها في هذه الحكومة ، ثم انه كان يدقق ويشرف بنفسه على تداول العملة الأجنبية والمحلية وسعر صرف الدينار مقابل الدولار وتدفق المال العام والحفاظ عليه ، فكان الدكتور (رحمه الله) يصرّح دائماً في السنوات التي تلت هذه الوزارة بأنّه مستعد لسماع أي رأي يتعرض بالنقد او الاتهام المالي او الإنفاق في هذه الحكومة.

وقد حدث ماكان يدرك الدكتور الچلبي حدوثه ، لأنه لم يترك الأشياء على اعوجاجها، فكان من نتائج هذا الإصرار هو احتشاد وتشكل مجموعة كبيرة من الأعداء في خندق الدعوة للفوضى والضياع ، فكانت جيوش البعثيين والسراق والرجعيين والجهلة والفاسدين تطالب بما يرفضه عقله النيّر وطبيعته المتطورة ،ولكن تحقق ماكانت تصبو اليه هذه الفوضى بملفوظات الطنين الخداعة، وتم إسكات الاصوات بعشرات المليارات من الدولارات، لتنجح مؤامرة النكوص وهدم ماتبقى من البلاد وضياع ثرواتها الهائلة على الآف المشاريع الوهمية بالآف الخطب الزائفة والوعود التي لم تتحقق، ليصحو الشعب على بلد منهوب وثروة موزّعة بين جيوب الأفاقين وبنوك الدول الداعمة للارهاب والبعث وعشرات الاتجاهات التي كانت تحلم بمال سائب كالمال

العراقي ، فكانت المؤامرة باتجاهين:الأول تشويه صورة الدكتور الچلبي الناصعة والثاني الاصرار على إسقاط أكبر عدد من أصوات ناخبيه في الانتخابات ، ليجد الشعب العراقي والعالم الرجل المسؤول عن التجديد وبناء الديمقراطية بعيداً خارج أسوار مؤسسات الدولة الجديدة ،غير أنه لم ينكسر , وكان يُعبّر دائماً عن ارتياحه لأنه حقق الحلم الأكبر له ولأبناء شعبه ولعائلته المثابرة في إسقاط نظام القتل والابادة والمقابر الجماعية، وليحدث بعد ذلك مايحدث, لقد نجحت.. لقد نجحت .. هكذا كان يردد .

ظل الدكتور أحمد (رحمه الله) طوال الفترة الممتدة من عام (٢٠٠٦ - ٢٠١٠) مراقباً ومحركاً لكثير من عوامل إنجاح التجربة الديمقراطية العليلة في البلاد ، وكم كان يحزنه أن يشاهد ما عمل على تشييده عرضة لعوامل الطائفية والإرهاب والفساد،غير أنه وبالرغم من كل أساليب التعامل غير الحضارية وأحياناً غير الأخلاقية التي كان يتعرض لها، كان يمارس دور الحارس الحقيقي لهذه الديمقراطية، ولعل من بين ماقام به ، هو تنبيهه الحكومة العراقية لخطر انتهاء الحصانة القانونية للأموال العراقية المودعة في الولايات المتحدة الامريكية في نهاية ٢٠٠٧ ، وذلك باستخدام الأمر الرئاسي الامريكي على طلبات الكسب القانوني التي نجحت في تحقيقها عشرات بل مئات المؤسسات والأشخاص ضد العراق بُعيد الغزو الذي قام به صدام للكويت ، وهو مايدل على حرصه الكبير على أموال الشعب وعمليته السياسية.

كان دؤوباً في التواصل مع الناس والسياسيين على حد سواء , كان مُصراً على كشف كثير من مفاصل الفساد في البلاد من خلال لقاءاته وحواراته في الندوات والمؤتمرات ووسائل الإعلام المختلفة على الساحتين المحلية والدولية .

أما زياراته الدورية والمستمرة لمراجع الدين في النجف الأشرف، والتي كان يلبي بها دعوات المراجع الكبار إلى اللقاء فكانت للاستئناس برأيه الثاقب والدقيق في شتى المواضيع وبخاصة اللقاءات التي كان يجريها مع سماحة المرجع الأعلى السيد علي السيستاني (حفظه الله) .

لم يكن يؤمن بدرجة المنصب في ممارسة العمل , بل كان يؤمن بالعمل في ممارسة الخدمة ، ووفق ذلك إستطاع أن يحوّل ما أوكل إليه في عام ٢٠٠٧ من دور في تقديم الخدمات لابناء الشعب الى ممارسة فعلية لرفع الألم والمعاناة عن قطاعات واسعة من الفقراء في شتى أصقاع البلاد ، ولم يكن إلا كما عبّر هو عن نفسه من خلال عمله ، فلم يكن يميل الى التهريج الإعلامي لتسليط الضوء على نفسه او تشويه صورة خصومه .

كان كثير من المسؤولين الكبار والوزراء يلجأون اليه في كثير من الأحيان للتخلص من بعض المشكلات المستعصية عندهم , وما كان يُبدي أي ضجر او تململ في إبداء المساعدة بل كان يسارع لها, وهكذا بات منزله الذي هو خارج حدود المنطقة الخضراء دائماً ، ملجأً لكثير من المحتاجين والمعوزين يؤمّونه للحصول على معونة أو مساعدة .

وحين اقترب موعد الانتخابات النيابية عام ٢٠١٠ كان الدكتور احمد (رحمه الله) مطمح القوائم وزعماء

الكيانات الذين كانوا يرغبون بانضمامه اليهم , إلا أنه كان كعادته مع الجماعة ، فكان مع الائتلاف العراقي الموحد ، ومن ثم مع التحالف العراقي الموحد ، ولطالما تحدث عن علاقته التاريخية الوطيدة مع المقاومين بشتى اتجاهاتهم ، ولاسيما الاسلاميون منهم , وقد أكد على علاقته المميزة بآل الحكيم وكيف انه كان يلتقي السيد المرجع محسن الحكيم وأبناءه ، وتحدث طويلاً عن علاقته الاستثنائية بآية الله السيد الشهيد محمد باقر الحكيم ، فما كان منه إلا أن يكون ضمن قائمة تضم تراث هذا الشهيد ، لكنه كان على تواصل مع باقي القوائم وزعمائها دون تقاطع او خصومة مع أي من أفرادها ، إذ كان يلتقي بمنزله بشتى التوجهات والمشارب السياسية العراقية , الأمر الذي جعل منه مقبولاً ومرحباً به لدى جميع الكتل السياسية ، حتى أن علاقته مع الكورد رفقاء دربه النضالي لاتقل بشيء عن رفقاء دربه من المقاومين الاسلاميين في جنوب البلاد ، فكانت مساعيه المستمرة في التقريب بين وجهات النظر لاتتوقف على العرب دون الكورد اوالسنّة دون الشيعة ، فكما كان بيته يستقبل شتى التوجهات والمعتقدات كانت آراؤه لاتتوقف ضمن اطار العقيدة او العرق ، بل كان يسعى باتجاه بسط العدل وتطبيق المساواة ، حتى وان جاء ذلك على حساب كثير مما لايرغب به الآخرون , وقد شهد له الجميع بالصدق والوفاء وطيب المعشر.

بعد انتخابات ٢٠١٠ مارس الدكتور (رحمه الله) وخلال هذه الدورة الانتخابية دوراً مفصلياً في التصدي الى حجم الفساد الذي بلغ مدياته الهائلة ، فانتقد السياسة المالية والنقدية وقدم حلولاً للتخلص من التخبط والفشل على هذا الصعيد وانتقد أساليب المعالجات الأمنية الفاشلة ، وقدم مجموعة حلول ناجعة للتخلص من الإرهاب ، وكان في مقدمتها الإستعانة بالتجارب العالمية الكبرى ، نشر العشرات من أسماء المحتالين والسراق والفاسدين ، وكتب عشرات المقالات التي تدعو الى محاسبة هؤلاء .

تصدى لعملية (غسيل الأموال) الكبرى التي لم تشغل بال الكثيرين من المسؤولين في البلاد ، وتقصى مصادر ذاك الوباء ، ووضع يده على مكامن الفساد فيه ، غير أن القائمين على مصادر السلطة لم يكلفوا أنفسهم عناء مساءلة بعض الذين قدم الدكتور (رحمه الله) أسماءهم ، وكم كان يملؤه الغيض والحنق وهو يردد : (هؤلاء يسرقون أموال العراقيين الفقراء ، هؤلاء يعتقدوننا سُذّجاً ويسرقوننا بطرق بدائية ، غير أننا لم نكلف أنفسنا عناء حماية الأموال العراقية) .

كان وجود الدكتور أحمد (رحمه الله) تحت قبة البرلمان العراقي يشكل مشكلة كبيرة لكثير من الأشخاص والمؤسسات الفاسدة في داخل العراق وخارجه .

حاول الكثيرون تشويه صورته البيضاء ، إبتكر آخرون سبلاً للنيل منه لغرض إزاحته ، حاول بعض وسائل الإعلام أن يُحقق ما عجز عن تحقيقه سياسيون و دول، ففشلوا جميعاً في هذه المحاولات.

ظل الدكتور يشكل حجر الزاوية في العملية السياسية ، وظل هو فارس التغيير، فكان حصاد الأصوات في انتخابات ٢٠١٤ أكبر غلة رغم ضياع وهدر أعداد منها بسبل مختلفة ، وقد تفاوت ناخبوه (رحمه الله) بين

العالم الكبير والعامل الفقير، فكلٌ كان يراه سبيله للخلاص كما كان دائماً يمثل الخلاص لأبناء أرضه.

لقد راقب الدكتور الچلبي مسار الفساد في البلاد الذي كان يبعث على القلق أكثر من أي مرة سابقة، لقد أفزعه حجم الفساد وحجم السكوت عليه ، لم يمهل هذه الحالة كثيراً ، أخذ يؤكد في وسائل الاعلام على عمليته التصحيحية الكبرى ، حاول إيقاظ المسؤولين وأبناء الشعب المنهوبين ، ردد أرقاماً وعبارات لتحريك المياه الراكدة الساكنة على ضيم السرقات وخراب البلاد ، ولمّا علم أن الأمر لا يستقيم إلا به كعادته ، كشف ما تستّر عليه الآخرون لخوف أو لمشاركة في الجريمة ، فنقّب في جذور المصارف الوهمية والأرقام الفلكية ، تابع دوائر الفساد المستشري ، فأيقن أن الأمر لا يستقيم إلا بفضّ ختم الفساد وتسليط الضوء عليه حتى لو احترق الآخرون، فأودع الأسماء والمصارف والمؤسسات الفاسدة لدى أكثر من جهة، وأبلغ الجميع بضرورة الثورة على الفاسدين ، كأنه كان على موعد مع الرحيل ، كان يعلم بمحاولاتهم التي لم تكن تُخيفه ، فهو الذي لم يبال لدول الجبروت ، فكيف يبالي لأذنابها ، هكذا كان يُصور الحال دائماً ، لقد بدأ حياته بالسعي لتصحيح مسار الاعوجاج في بلاده ابتداءً من الحاكم ، وهذه المرة يمارس التصحيح على مستويات متفشية في جسد الدولة العراقية بشكل عام ، غيرأن محطته الأخيرة كانت تستقبله بحفاوة ، كانت تطلب منه أن يريح نفسه من عناء التصحيح الطويل .

أرفق بنفسك فقد آذتك نار الطريق الطويل ، يا أيها العارف الصوفيّ نحن ننتظرك منذ سنوات طويلة ، فمثلك كان الزائرون قليلين ، كم هم الذين مثلك ، أحيوا أممهم بمجهودهم الشخصي ، لازلنا نفتقد المخلصين وطالبي الحرية ، فأهلاً بك... أسلم نفسه لعدالة بارئه الذي آمن به وعمل على تطبيق أوامره بالنزاهة والعمل ، فأناخ بباب موسى بن جعفر(ع) راحلته وهو يطرق بهدوء على باب لطالما فُتح للزائرين، أأدخل يابن رسول الله ، هذا أنا الذي عشقتك طويلاً ، وعملت على حماية نهجك مذ علمت بأن نهجك يوصل الى الحرية والكرامة ، فامنحني فرصة الرقاد بقربك الآن، فأنت خير منزول به ، هذا أنا مولاك الذي آمن بالعمل لرفع الحيف عن المستضعفين وقد وفيّت ، فامنن على جارك بالسكينة والفوز معك.. كان ذلك في الثالث من شهر تشرين الثاني من عام ٢٠١٥.